أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٥٥) ربيع أول ١٤٤١ هـ - نوفمبر - ٢٠١٩ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

رُبّانُ سَفينةِ الوَطنِ.. عَوْدًا حَمِيدًا

- مَكتبةُ المخطوطاتِ صَرحٌ جَديدٌ في سَماءِ الكُويتِ
- المَدارسُ وتنميةُ المجتمعِ
- الشَّائعاتُ آفةٌ مُدمِّرةٌ

هديةُ العددِ مُعلقةٌ (علمُ الجرحِ والتَّعديلِ)

موقع مجلة الوعي الإسلامي
alwaeiq8@gmail.com
www.alwaei.gov.kw
مجلة الوعي الإسلامي

منبع الفخر

سِـــرْ لـلـكـويـتِ إذا أردتَ جـمـالًا ... ستـرى الجـمـالَ بـأرضـهـا يـتـوالـى
مَـتّـعْ فـــؤادكَ سِـــرْ لـهـا مُـتـرنّـمًـا ... واحْـلُـلْ قـيـود الـغَـمِّ والأغـلالا
دارٌ حَـبـاهـا اللهُ مـن أفـضـالـه ... فـتـرابُـهـا مـن روعـة يـتـلالا
فـيـهـا عَـبـيـرٌ، فـي هـواهـا بَـلْـسَـمٌ ... كـالـشَّـهـدِ يُـغـري طَـعْـمـهُ إنْ سَـالا
الأمـنُ فـيـهـا والأمـان يَـحُـفّـهـا ... دامـتْ لـهـم مـن راحَـتَـيـكَ مَـنـالا
دار الـكـرام بـنـو الـكـرام تَـوارَثُـوا ... طـيـبًـا وأخـلاقًـا بـهـم تَـتـوالَـى
شَـعْـبًـا كـريمًـا طـيـبـةً وسـمـاحـةً ... تَـسْـمُـو فـلا نـرجـو بـهـا اسـتـبـدالا
يـا شـعـرُ مَـهْـلًا قـد أَطَـلّ أمـيـرُنـا ... فـازداد شـعْـري رَوْنـقًـا وجَـلالا
يـا أيـهـا الـرَّجُـلُ الـكـريمُ تحـيـةً ... تَـسْـري إلـيـكَ وتَـقْـطَـع الأمـيـالَا
أهـلًا «أمـيـرُ» فـقـد أَنَـرْتَ كُـوَيـتـنـا ... والـــوردُ فـيـه بـهـجـةً قـد مـالَا
أهـلًا بـوالـدنـا ومَـنْـبـع فَـخْـرنـا ... جـبـلٌ يُـسـامـي فـي الـشُّـمُـوخ جـبـالا
يـا ابـنَ الـكـرام سـلـيـلَ مَـن قـد شَـيّـدوا ... وطـنًـا عـظـيـمًـا يـصـنـع الآمـالا
رَجُـلٌ إذا عُـدَّ الـرِّجـال فـإنـه ... يـسـمـو ويـزهـو مَـنْـطـقًـا وفـعـالا
فـيـه الـتـواضـعُ والـبـسـاطـة والـتُّـقَـى ... ومـهـابـةٌ تُـضْـفـي لـه الإجـلالَا
أفـعـالُـه وصـفـاتـه دلَّـتْ عـلـى ... عـقـلٍ حـكـيـم يَـــزْدَري الأهـــوالا
قـادَ الـبـلادَ بـحـنـكـة وبـراعـة ... لـلـمـجـد خـاضَ مـنـازلًا ونِـضَـالا
شَـهْـمًـا حـكـيـمًـا قـاد شَـعْـبًـا واعِـدًا ... جـيـلًا يُـربِّـي لـلـعُـلا أجـيـالا
الـعـدلُ والإنـصـاف فـيـه مَـزِيّـةٌ ... يَـزِنُ الأمـورَ ويـنـشـر الأفـضـالا
يـا ذا الـفـضـائـل دُمْـتَ نَجْـمًـا ساطِـعًـا ... قـمـرًا يُـضـيء سـمـاءنـا وهـلالا
ذاك الـــذي إنْ قـالَ أَوْفَـــى وعـــدَهُ ... تـأتـي الـفـعـالُ تُـصَـدّق الأقـوالَا
صـقـرٌ يُـحـلِّـق فـي الـسـمـاء بـعـزَّة ... مـا حـادَ عـن دَرْب الـعُـلا أو مَـالا
فـي سـاحـة الأمـجـاد تَـسْـمُـو شـامـخًـا ... والـمـجـدُ نـحـوكَ قـد سَـعَـى إقـبـالا
يـا أيـهـا الـمِـقْـدَامُ نِـلْـتَ مـكـانـةً ... وغَـــدوتَ رمـــزًا بـــارزًا ومـثـالًا
أهـلًا بمَـقْـدمـكـم وأَلْـــفُ سـلامـة ... والـــدَّار أشـــرقَ رَوْنـقًـا ودلالًا
أهـلًا حَـلَـلْـتَ وأَلْـــفُ أَلْـــفُ تحـيـةً ... نَـفـديـكَ إنْ قَـصُـرَ الـمَـدى أو طـالَا
لأمـيـرنـا كـلُّ الـقـلـوب مـنـازلٌ ... فَـرحَـتْ لَمَـقْـدمـه فـعـزّ مَـنـالا
يـا مَـن حَـمـلـتَ هـمـومَ شـعـبـكَ لـمْ تَـزَل ... تـعـطـي وتَـبْـذُلُ تحـمـلُ الأثـقـالَا
يـا ربِّ مـتِّـعـهُ بـوَافـر صـحـة ... سـدِّدْ خُـطـاهُ وحَـقِّـق الآمـالَا
يـا ربِّ زِدهُ مـحـبـةً ومَـــودةً ... فـضـلًا وتـوفـيـقًـا وزِده نَـوالا
طِـبْ يـا «أمـيـرُ» حـمـاكَ ربِّـي دائـمًـا ... كَـــدَرٌ تَـــوَلَّـى والأسَـــى قـد زالا
هـذا الـمِـدادُ دمـي ونـبـضُ قـصـيـدتي ... تـاهـت بـه خـيـلُ الـكـرام نـضـالا
فـي وصـفـكـم حـارتْ حـروفُ قـصـيـدتي ... والـشـعـرُ يـزهـو بـاسـمًـا مُـخـتـالا
سِـرْ يـا أمـيـرُ إلـى الـمَـعـالـي شـامـخًـا ... إنَّ الـمـصـاعـبَ لا تُـعـيـقُ جـبـالا

إبراهيم عبدالغفار الطاهري
إمام بوزارة الأوقاف

الافتتاحية

فهد محمّد الخزّي
رئيس التّحرير

لأميرنا
كلُّ القلوبِ منازل

(المحبة والإخاء، وتوحيد الكلمة، والتأكيد على قيم الرحمة والمودة، ونبذ الفرقة بكل أشكالها ودواعيها، والبعد كل البعد عن كل ما يعكر صفو المجتمع ويؤدي إلى التناحر والاختلاف).. كلمات ما زال يفوح شذاها عن أمير الإنسانية الذي أحبته قلوب أهل الكويت والعالم.. كيف لا! وهو القائد الذي مازال يسعى لنشر المحبة والرحمة في منطقتنا العربية والإسلامية خاصة، وفي جميع أرجاء العالم عامة.

إنه صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- الذي تولى حكم البلاد في شهر يناير من عام ٢٠٠٦م؛ لتبدأ البلاد -بعد توليه- نهضة تنموية شاملة مرتكزة على رؤية سياسية واقتصادية نابعة عن خبرة عريقة مكتسبة من توليه لدفة السياسة الخارجية الكويتية التي امتدت على مدى أربعة عقود، تمكن سموه خلالها من قيادة السياسة الخارجية الكويتية إلى بر الأمان من خلال انتهاجه مبدأ التوازن في التعامل مع مختلف القضايا، فاستطاع بعبقريته السياسية أن يتخطى بالكويت مراحل حرجة في تاريخها.

لقد استطاع سمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح -خلال توليه لرئاسة مجلس الوزراء عام ٢٠٠٣م- أن يتبنى رؤية شاملة وعميقة للتنمية في الكويت تشمل مختلف قطاعات الدولة وعلى رأسها القطاع الاقتصادي حيث بدأت أسطر جديدة تكتب في تاريخ الكويت وفي مسيرة سموه في قيادة هذا الوطن العزيز.

لم يدخر سموه -حفظه الله؟إنساني)، ودولة الكويت (مركزا للعمل الإنساني) خصوصا بعد الأعمال الإنسانية الداعمة لإغاثة الملهوفين والمشردين في دول الجوار المسلمة؛ متمثلا بذلك قول النبي ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (رواه البخاري)، وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه مسلم).

أما قلب الأمة وجرحها النازف فلسطين فهي ماثلة في وجدانه - حفظه الله - فلم ينس يوما القضية الفلسطينية التي اعتبرها قضيته الأولى منذ بدايتها وحتى اليوم؛ فاستمر في دعمها على كافة المستويات والمجالات السياسية والاجتماعية والإنسانية، ورفض كافة أشكال القهر والظلم والعدوان الواقعة على أهلنا في فلسطين، كيف لا! وهي الأرض المباركة ومسرى النبي ﷺ وقبلتنا الأولى.

وختاما، فإنه يحق للكويت أن تفخر بأميرها، فهو الذي وصفها بقوله: «إن الكويت هي التاج الذي على رؤوسنا، وهي الهوى المتغلغل في أعماق أفئدتنا». ويحق لها أن تسعد بعودته الميمونة مكللا بثوب الصحة والعافية.

ومهما حاولت كلمات المديح والعرفان أن تصف هذا القائد الإنساني النبيل فإنها لن تفيه حقه؛ ولكن قد أحسن من قال فيه:

يا أيها الرجل الكريم تحية ... تسري إليك وتقطع الأميالا
يا ابن الكرام سليل من قد شيدوا ... وطنا عظيما يصنع الآمالا
رجل إذا عد الرجال فإنه ... يسمو ويزهو منطقا وفعالا
لأميرنا كل القلوب منازل ... فرحت لمقدمه فعز منالا
يا رب متعه بوافر صحة ... سدد خطاه وحقق الآمالا

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد٦٥٥/ ربيع الأول ١٤٤١ هـ
العام السابع والخمسون
نوفمبر ٢٠١٩م

في هذا العدد

١٤
التربية بالحكمة في الإسلام

٢٨
كيف نواجه ظاهرة الشائعات؟

٥٠
نقطة انطلاق لمجتمع فعال

٧٦
حق الطفل في التعليم

رئيس التحرير
فهد محمد الخزّي

المراقب المالي والإداري
طلال عثمان العثمان

التحرير
علاء الدين عبدالفتاح
أمين حميد عبدالجبار
د. تركي محمد النصر

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
مطابع فور فيلمز

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: المجموعة الإعلامية العالمية للنشر والتوزيع والإعلان
هاتف: ٢٤٨٢٦٨٢٢ - ٢٤٨٢٦٨٢١ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٨٢٦٨٢٣ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• فلسطين: شركة بال رام للتوزيع والنشر هاتف: ٠٠٩٧٠٢٢٤٣٩٥٥ - فاكس: ٠٠٩٧٠٢٢٩٦٤١٣
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	• لندن: Quik march ltd هاتف: ٠٠٤٤٧٧١٥٧٥٨٥٥٣ - فاكس: ٠٠٤٤١٧٥٣٦٨١٠٥٠
• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠	• كندا: Speed impex هاتف: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٣٥ - فاكس: ٠٠٧٤١٧٤١٦٧٤١٧٦٢٦

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي، فلسطين: دينار أردني CANADA 4.25CD , UK2.5 POUND

المحتويات

٣	**الافتتاحية** / لأميرنا كل القلوب منازل	فهد محمد الخزي
٦	**سيرة**/ في رحاب خير البرية	د. نفيسة الزكي
٨	**دراسات**/ اجتهاد النبي ﷺ	د. منير باحوس
١٠	قائد العمل الإنساني والنهضة الكويتية	التحرير
١٤	**تزكية**/ التربية بالحكمة في الإسلام	محمد عبادي
١٦	إلف النعم من دواعي البطر	د. عبدالمنعم مجاور
١٨	**تنمية**/ تجديد روح التآزر بين المسلمين	د. إبراهيم نويري
٢٠	**قضايا**/ وباء الشائعات	د. عطية الويشي
٢٤	سم مدسوس في لحمة المجتمع	عبدالحليم حفينة
٢٨	كيف نواجه ظاهرة الشائعات؟	د. مجدي فتح الباب
٣٠	الشائعات.. نماذج من تاريخنا الحديث	محمود خليفة
٣٢	**استطلاع**/ صرح جديد في سماء الكويت	علاء عبدالفتاح
٣٦	**ملف العدد**/ تنمية المجتمع	د. خالد صلاح حنفي
٤٠	مؤسسات التنشئة الاجتماعية	د. آندي حجازي
٤٣	المدرسة.. المستقبل إذ يتشكل	السنوسي محمد السنوسي
٤٦	الدخلاء.. آفة	سعيد امختاري
٤٨	ينابيع الخير	د. محمد عطية متولي
٥٠	نقطة انطلاق لمجتمع فعال	مياسة النخلاني
٥٢	المدرسة.. تنمية وبناء	عبدالله شريف
٥٦	**لغة وأدب**/ شعر المديح النبوي عند حسان	د. الطيب الرحماني
٥٩	زخارف على بردة الهدى	محمود عقاب
٦٠	المصباح	عادل حماد سليم
٦١	لقاء عابر	محمد ثابت توفيق
٦٢	قراءة نقدية لقصيدة «القدس»	محمد عبدالحميد توفيق
٦٤	قراءة نقدية في قصة «نداء الأرض»	وليد عبدالماجد كساب
٦٥	تراب الوطن	عبدالهادي شعلان
٦٦	بلاغة السؤال في الاستعمال القرآني	د. أحمد تمام سليمان
٧٠	**دراسات**/ أسس الذوق الجمالي عند مالك بن نبي	د. فريدة أولو
٧٢	**أسرة**/ أهمية الألوان والرسم للأطفال	محمود أحمد حسانين
٧٦	حق الطفل في التعليم	بلال أحمد حنفي
٧٨	تنمية ثقافة الحوار	د. محمد عباس عرابي
٨٠	سرقة الأطفال بين الفهم الصحيح والعلاج التربوي	أميرة الشناوي كيوان
٨٣	**متابعات**/ «معالم الأمن الفكري» في لبنان	محمود نصر الدين المعلاوي
٨٤	الأدوار الحضارية للزكاة	فهد الشمري
٨٦	فلسطين ومتلازمة النكبات	محمد جباري
٨٨	**أعلام الوعي**/ العلامة الألباني	هشام الصباغ
٩٠	**ذخائر**/ مجلة الإكليل	ياسين محمد كتاني
٩٢	**تراجم**/ المتفق والمفترق	د. رياض العيسى
٩٤	**بريد القراء**	التحرير
٩٦	**ينابيع المعرفة**	د. تركي محمد النصر
٩٨	مسك الختام/ كويت العز	محمد قنبر

كلمة العدد

صناعة الأمجاد

إن التعليم يمثل -للإنسان- سدا منيعا من الغلو والتطرف والتخلف والفساد والجريمة، كما يمثل صيانة للعقل من الانجراف وراء الوهم والخرافة، ولا غروا! فصناعة التعليم تعيد صياغة المجتمع وتكوين الأجيال ورسم معالم مستقبلهم؛ لذا يعتبر التعليم أمانة عظمى تلقى على كاهل الدول والمجتمعات، وينبغي على الجميع القيام بحقها على الوجه الأكمل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨).

إنه من المقرر لدى الحكماء والعقلاء أن المجتمع إذا رام الصدارة والمكانة العليا بين المجتمعات، فإنه لابد له من العناية بالمؤسسات التعليمية التي هي أصل البناء، وطريق الوصول لتشييد هذا الصرح العظيم، لأن بناء الأمم لا سبيل إليه إلا من خلال التعليم؛ ولهذا فإن مؤسسات التعليم في أي مجتمع هي معيار قوته.

وينبغي للمعلم -الذي تزينت به هذه المؤسسات التعليمية، وأحيا دروسها، وجمع شمل العلوم فيها، ورفع منار الإفادة في جنباتها- أن يعلم علما جازما أن التعليم أمانة عظمى، وليس مجرد وظيفة كبقية الوظائف؛ فهو يعمل على تغذية العقول، ورسم السبل إلى المأمول، فرسوخ هذا المبدأ في ذهنه؛ يبعثه على أداء الأمانة على الوجه الأكمل، فيستثمر التقنية الحديثة في تحبيب العلم إلى الأجيال، فالتجديد في التعليم هو أعظم المحفزات للأجيال نحو التعليم، وأمارة العطاء في المؤسسات التعليمية هي التحديث المستمر، ومواكبة المستجدات ضمن إطار المحافظة على القيم الدينية، وعدم الذوبان في ثقافات الغير، فسبيل الريادة في التعليم يكون بالجمع بين الأصالة والمعاصرة، فلا مساس بقيمنا ومبادئنا الإسلامية الأصيلة؛ فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. نفيسة الزكي
باحثة في علم النفس

في رحاب خير البرية

لقد كان من فضل الله تعالى علينا أن أرسل محمدا ﷺ إلينا نبيا ورسولا ونورا يهتدى به، وقد ولد ﷺ كما هو معلوم في شهر ربيع الأول من عام الفيل، ليكون هذا الحدث الجلل والأمر العظيم في حياة البشرية جمعاء إيذانا بنزول وحي الله تعالى ليصلح البشرية ويخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الحق، ولإفراد الله تعالى وحده بالعبادة وترك الشرك والأنداد والأصنام.

وشهر ربيع الأول الذي ازداد فيه خير الخلق سمي كذلك لأن العرب كانوا يخصبون فيه ما أصابوه من أسلاب في صفر؛ حيث إن صفرا كان أول شهور الإغارة على القبائل عقب المحرم، وقيل: بل سمي كذلك لارتباع الناس والدواب فيه وفي الشهر الذي يليه (ربيع الآخر)، لأن هذين الشهرين كانا يأتيان في الفصل المسمى خريفا وتسميه العرب ربيعا، وتسمي الربيع صيفا والصيف قيظا.

وفي رأي آخر قيل: إن العرب كانت تقسم الشتاء قسمين، أطلقوا عليهما الربيعين: الأول منهما ربيع الماء والأمطار، والثاني ربيع النبات؛ لأن فيه ينتهي النبات منتهاه، بل إن الشتاء كله ربيع عند العرب من أجل الندى. وفي الحقيقة، كان الربيع عند العرب ربيعين: ربيع الشهور، وربيع الأزمنة؛ فربيع الشهور، شهران بعد صفر؛ وهما ربيع الأول وربيع الآخر[1].

ومولد الرسول ﷺ في شهر ربيع الأول من عام الفيل محل اتفاق بين العلماء ولا خلاف فيه، لكنهم اختلفوا في يوم مولده ﷺ اختلافا كثيرا، ولعله كان بسبب أنهم كانوا يؤرخون على الأحداث لا على الأيام قبل مبعثه ﷺ؛ يقول ابن كثير في البداية والنهاية: «عن ابن عباس ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين، والجمهور على أن ذلك كان في شهر ربيع الأول، فقيل لليلتين خلتا منه، قاله ابن عبدالبر في الاستيعاب، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيح بن عبدالرحمن المدني، وقيل لثماني خلون منه، حكاه الحميدي عن ابن حزم، ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبدالبر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير في مولد البشير النذير، وقيل لعشر خلون منه، نقله ابن دحية في كتابه، وقيل لثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه»[2].

لقد كان ميلاد رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ميلاد رسالة سماوية جديدة جمع صاحبها عليه السلام «خير ما في طبقات الناس من ميزات؛ فقد كان طرازا رفيعا من الفكر الصائب، والنظر السديد، نال حظا وافرا من حسن الفطنة وأصالة الفكرة وسداد الوسيلة والهدف، كان يستعين بصمته الطويل على طول التأمل وإدمان الفكرة، طالع بعقله الخصب وفطرته الصافية صحائف الحياة وشؤون الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما سواها من خرافة، ونأى عنها، ثم عايش الناس على بصيرة من أمره

وأمرهم، فما وجد حسنا شارك فيه، وإلا عاد إلى عزلته العتيدة، فكان لا يشرب الخمر، ولا يأكل مما ذبح على النصب، ولا يحضر للأوثان عيدا، ولا احتفالا»[٣].

إن مولد رسول الله ﷺ كان إيذانا بميلاد مستقبل جديد، عمل فيه ﷺ بكل جهد على تغذية أرواح الناس بنور الإيمان، وتزكية نفوسهم بتعليم الحكمة والقرآن، وتربيتهم تربية دقيقة عميقة، «يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، والمقاومة للشهوات، والنزوع إلى رب الأرض والسماوات ويذكي جمرة قلوبهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس، فازدادوا رسوخا في الدين، وعزوفا عن الشهوات، وتفانيا في سبيل المرضاة، وحنينا إلى الجنة، وحرصا على العلم، وفقها في الدين، ومحاسبة للنفس وقهرا للنزعات، وغلبة على العواطف، وتسيطرا على الثائرات والهائجات، وتقيدا بالصبر والهدوء والوقار»[٤].

لقد بزغ نور النبوة مع ميلاد رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول، ليبزغ معه نور خير أمة أخرجت للناس، أمة تقوم أساساتها على «الإيمان المطلق بالله، والإذعان له، وتفويض الأمور إليه بعد الأخذ بالأسباب، واعتقاد أنه لا قوة في هذا الوجود غير قوته، ولا معبود بحق سواه، ولا خضوع لأحد كائنا من كان غيره تعالت قدرته، فليست الخيرية التي خاطب الله بها المهاجرين والأنصار والذين يتبعونهم لأنهم مسلمون فقط، أو لأشخاصهم وذواتهم، بل لأنهم متصفون بأوصاف هي علة هذه الخيرية، ومناط تلك الرفعة الإلهية، وتلك الأوصاف هي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله»[٥].

لقد كانت ولادته ﷺ أمرا عظيما قامت أساساته على أركان قوية متينة، بناؤها أثثته آيات وافية شافية فيها الرحمة والعناية والحفاظ على مال اليتيم، وفيها التأكيد على مسؤولية العهد والوفاء به، سواء كان عهدا لله أو لأحد من الناس، وفيها الدعوة إلى إتمام الكيل بالميزان السوي فذلك أحسن مآلا، وفيها النهي عن تتبع عورات الناس، وفيها إعلام وإعلان عن مسؤولية السمع والبصر والقلب وماذا فعل بهم صاحبهم، وفيها النهي عن الكبر والخيلاء، وفيها التأكيد على أن أحدا لن يخرق الأرض ويثقبها حتى يبلغ آخرها بكبره وخيلائه، وفيها الأمر الصريح بالتواضع وحسن السلوك، وفيها الدعوة إلى التعاطف وحسن التعامل مع الناس لتزداد علاقات الإنسان بقومه متانة ولتشتد رسوخا وسلاما وتكاملا، وفيها الدعوة إلى بر الوالدين والإحسان إليهما، وفيها التأكيد على عدم الإسراف وصلة الأقارب والأرحام.

في الختام لا يسعنا إلا أن نقول إن مولد خير البرية كان تأسيسا لدين جديد، وإمبراطورية جديدة، وحضارة جديدة أساسها العلم والمعرفة، حضارة -كما قالت زيكريد هونكه صاحبة كتاب «شمس العرب تسطع على الغرب»- فريدة من نوعها، «لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا أن نقف متأملين: كيف حدث هذا؟ إنه الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعبا عظيما، آخت بينه العقيدة، وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه، أو ليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد؟ والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشي ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي، إنما السباقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجؤوا - بعكس زملائهم المسيحيين - في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم، لقد قدم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم، وإن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقرية العربية، وقد بقي الطب الغربي قرونا عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة عدائية، فإن كتب التراث العربي لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا»[٦].

الهوامش

١- انظر: الفيروزآبادى، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ص:٩٢٨. وانظر كذلك: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج٢١، ص:٣٤. وانظر: ابن منظور، ولسان العرب، دار صادر، بيروت، ج٨، ص:٩٩، مادة «ربع».

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص:٢٦٠.

٣- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، دار إحياء التراث، ص:٥٣.

٤- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص:١١٢.

٥- محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج١، ص:١٣٥٥.

٦- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية على أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م، ص١٥٠.

د. منير باحوس
أستاذ جامعي

دراسة أصولية
اجتهاد النبي ﷺ

اهتم العلماء والباحثون منذ قرون بتصرفات رسول الله ﷺ وأفعاله سواء ما كان منها وحيا منزلا، أو ما كان فعلا مؤولا.

وقد اختلفت تأويلاتهم لأفعاله ﷺ باختلاف تخصصاتهم ومذاهبهم، وكان على رأس هذه الأفعال ما اصطلحوا عليه باجتهاد النبي ﷺ.

ولما كان الحكم على الشيء فرعا عن تصوره كما يقول الأصوليون، كان لابد من الوقوف على ما يقتضيه المنهج العام للبحث العلمي بتحديد المفهوم المصطلحي للاجتهاد، وبالرجوع إلى مصنفات المحققين من الأصوليين فإننا نجدهم يكادون يجمعون على أن الاجتهاد هو «استفراغ الوسع في تحصيل العلم أو الظن بالحكم»[1]، وبإضافة

الاجتهاد إلى النبي ﷺ يتحصل أن الاجتهاد النبوي يشمل المسائل التي استفرغ فيها رسول الله ﷺ وسعه لتحصيل العلم أو الظن بالحكم في المسألة، وإذا كان ذلك كذلك فإن علماء الأصول في هذا الباب قد فرقوا بين نوعين من الاجتهادات النبوية، كل صنف من هذين النوعين مرتبط بجانب من جوانب شخصيته ﷺ:

❖ اجتهاده ﷺ فيما له تعلق بالجانب الإنساني الذي يشترك فيه مع أصحابه باعتباره بشرا، فيجوز عليه الاجتهاد كما يجوز على غيره[2]، وهذا النوع من الاجتهاد لم ينكره أحد من العلماء، ومثاله ما رواه الإمامان ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) وابن كثير (ت٧٧٤هـ) عن ابن إسحاق أن الحباب بن منذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فامض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»[3].

❖ اجتهاده ﷺ فيما يبلغه عن ربه عزوجل، وقد انقسم الأصوليون في الحديث عن هذا النوع من الاجتهاد الذي لم يرد فيه نص إلى فريقين:

- فريق يرى أنه لا يجوز له الاجتهاد مطلقا وأنه غير متعبد به؛ وهو قول أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم، وعزاه الإمام ابن قدامة إلى أكثر المتكلمين[4]، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة في طليعتها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ (النجم:٣-٤).

- فريق يرى جواز الاجتهاد في حقه ﷺ فيما لا نص فيه، وأنه كان متعبدا به على قول من قال به، فتارة يخطئ وأخرى يصيب، على أنه لا يقر على خطأ إجماعا، وبه قال الإمامان أحمد بن حنبل وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة النعمان[5]، وعليه جمهور الأصوليين.

والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها: اجتهاده ﷺ برغبته في التوجه إلى البيت الحرام في الصلاة بدل استقبال بيت المقدس[6]، فقد أقره الله عزوجل على هذا الاجتهاد في قوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ (البقرة:٤٤١).

واجتهاده ﷺ لما أذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك من غير تبين صدقهم من عدمه، فعاتبه الله على ذلك في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (التوبة:٤٣).

واجتهاده ﷺ في إباحة قطع الإذخر واستثنائه مما نهى عن قطعه لما ظهرت حاجة الناس إليه في قوله: «إلا الإذخر فإنه حلال»[7].

واجتهاده ﷺ في الأخذ برأي أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أسرى بدر[8]، الذي رأى فيه أن الرحمة بهم أولى من ضرب أعناقهم، بدعوى أنهم أبناء العم والعشيرة، فنزل قوله عزوجل معاتبا النبي ﷺ على اجتهاده، مقرا اجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه القاضي بضرب أعناقهم.

واجتهاده ﷺ في التولي عن ابن أم مكتوم رضي الله تعالى عنه والإعراض عنه، لانشغاله بدعوة أكابر من وجوه المشركين كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وغيرهم، فقد كان ﷺ يرجو إيمانهم لما رآه من إقبالهم عليه وإنصاتهم له[9]، وقد عاتبه الله كذلك على هذا الاجتهاد في الآيات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ (عبس:١-٤).

ولعل الراجح من هذه الأقوال ما يراه الجمهور من جواز اجتهاده ﷺ فيما لم يرد فيه نص، لكون النصوص متضافرة على ذلك، ولأن ما اجتهد فيه رسول الله ﷺ إن وافق حكم الله فهو حكم من الله على لسان نبيه ﷺ، وإن لم يوافقه فإن العدول إذ ذاك يكون إلى حكمه عزوجل، وعلى كل حال فإن الأحكام كلها بذلك سترجع إلى حكم الله عزوجل.

الهوامش

١- «الموافقات في أصول الشريعة» لأبي إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط/١، ١٤١٧هـ، ٥/٥١.

٢- «الإحكام في أصول الأحكام» لسيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ٤/١٦٥.

٣- «السيرة النبوية» لأبي الفداء ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، ٢/٤٠٢.

٤- «الإحكام» للآمدي ٤/١٦٥، و«روضة الناظر وجنة المناظر» لابن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط/٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢/٣٤٣.

٥- المصدر السابق.

٦- أخرجه الأئمة: البخاري في «الجامع الصحيح» باب: الصلاة من الإيمان، الحديث رقم: ٤٠؛ ومسلم في «الجامع الصحيح» باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، الحديث رقم: ٥٢٥؛ وابن ماجه في «السنن» باب: القبلة، الحديث رقم: ١٠٠٩.

٧- أخرجه البخاري في «الجامع الصحيح» باب: مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح/ الحديث رقم: ٤٣١٣.

٨- أخرجه مسلم في صحيحه باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر... الحديث رقم: ١٧٦٣.

٩- أخرجه الترمذي في سننه، باب ومن سورة عبس، الحديث رقم: ٣٣٣١.

عبدالسلام الشبراوي

الدلائل تشير إلى وصول البلاد لمركز مالي وتجاري عالمي قريبا

قائد العمل الإنساني والنهضة الكويتية

تحتفل البشرية كل يوم بصباح يهل عليها ينير لها الطريق، وتحتفل الكويت بعودة صباحها الأمير الحكيم والأب القدوة والنموذج والمثل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير العمل الإنساني الذي سجل في كتاب التاريخ الحديث اسم العمل الخيري الكويتي بالخارج قبل الداخل بأحرف من نور.

قبل عودة سموه من رحلة علاج في الولايات المتحدة، إذ مر بعارض صحي بسيط وتجاوزه، توافدت على سموه الشخصيات البارزة في العالم لتطمئن عليه وتنهل من حكمته، وفور عودته ضجت أرض الكويت بالأفراح، واستبشر من يسكنون هذه الأرض الطيبة. ربما يطرح البعض تساؤلا عن سر هذا الحب الذي يحمله الناس لسمو الأمير، الذي كان أول وزير إعلام، وثاني وزير خارجية في تاريخ الكويت، والذي ترأس وزارة الشؤون الخارجية للكويت طيلة أربعة عقود من الزمن، ويعود له الفضل خلالها في توجيه السياسة الخارجية للدولة والتعامل مع الغزو العراقي للكويت في عام ١٩٩٠م. هو من تولى مسند إمارة دولة الكويت في التاسع والعشرين من يناير ٢٠٠٦م. إنه أمير الكويت الذي إبان رئاسته

الغانم مستقبلا سمو الأمير

لمجلس الوزراء حصلت المرأة الكويتية على حقوقها السياسية تنفيذا لتوجيهات الأمير جابر الأحمد الجابر الصباح، ثم وزرت أول امرأة في حكومة برئاسته عام ٢٠٠٥م، تلت ذلك مشاركة المرأة في العملية الانتخابية في أول انتخابات نيابية بعد توليه مسند الإمارة، ومن ثم توجت سياسته الإصلاحية تلك بدخول المرأة لأول مرة عضوا في مجلس الأمة في ثالث انتخابات نيابية تجري في عهده، وقد سمح للمرأة بدخول السلك العسكري، كذلك أعاد التجنيد العسكري الإلزامي في الكويت.

إنه الأمير الذي كرمته الأمم المتحدة في ٩ سبتمبر ٢٠١٤م بلقب «قائد العمل الإنساني»، وسميت الكويت «مركزا للعمل الإنساني» بفضله وفضل السخاء الذي جبل عليه أهل الكويت وتقديرا من المنظمة الدولية للجهود التي بذلها الأمير وبذلتها الكويت خدمة للإنسانية. لُقِّب بـ«شيخ الدبلوماسيين العرب والعالم» و«عميد الدبلوماسية العربية والكويتية»، فهذا الإنجاز الفريد من نوعه الذي أسس دعائمه صاحب السمو الأمير يتوج المسيرة الطويلة للعمل الإنساني والخيري الذي عرف عن الكويت منذ القدم.

وها هي الكويت تستذكر هذه اللحظات التاريخية وتقطف ثمار ما زرعته من عمل إنساني حافل، إذ يأتي هذا التكريم الأممي الأبرز من نوعه تقديرا وعرفانا بالدور المهم الذي انتهجته البلاد وسمو الأمير في دعم مسيرة العمل الإنساني والخيري وامتدت أياديها البيضاء إلى العديد من دول العالم المحتاجة إلى المساعدة.

لقد أشاد الأمين العام السابق للأمم المتحدة بان كي مون بجهود سمو الأمير التي ساهمت في تمكين المنظمة الدولية من مواجهة ما يشهده العالم من معاناة وحروب وكوارث. وأكد بان كي مون أن «الكويت أظهرت كرما استثنائيا تحت قيادة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وعلى الرغم من صغر مساحة البلاد فإن قلبها كان أكبر من الأزمات والفقر والأوبئة».

وأشار إلى أن «المبادرات التي قامت بها الكويت دفعت المجتمع الدولي إلى جمع المزيد من المساعدات بفضل جهود سمو أمير البلاد، مما ساعد الأمم المتحدة في القيام بوظيفتها الإنسانية، وإن الدعم المستمر من سمو الأمير مكننا من ذلك».

ويومها رد سمو الأمير في كلمة له سجلها التاريخ بحروف من ذهب أن «دولة الكويت، ومنذ استقلالها وانضمامها إلى منظمة الأمم المتحدة، سنت لها نهجا ثابتا في سياستها الخارجية، ارتكز بشكل أساسي على ضرورة تقديم المساعدات الإنسانية لكل البلدان المحتاجة بعيدا عن المحددات الجغرافية والدينية والاثنية؛ انطلاقا من عقيدتها وقناعتها بأهمية الشراكة الدولية وتوحيد وتفعيل الجهود الدولية بهدف الإبقاء والمحافظة على الأسس

احتفالية موظفي «الوعي الإسلامي» بعودة سمو الأمير

التي قامت لأجلها الحياة وهي الروح البشرية».

كما لفت سموه إلى أن «دولة الكويت اتخذت عام ٢٠٠٨م قرارا يجسد حرصها على دعم الدور الإنساني للأمم المتحدة، عندما خصصت ما قيمته ١٠ في المئة من إجمالي مساعداتها الإنسانية إلى الدول المتضررة من الكوارث الطبيعية أو الحروب، وتبعتها بقرارات رسمية بمضاعفة المساهمات الطوعية السنوية الثابتة لعدد من الوكالات والمنظمات الدولية».

وبالفعل لا يخفى على أحد دور الشعب الكويتي ومساهمته منذ القدم بهذه الجهود الإنسانية من خلال الجمعيات الخيرية الكويتية واللجان الشعبية بما قدمته من دعم متواصل للعديد من المشاريع الإنسانية في قارتي آسيا وإفريقيا بمبادرات شعبية وأياد خيرة امتدت إلى الكثير من المحتاجين في أصقاع الأرض، لاسيما أثناء المجاعات والكوارث الطبيعية.

لقد أضحى العمل الخيري ركيزة من الركائز الأساسية للسياسة الخارجية للكويت التي عرف عنها ومنذ ما قبل استقلالها مبادراتها الإنسانية التي استهدفت مناطق عديدة في العالم، وتوسع نشاطها مع تولي سمو أمير البلاد مقاليد الحكم عام ٢٠٠٦م، إذ ازداد حجم المساعدات الإغاثية بشكل ملحوظ وتركت بصمة أكثر واقعية للعمل الإنساني العالمي.

إنه الأمير الذي شهد عهده سياسة إصلاحية واسعة فترسخت الحياة الديموقراطية وزادت الحريات الإعلامية، وانتشرت الصحف والمنابر الإعلامية وتوسعت مساحات النقد في الكويت، كما شهدت الكويت في عهده نهضة تنموية شملت مختلف المجالات، تنفيذا لتطلعاته بتحويل الكويت إلى مركز مالي وتجاري عالمي.

انه الأمير الذي جعل المبادرات والمشاريع الإنسانية والتنموية التي تنفذها الكويت في مختلف دول العالم، وخصوصا في الدول النامية والفقيرة امتدادا للإرث الخيري الطويل ودليلا على التزام الكويت بدعم الإنسان وتأمين حقوقه الأساسية والمتمثلة في ضمان توفير الغذاء والمسكن والتعليم المناسب له، وأصبحت هذه الأفكار والمفاهيم واقعا فعليا ملموسا تقوم بتنفيذه الأجيال الشابة من أبناء الكويت، الذين يؤكدون أن هذا النهج بات يشكل فلسفة عمل نوعية ترسخ قيم الأعمال الإنسانية والإنمائية.

إنه الأمير الذي يعد أحد أبرز الشخصيات السياسية المؤثرة في العالم، وصاحب المكانة المرموقة ذات التقدير الكبير على الصعيدين الإقليمي والدولي، وذلك لما يتمتع به من رؤية سياسية عميقة وحنكة جعلته رجل المصالحة، فكان الأكثر حضورا في المناسبات الوطنية والخليجية والعربية والعالمية، كما أنه رجل المبادرات الأول، لا يفوت فرصة للالتقاء بإخوانه القادة العرب للتشاور في سبل حل القضايا العربية، حيث يعد طرازا فريدا من قادة العالم المتميزين الذين خلدوا أسماءهم باقتدار من خلال جهوده السياسية التي ساهمت في تحقيق السلام والاستقرار في العالم وأعماله الإنسانية التي أفادت بالخير كثيرا من الدول والشعوب المنكوبة.

إنه الأمير الذي تحولت الكويت إلى قبلة للقرارات العربية المهمة والمواقف الدولية الحاسمة في الفترة الحالية، بفضل مبادراته التاريخية واحتضان أرض الكويت من قمم ومؤتمرات عالمية ساهمت بشكل فعال في نجاحها وعكست الصورة الناصعة والمشرفة للكويت عربيا ودوليا في المجال الإنساني والحضاري والسياسي، حيث حظيت الكويت بإشعاع خليجي وعربي وعالمي غير مسبوق، توجت بنجاح بفضل رؤية القائد والتزامه بدعم القضايا الوطنية والعربية، قولا وفعلا.

وقدم سموه، رعاه الله، كثيرا من المبادرات بعد تسلمه مسند الإمارة عام ٢٠٠٦م لتعزيز التعاون بين دول العالم من أجل توفير الحياة الكريمة للشعوب كافة، واحتضنت الكويت قمما عدة جمعت بين قادة الدول العربية ونظرائهم في قارات العالم.

لم يكن غريبا على سمو أمير الحكمة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أن يحشد المجتمع الدولي لتوفير مليارات الدولارات عبر رعايته عددا من مؤتمرات المانحين لمساعدة ضحايا الحروب والكوارث في كل من سورية والعراق وفلسطين والسودان وتشاد والصومال وغيرها.

وعلى الصعيد الداخلي هو الأمير الذي نفذت الحكومة الكويتية تحت قيادته ووفقا لتوجيهاته السامية العديد من المشاريع العملاقة التي ترتبط بمختلف القطاعات الخدمية في البلاد، مثل مشروع مستشفى جابر وميناء مبارك وجسر جابر الذي يربط بين الصبية ومدينة الكويت.

وتم أيضا تطوير العديد من الطرق الرئيسية وإنشاء شبكة من الجسور لعل أبرزها جسر الصبية ثاني أطول جسر بالعالم ومشروع مصفاة الزور ومبنى المطار الجديد وستاد جابر الرياضي، إضافة إلى تنفيذ المدن الإسكانية الجديدة ومن أبرزها مدينة المطلاع السكنية العملاقة.

وفي إشارة لحب الكويتيين لسمو الأمير قال رئيس مجلس الأمة الكويتي (البرلمان) مرزوق الغانم وافتخارهم باللقب الأممي الذي حازه سمو الأمير: بمزيد الفخر والاعتزاز الذي نستشعره ونفتخر به من قرارة الوجدان أنا وإخواني أعضاء مجلس الأمة نستقبل الذكرى الخامسة على منح سموكم، حفظكم الله ورعاكم، لقب «قائد العمل الإنساني» وتسمية الكويت «مركزا إنسانيا عالميا» من قبل منظمة الأمم المتحدة ونحن أكثر ثقة وتطلعا إلى استمرار اضطلاع سموكم بدوره الإنساني محليا وإقليميا ودوليا.

وأضاف الغانم: إن هذا التتويج الذي تحقق بفضل من الله ومنة منه سبحانه، جاء بجهود مضنية وإسهامات وعطاء بلا حدود من قبل سموكم، فما كان الجزاء الأوفى من المجتمع الدولي إلا أن بادر باختيار سموكم قائدا للعمل الإنساني تقديرا وعرفانا بالدور الريادي الكبير الذي واكبتموه سموكم طوال مسيرتكم الحافلة بالعطاء المزدهرة بتطلعات طموحة تزداد كل يوم تألقا ورونقا وتتلألأ بنفحات من التوفيق في تحقيق الهدف المنشود والتغلب على أشق الصعاب في الأوقات والأزمات العصيبة بكياسة حصيفة وسياسة مرنة محفوفة بالحكمة والروية وثاقب النظر.

وإننا لنتضرع إلى المولى جل جلاله أن يديم على سموكم موفور الصحة ويلبسكم ثوب العافية ويمدكم بالعمر المديد وأن يحفظ لنا الكويت ويديم عليها وعلى شعبنا الوفي نعمة الأمن والأمان وأن يبقي راية الكويت خفاقة بين الأمم في ظل حكمة سموكم ورعايتكم الكريمة.

وكان مما رد به سمو الأمير ما يظهر تواضعه إذ قال سموه: إن هذا التكريم البارز من قبل منظمة الأمم المتحدة إنما يجسد التقدير الكبير من قبل المجتمع الدولي للدور الريادي للكويت في مجال العمل الإنساني ولسعيها المحمود والمتواصل لإغاثة المنكوبين والتخفيف من معاناتهم جراء الصراعات والحروب والكوارث الطبيعية في شتى بقاع العالم دون تفرقة أو تمييز، سائلا المولى تعالى، أن يوفق الجميع لكل ما فيه خير وخدمة الوطن العزيز ويسدد الخطى لتحقيق كل ما ينشده الوطن الغالي من تقدم ونمو وازدهار والارتقاء بمكانته الرفيعة في مختلف المحافل الدولية وأن يديم على الجميع موفور الصحة وتمام العافية.

وقد جمعت الفرحة موظفي الوعي الإسلامي صبيحة عودة سمو الأمير حفظه الله فاجتمعوا توسطهم رئيس التحرير فهد محمد الخزي حول مائدة ضيافة عربية حفلت بالقهوة والتمر والشاي والحلوى والأهم بالروح الطيبة والابتسامات.

بعد كل ذلك لا يتعجب أحد ولا يندهش من حب الكويتيين بل العالم لسمو الأمير الحاني الحكيم.

محمد عبادي
باحث دراسات إسلامية

يتميز الإنسان عن سائر مخلوقات الله من الكائنات الحية بأنه كائن ثقافي يتعامل مع رصيد ورأسمال تراكمي من المحيطات المادية والاجتماعية والمؤسسية منذ ولادته، ومهما اختلفت وتعددت وجهات النظر في الثقافة من حيث مضمونها ومؤسساتها وآلياتها وثوابتها ومتغيراتها فإن نتاجها النهائي يتمثل فيما يستقر وينبع في العقل والوجدان من معان وقيم ومناهج للتفكير، يهتدي بها أصحاب تلك الثقافة في ممارسة شؤون معاشهم ومعادهم.

التربية بالحكمة في الإسلام

تمثل الحكمة رصيدا تراكميا من المعرفة الخبيرة على مستوى الأشخاص والزمان والمكان، كما أنها تعبر عن رصيد ثقافي تعاقبته الأجيال، بما يشكل نظرة فلسفية متكاملة، تهتم في جوهرها بقضايا الإنسان والكون والحياة.

وإذا كان الأمر على هذا النحو فإن هذا يعكس لنا طبيعة العلاقة بين الحكمة والتربية، وهي علاقة وثيقة، وإذا كانت الحكمة تمثل رصيدا ثقافيا ورؤية فلسفية اتخذها أصحابها، فإن موضوع التربية هو ذلك الرصيد الثقافي الذي تتناوله بالتهذيب وإعادة الصياغة بما يكفل صلاح الفرد والمجتمع.

في الوقت نفسه فإن عملية التربية لا يمكن أن تتم بمعزل عن نظرة متأنية من الحكمة التي تحدد مطالب الفرد واحتياجات المجتمع، بل تمتد لتحقيق أقصى درجات التوافق والسعادة الإنسانية.

وهذا الأمر هو الذي يعكس لنا جوهر فلسفة التربية ومجال عملها، ومن ثم فالعلاقة بين الحكمة بمفهومها الواسع وليس القاصر على الشق الفلسفي وبين التربية علاقة تبادلية وثيقة، وهما مجالان ينطلقان من أرضية مشتركة في التعامل مع الثقافة على اتساعها وشموليتها، بما يكفل مدى واسعا من القيم والمبادئ والثوابت التي تحقق فهما أعمق لهذا العالم المتغير في ظل ظروف غير مستقرة نسبيا.

التربية الإيمانية

لقد جعل الفلاسفة الغاية العظمى من فلسفتهم وتأملهم المستمر هي الوصول إلى الحقيقة في معرفة الخالق، وإن شذت هذه المعرفة في بعض الأحيان عن الفهم السليم، إلا أنها كانت في النهاية الهدف الذي يسعى الجميع إلى الوصول إليه.

والشرائع الإلهية تدور حول أصلين أساسيين هما:

١- معرفة الخالق -جل وعلا- ووصفه بصفاته اللائقة بجلاله.

٢- معرفة ما يرضيه -سبحانه وتعالى- والتباعد عما لا يرضيه.

وهذان الأصلان عليهما مدار الشرائع الإلهية وحكمة الحكماء تدندن حولهما.

والحكمة من وجهة النظر الإسلامية تعني استخدام أرشد الطرق وأفضلها لإقامة منهج الله تعالى، وتيسير السبل لتحقيق غايات الإيمان ومنها: إخلاص العبودية لله تعالى قياما بحق الربوبية، والتحرر من العبودية لغير الله.

وقد هيأ ابن رشد المناخ الملائم للعمل على إظهار موافقة الشريعة لمناهج الحكمة، فغاية الحكمة عند ابن رشد هي سعادة بعض الناس، ولذلك فهي تعتمد طريقا برهانيا يختص بأهل البرهان دون غيرهم. أما الشريعة فغايتها سعادة كل الناس. وبما أن الشريعة كاملة لم تقتصر على صنف

واحد من الناس فإنها دعت الناس من هذه الطرق الثلاثة، وعم التصديق بها كل إنسان، وذلك صريح في قوله تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل:١٢٥).

الضبط الاجتماعي

إذا كانت الحكمة تسعى إلى توطيد الإيمان بالله في النفوس، فإن هذا الإيمان ينمي الميل الاجتماعي في الطبيعة البشرية، ويخفق فيها حدة الأنانية وطغيان الذات، ويجعل الترابط والتعاون والتفاعل الذي يقوم بين أفراد الجماعة قائما على ركائز أبنية يحوطها مفهوم الحب في الله، علاوة على الوشائج الرابطة النابعة في الطبيعة البشرية الفطرية وعملية التفاعل الاجتماعي التلقائي.

فالإيمان والتقوى يعملان كمنبه داخلي في نفس المؤمن، وإن الضبط تمارسه النفس على ذاتها من خلال استدماجها الكلي للآداب والقواعد الخلقية. ومن ثم فإن الانحراف أو الفعل الانحرافي يقترن بمفهوم الإثم، وهو تعد على حقوق الله، وليس مجرد خروج على قواعد المجتمع وقيمه ومعاييره.

التربية الأمانية

الحكمة كلها رؤية وتأن وتعقل وتبصر، وهي تطمئن إلى سلامة المنهج لاسيما المنهج السماوي. ومن ثم فإن غايتها هي تحصيل أكبر قدر من سعادة الإنسان في ظل مجتمع راق.

ولا يمكن أن يتحقق للإنسان الشعور بالأمن والحب والصداقة إلا من خلال الجماعة، فالسلوك الاجتماعي لا يكتسب معناه إلا في موقف اجتماعي، وتقدم الجماعة للفرد مواقف عديدة يستطيع أن يظهر فيها مهاراته وقدراته.

والدور الاجتماعي الذي تقوم به الحكمة -كما مر- ينعكس على أمن وسلامة الفرد والمجتمع على حد سواء. وهذا يجعل الحكمة ترسي دعائم التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الآخر وديموقراطية التعليم، من أجل خلق جيل قادر على القيام بعملية الاستخلاف في الأرض على الوجه الأكمل من خلال نبذ العنف والكراهية والتعصب والصدام مع الآخر.

ضبط الانفعالات

بما أن الحياة تقوم على الخير والشر، وبما أن الإنسان يصطدم دائما بالموت، وبما أنه يعيش وسط غيره ويتأثر بهم، فلابد من الإحساس بالفرح واليأس والخوف والجبن والشجاعة والحب وغيرها من الانفعالات التي تتناوب في تعبيره، ومن هنا يأتي دور الحكمة التي تظهر فجأة أمام عينيه فتحذره من الخيانة وتحضه على التسامح وتقوي عزيمته وتنهاه عن الجبن وتعزز إيمانه بالقضاء والقدر، وتحثه على العلم والعمل.

والحكمة في المجال التداولي الإسلامي ترتبط في مجملها بالقدرة على التحكم في هوى النفس، تطبيقا لمنهج السنة والتزاما بمقتضاه، والتحكم في سنده، علما وتعقلا وتفقها مع اتقان يكسب خبرة وإصابة في القول والعمل، وهذا كله يبلور لنا الدور المهم الذي تلعبه الحكمة في عملية الضبط الانفعالي بما يتناغم مع السلوك الاجتماعي العام.

التعليم والحكمة

في الواقع إن هذا المطلب التربوي هو عنوان فرعي أثاره جنيفر جيدلي في بحث قيم تحت عنوان «تعليم للجميع أم تعليم للحكمة».

يرى جنيفر جيدلي أن النموذج الصناعي في التعليم الذي يؤيد التيار السائد في التعليم في الغرب، وبالتالي العمليات المؤسسية التي يقوم بها البنك الدولي، لم يتعرض هذا النموذج لانتقادات عديدة من قبل التربويين في العالم النامي فحسب، بل إن كثيرا من الباحثين المستقبليين الشباب أيضا قد أظهروا طوال العقد الماضي أن كثيرا من الشباب في العالم الصناعي أصبحوا في حالة خوف من المستقبل وشعور بالعجز وعدم التحسن بسبب النظام التعليمي.

ولقد أظهر بقوة كثير من التربويين المستقبليين أن حدود العقلانية الذرائعية للوضعية العلمية الغربية قد دفعت الثمن باعتبارها نظرية معرفية سائدة في المستقبل. ولقد أصبحت الإشكالية العالمية معقدة إلى درجة أن النسق العقلاني بنظمه المعرفية وتخصصاته المتشرذمة لم يعد قادرا على إيجاد حلول لها.

وقد ذهب جنيفر إلى أن ما يحتاج إليه العالم الآن هو نظم تعليمية متماسكة على مستوى كل من المدرسة والمجتمع، تساندها نظم معرفية من مستوى أرقى تشمل الكون كله، تتضمن النظم المعرفية التقليدية والأصلية لعديد من الثقافات. وهذه النظم المعرفية هي التي تدعو إلى جعل الحكمة هدفا لعملية التعلم، وجعل التغير هدفا مجتمع التعلم[1].

مما سبق تتبين لنا العلاقة الوثيقة بين التربية وبين الحكمة، فالتربية تسعى إلى الوصول إلى الحكمة بجوانبها النيرة والبصيرة، والحكمة تسعى إلى تحقيق ما تنشده التربية في المجتمع الإنساني على جميع مستوياته.

الهوامش

١- جنيفر جيدلي، تعليم للجميع أم تعليم للحكمة، ترجمة: أحمد عطية أحمد، مستقبل التربية العربية، مصر، مج٨، العدد (٢٦)، سنة ٢٠٠٢م، ص٣٠٩.

د. عبدالمنعم مجاور
دكتوراه في الدراسات الإسلامية

إلف النعم من دواعي البطر

يظن بعض الناس أن القناعة نوع من قلة الحيلة، أو ضرب من ضعف الهمة، وقد يعدها البعض نوعا من التواكل أو الكسل، وليس الأمر على ما ظنوا وعدوا، ما توافرت للقناعة شروطها ودواعيها، فالقناعة لا تعني ترك ميدان الحياة لغيرنا، ولا الانزواء في ركن ضيق من أركان هذا الكون الفسيح، وإنما القناعة امتلاك مع زهد، وحيازة مع ترك، وغنى مع بذل، ولا تظنن أن القناعة بالغني ألصق، وعن الفقير أبعد؛ إذ ليس بالضرورة أن يكون كل غني -بسبب ما آتاه الله من النعم- قنوعا راضيا، فقد يكون غنيا ولا يملأ عينه إلا التراب، ولا كل فقير -بسبب سغبه وعوزه- طماعا متطلعا، بل قد يؤتي الله الفقير من الرضا والقناعة ما يجعله في أعين كثيرين غنيا، فيكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة:٢٧٣). فمدار الأمر إذن على تربية النفس على الترفع، وتوطينها على التعفف، وتعويدها على السمو فوق رغباتها وتطلعاتها.

والأمر بالنسبة إلى الفقير والغني سواء فيما يتعلق بنعم الله على كليهما غير أن نعم الغني شاخصة أمام أعين الفقير ظاهرة بارزة، إذ يختزلها البعض في هذا المال الذي وصفه أبوطالب في خطبته السيدة خديجة إلى رسول الله ﷺ بأنه «ظل زائل وعارية مسترجعة»، وإنما نعم الله على كل واحد منا سابغة عامة ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:١٨)، وما ضيع إحساسنا بهذه النعم، وتمتعنا بمزاياها إلا إلفها والاعتياد عليها، فيستيقظ أحدنا على بدن صحيح معافى، ومأوى واسع فسيح، وفراش وثير دافئ، وطعام شهي طازج، وشراب طهور نقي، وأبناء يضحكون، وحياة مستقرة آمنة فلا ينظر إلى هذا كله، ولا يعده نعما؛ وما ذلك إلا لأنه اعتاد وجوده وكأنه حق مكتسب، وفرض لازم، وشيء من المسلمات ليس من حق أحد أن يسألها عنها أو ينازعه فيها، ومن ثم ينسى ما أفاء الله عليه، ويجحد أفضال الله بين يديه، فتراه يفتح عينه على سيارة جاره الفارهة، ويشرئب بعنقه إلى بيت صديقه ذي الطوابق والأدوار، أو مزرعة زميله التي فيها من خيرات الله ما فيها، ويغفل عن حقيقة هامة مفادها: أنه إنما رأى ما يعجبه وربما غاب عنه ما لو كان عنده من مثله لساءه، ولو عانى من ويلاته لأرهقه؛ من مرض عند هذا الجار مكتوم الخبر، أو خلاف بين أسرة هذا الصديق ناشب، أو ابن عند هذا الزميل عاق، ولو فتح عينه الأخرى على نعم خصه الله بها، ومواهب أعطاه الله إياها ولم يعطه أحدا ممن عدد نعم الله عليهم وأحصاها لراجع نفسه، بل ربما لو خير بين أن تتبدل المواقع بينه وبين من حسدهم، وعدد عليهم نعمهم ما اختار إلا موقعه الذي هو فيه، وحاله التي اختارها الله له!! وإن كان الرضا والقناعة -في رأيي- لا يتحققان بعقد مثل تلك المقارنات، ولا بالإمساك بالورقة والقلم لعد كم نعمة عندي، وحساب كم نعمة عند غيري! لأن من يفعل ذلك لا يعد -عندي- راضيا ولا قنوعا؛ لأنه ما رضي -إن رضي- إلا عندما وجد كفته من النعم المعدودة أرجح، ولا قنع -إن قنع- إلا عندما رأى من مصاب من يحسدهم أشد مما عنده وآلم. وليس هذا بصاحب فضل في رضاه، ولا بذي كرامة في قناعته؛ لأنه رضا المعاينة، وقناعة المشاهدة، لم يترك شيئا ليقين، ولا طمعا في أجر لإيمان، ولا احتسب صبرا طلبا لجنان، ولا استعذب ألما رغبة فيما عند الديان، فكيف -بالله- تعده راضيا قنوعا وقد تعامل مع ربه معاملة التاجر؟!!

ولعل مما يزيد من ازدراء نعم الله على الإنسان طمعه الجامح، وتعلقه الزائد بالدنيا، فيعقد أحدنا المقارنات بينه وبين غيره، فيرتد إلى نفسه كسيف البال محزونا لأن المقارنة لم تكن في صالحه، بل كانت لفلان الذي

أعطاه الله كذا وكذا أو علان الذي منحه الله كيت وكيت.. وهكذا في كل شؤون حياته. إن إنسانا هذه حاله لن تهنأ له عيشة، ولن تستطيب له حياة؛ لأن بداخله نفسا كنودا، تأخذ وتنكر، وتعطى وتمنح فلا تشكر، فقره بداخله وإن أوتي مال قارون!

لكنك تنظر في الناحية الأخرى فيطل عليك منها وجهان؛ وجه مضيء بالرضا رغم قلة ذات اليد، وآخر مشرق بالشكر مما أسبغ الله عليه من نعم ظاهرة وباطنة، فرضي الأول لأنه استشعر معنى النعمة فرآها في جسد معافى، وزوجة صالحة، وابن بار، وأمن في حياته واستقرار.. فقبل يده ظهرا لبطن، واستمتع بحياته، وعاش ملكا في نفسه، وبين أهله وناسه، وربما لو فتشت بيته ما وجدت من حطام الدنيا إلا النزر اليسير، ولو قلبت حافظة نقوده لوجدتها تشكو الوحدة، فما من قرش أنيس، ولا من فلس جليس!! ولكن صاحبهما قد ملأهما رضا، وأشبعهما قناعة، فذلك هو الرضا الذي قصدت، وتلك هي القناعة التي أردت.

أما الثاني فقد عرف فضل الله عليه؛ فأعطى وتصدق، من غير منٍّ ولا أذى، بل أنفق وهو مشفق، وقلبه خائف وجل، يخشى أن يعطي فلا يقبل عطاؤه، أو يتصدق فترد صدقته، لعلمه أن المال مال الله، وما هو إلا مستخلف فيه؛ لذا تراه يتمثل في إنفاقه قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (المؤمنون:٦٠).

إن وجود النعم لا يعني استبعاد زوالها وتحولها، بل إن شكرها هو ما يضمن دوامها واستمرارها والحفاظ عليها بل وزيادتها كرما من الله وتفضلا، وإن جحودها ونكران فضل الله عزوجل فيها لأول نذير بزوالها والعقاب عليها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم:٧). وقد كان النبي الكريم ﷺ يستعيذ من زوال النعمة وتحول العافية، فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك» (رواه مسلم).

إن استشعار نعم الله على الإنسان لدليل على قلب حي، وضمير يقظ، ونفس طيبة، والمؤمن الحق يرى في المصائب والرزايا إكرام الله له، وتفضيله إياه فلولا ما يعلمه الله من حسن سريرته، وقوة إيمانه، وجليل احتسابه ما أصابه ولا أرزأه، ويوقن بأن الله في الآخرة معوضه عما فاته في الدنيا، وعلى ما أصابه فيها، فتستوي عنده النعمة والمصيبة، فيحمد الله في السراء، والضراء متمثلا قول رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (مسلم).

إن هذه الدرجة العالية من الرضا والتسليم يراها المسلم في كل ما يصيبه، وهي ما عبر عنها الشاعر بدر شاكر السياب بقوله:

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبد الألم
لك الحمد، إن الرزايا عطاء

وإن المصيبات بعض الكرم

إن هذه المعاني إذا استشعرها المؤمن عد كل يوم جديد في عمره نعمة، وكل نفس يتنفسه نعمة، وكل إطلالة فجر نعمة، ولم يكن إلف النعمة إلا دافعا لأداء شكرها، واعترافا بفضل الله فيها، وإقرارا بأنها لم تكن لعلم عنده يفوق به غيره، ولا لمزية فيه عن سائر خلق الله سواه، وإنما هي فضل من الله وكرم يراها ذو النفس المشرقة في كل ما حوله من ماء سائغ يشربه، ومن هواء عليل يتنفسه، ومن أمن نفسي يجعله متفائلا مقبلا على ربه راجيا عفوه وكرمه، وإن كان ولابد مقارنا فلتكن مقارنته مع من يراه أقل منه في رزق أو أضعف منه في بدن، أو أشد منه في ابتلاء ومصيبة، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» (متفق عليه).

إننا بحاجة إلى أن نعيش تلك المعاني فترسخ في نفوسنا ثم نرسخها في نفوس أبنائنا فينشأ الطفل وقد ملئت عينه مما في يده، ومما آتاه الله فلا يتطلع إلى ما في يد غيره، ونعلمه أن التفاضل بين البشر إنما يكون بالطاعة والعمل الصالح لا بحطام الدنيا الزائل، وأن هناك في الآخرة جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا يمكن مقارنتها بدنيا فانية، وأن ما آتاه الله من نعم فاعتاد عليها هي عند غيره أقصى ما يتمناه فليحمد الله على ما آتاه، ولا يزدري نعمة الله عليه فننشئ أجيالا عندها من الرضا والقناعة ما يعزز فيها الثقة بالنفس، والشكر لله عزوجل في العسر واليسر، والسراء والضراء، حتى إذا آتاه الله من فضله لا يكون ذلك داعي كبر وبطر، وإذا منعه سبحانه لا يكون داعي نقمة أو ضجر، ليكبروا وقد كبرت معهم هذه المعاني فتكبر نفوسهم قبل أن تكبر أجسادهم.

د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي

تجديد روح التآزر بين المسلمين

تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن عناصر مقومات بناء المجتمع المسلم، وعناصر تكوينه وبنائه من الفرد والأسرة والجماعة، وتحدث أيضا عن العلاقات الاجتماعية الواسعة، وجعل أساس ذلك كله الدعوة إلى التعارف الإنساني في نطاقه العام، الذي لا تقيده أي اعتبارات أو عوائق مهما كان نوعها.

نرى ذلك مثلا في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣)؛ وهذه الدعوة مثلت في بدايات مراحل التنزيل الكريم صدمة للعرب تشبه صدمة الدعوة إلى التوحيد في بيئة تمكن منها الشرك تمكنا بعيد المدى، لأن العرب قبل الإسلام كانوا لا يعتزون في أرومتهم الموروثة بغير العصبية القبلية، إلى جانب عدم تسليمهم المبدئي بأساس معيار التكافؤ بين السادة والضعفاء والأرقاء والبسطاء من الناس، وكأنهم كانوا قبيلا من جنس كفار قوم نوح الذين قالوا لنبي الله نوح صلوات الله وسلامه عليه: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ (هود:٢٧).

واستقراء هاته المسألة يبين بوضوح أن الأمة الإسلامية تقوم فيها الروابط على وحدة الدين والعقيدة أي: «مرجعية الاستمداد والتلقي والاهتداء»، وعلى وحدة النظم الاجتماعية العادلة والعبادات الجامعة، والمبادئ الخلقية والقيم الفاضلة، ذلك أن الاجتماع في مكان واحد مع اختلاف العناصر يكون اجتماعا يحمل في مكوناته وبواطنه عوامل انحلاله، خاصة إذا انعدمت أو تراجعت هيمنة المنازع الروحية التي من شأنها تهذيب المسالك غير اللائقة بإنسانية الإنسان. لذلك كان الاجتماع باسم الإسلام لا يقوم في أصل بنائه على أساس من المغالبة أو المنازعة، بل على أساس قاعدة الأخوة العامة بين المسلمين، والمودة والرحمة بين أفرادهم وجماعاتهم، والتعاون الكامل فيما بينهم، وكذا التعاون مع غيرهم

من الدول والأنظمة والمجتمعات والقوى التي لا تناصبهم العداء، ولا تحكم بروح العصبية والعنصرية والاستعلاء العرقي والقومي وغيره.

كما أن الإنسان بطبيعته يشعر أنه كائن اجتماعي ليس بمقدوره أن يعيش بمفرده منعزلا عن الناس، لاسيما أبناء مجتمعه، فهو بحاجة ماسة إليهم يتحاور معهم ويتبادل مع مجموعهم المصالح والتطلعات والآمال المشتركة، ولا ريب أن كل إنسان عاقل يشعر بأنه لو لم يتحمل مسؤوليته تجاه الآخرين، فإنه لا يجوز له بالمقابل أن ينتظر من الآخرين أن يتحملوا بالنسبة له أي مسؤولية، فالإنسان الذي يتنكر لالتزاماته الأخلاقية إزاء الآخرين هو إنسان يعزل نفسه عن المشاركة الاجتماعية والإنسانية.

لذلك يبدو الأمر موغلا في الغرابة والتناقض إذا ما بادر المرء إلى التنكر لهذه المسؤولية والهروب من مقتضياتها وتداعياتها الخاصة والعامة، ويريد في الآن نفسه أن يتضامن الآخرون معه عندما يكون هو بحاجة إلى تضامن الآخرين، وإلى وقوفهم إلى جانبه في وضع من الأوضاع أو حالة من الحالات؛ ذلك أن أفراد المجتمع كل من موقعه ينبغي أن يدركوا حقيقة نواة الوحدة العضوية التي تجمع مجتمعهم، وتمنح وجودهم الاجتماعي قوة وشعورا بروح المسؤولية المتكاملة الإيجابية المتضامنة المتآزرة.

أما الدراسات والبحوث التي أنتجها العقل المسلم المعاصر في هذا المجال، فإنها تتفق على أن المجتمع الإسلامي الأول، وتحديدا المجتمع النبوي، أو المجتمع الإسلامي في عصر النبوة والتنزيل، يعتبر المجتمع الأنموذج أو المثال أو القدوة أو البوصلة الهادية، ليس من منطلق أن العرب قبل الإسلام لم يكن لهم نظام اجتماعي محدد، بل مراعاة لمقصد تحصين المجتمع الإسلامي من دواعي الضعف والتفكك التي كان عليها العرب قبل نزول القرآن، فقد كان مجتمع الجزيرة ممزقا لا يجمعه كيان ولا يلم شمله نظام، إذ كانوا قبائل متناثرة في أجواء علاقات مضطربة أو متوترة، تفضي في الغالب إلى الاحتراب والتقاتل والعداء، ولأسباب تافهة واهية في الغالب، تخلو تماما من المعنى الحقيقي الذي يبرر نشوب الحرب والقتال.

ولعل كثرة المعارك التي دونها التاريخ تبين كيف أن معظم تلك الحروب أو المعارك كانت تنشب لأتفه الأسباب، فمعارك القبائل القحطانية فيما بينهم بلغت عشر معارك، ونشب بين القحطانيين والعدنانيين ما يربو على عشر معارك أيضا. وفيما بين قبائل ربيعة ست معارك، وما بين ربيعة وتميم خمسة عشرة معركة، وبين قبائل قيس إحدى عشرة معركة، وبين قيس وكنانة عشر معارك وبين قيس وتميم سبع معارك، وبين قبائل ضبة وغيرهم خمس معارك.. إلى غير ذلك من الحروب والمناوشات والغارات المتفرقة التي وثقتها بعض أسفار وكتب أيام العرب.

وفي هذا المجتمع القبلي، الذي تسري في أوصاله نزعة عارمة من روح التطرف في الولاء للقبيلة.. وبين جنبات هذا المجتمع الذي يعيش حالة من التناقض والصراع والاحتراب بين قبائله ومكوناته، بعث الله تعالى نبيه محمدا ﷺ، هاديا ومبشرا بدين الله الخاتم، الإسلام الحنيف، فاستطاع خلال أقل من ربع قرن من الزمن أن يبني من تلك القبائل المشتتة المتقاتلة المتعادية مجتمعا متماسكا وكيانا موحدا متكافلا ومتآزرا.

ليس ذلك فحسب، بل أيضا يحمل للعالم كله شرقه وغربه رسالة تتضمن خلاصة الدين الإلهي ومشروعا حضاريا متقدما ينطوي على الجوهر الحقيقي لإنسانية الإنسان ولرسالة الاستخلاف الحق في الأرض المؤسسة على حقيقة العبودية لله رب العالمين وإسعاد الإنسان في مرحلتي الحياة العاجلة والآجلة.

ومما تقدم يمكن لنا أن نستخلص بأنه يتوجب على كل مسلم في المرحلة الراهنة أن يعتقد بأن المفهوم الأسلم لوحدة المسلمين يجب أن تستند إلى ما يلي:

١- سلامة العقيدة من كل الشوائب وبوغاء الأفكار والفلسفات والعادات والتقاليد البالية المترهلة.

٢- مبدأ الأخوة العامة على النحو الذي وضحه القرآن الكريم والواقع التطبيقي للسيرة الشريفة والسنة النبوية المطهرة.

٣- النظر إلى المجتمع النبوي باعتباره مثالا ينبغي أن يحتذى به.

٤- العلاقات الاجتماعية والإنسانية في المجتمع المسلم تقوم على الالتزام البصير بالقيم والمعاني والأهداف التي قررتها الشريعة الإسلامية السمحة، ودل عليها التطبيق العملي الصحيح لمقاصدها العامة.

د. عطية الويشي
أستاذ الحضارة الإسلامية

يعوق التقدم الحضاري

وباء الشائعات

تبدأ «الشائعة» من حيث يتلقى شخص ما أو مجموعة أشخاص أخبارا تتعلق بالأفراد أو الهيئات أو الشأن العام للدولة، ثم إشاعتها بين الناس بصورة مختلفة عن حقيقتها، تضخيما أو تقزيما!... ومكمن الخطورة في هذا السياق: يتمثل في اختلاق كينونة إخبارية شبيهة بالحقيقة أو مختلفة عنها، فيتم طرحها للتداول الاجتماعي والتناول الإعلامي والثقافي العام، وهو ما نسميه «إشاعة». وهنا تضحى «الإشاعة» و«الشائعة» اسما لفاعل من أشد الفاعلين تعكيرا لصفو المزاج الشعبي العام، وتهديدا وجوديا للسلام الاجتماعي، بل وإضرارا مباشرا بأمن الدولة واستقرارها ومساسا خطيرا بوحدتها الوطنية.

ويرجع أصل الشائعة في لغة العرب إلى الفعل «شاع» أي ظهر وتفرق. الإشاعة: لغة الإظهار والانتشار والإذاعة[1]، واصطلاحا: نشر الأخبار التي ينبغي سترها، لشين الناس[2]. وتطلق الإشاعة على الأخبار تشيع فيتحدث سائر أهل البلدة ولا يعلم من أشاعها[3]. أما الشائعة فهي عبارة عن: «أقوال أو أخبار أو أحاديث يختلقها البعض لأغراض خبيثة، ويتناقلها الناس بحسن نية، دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها»[4]. وقيل: الشائعة هي: نبأ أو حدث مجرد من أي قيمة يقينية، يتنقل من شخص إلى آخر بصورة مثيرة لزعزعة الرأي العام أو توتيره أو تحويله إلى وجهة مضادة لمصالحه[5].

ومن جميل لغتنا، أن انتحال الأباطيل، واختلاق الأكاذيب، وتشويه الحقائق، وتحريف الأخبار: من ثمرته الفوضى والاضطراب والتوتر واختلال أحوال المجتمعات؛ ولذلك يسمى في اللغة «إرجافا». والإرجاف، من الفعل رجف أي تحرك واضطرب، وأرجف القوم في الشيء وبه إرجافا أكثروا من الأخبار السيئة واختلاق الأقوال الكاذبة حتى يضطرب الناس منها [6]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ (الأحزاب:٦٠)، والمرجفون: هم الذين يولدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس. والإرجاف واحد أراجيف الأخبار، وقد أرجفوا

في الشيء أي خاضوا فيه[٧]، وكأنما اضطراب أحوال البلاد وتوتر أهلها وتأرجحهم وعدم استقرار أمورهم إنما يرجع إلى إشاعة الشائعات وإثارة الفتن التي تقلع جذورهم من أرضية الأمن والاستقرار!

وقفات تاريخية

ولم يمر بمجتمعاتنا العربية والإسلامية مصائب وابتلاءات أشد من الشائعات! ومنذ فجر تاريخنا، والأمة تواجه موجات الإشاعات والأباطيل والأضاليل بالحقائق، ولم يكن مستغربا أن يأتي خطر تلك الإشاعات من أبناء الأمة مثلما يأتي من خصومها وأعدائها سواء بسواء. وقد كان الوحي يتنزل متعقبا الشائعات المنتشرة حول المواقف والأحداث الدائرة والقضايا المشتجرة... فيعالجها ببيان وجه الحقيقة فيها، وبإزالة آثارها وترسباتها أولا بأول من نفوس الناس؛

ولعل من أبرز الشواهد التاريخية المبكرة على صحة هذا المبدأ ووجاهته: ذلك الموقف المسؤول الذي سجله أنس بن النضر في يوم أحد، إذ أطلق الشيطان شائعته الشهيرة بموت النبي ﷺ فهزم الناس، فانتهى ابن النضر إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله في رجال من الأنصار... قد وضعوا ما بأيديهم وجلسوا، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله! قال: فماذا تصنعون بالحياة من بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فذهب يقاتل حتى قتل[٨]. فلم يتأثر ابن النضر بالشائعة، وتصرف وفق مقتضى مصلحة الأمة حتى لقي الله ثابتا على مبدئه الحق دونما تغيير أو تبديل.

وفي خضم الفتنة التي هزت كيان الدولة هزا عنيفا خلال عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان للشائعات تأثير دموي في شق صفوف الأمة...

وكذلك الفتن التي أصابت الأمة في موقعة الجمل وبين الصحابة، ثم الفتن التي أجلبت علينا المطامع الاستعمارية كان منشؤها جميعا من الشائعات!

ذلك، ولم تزل وتيرة الشائعات تعمل، في أزمنة الضعف والتراجع الحضاري، وكان لها أشد التأثير الذي نال كثيرا من وحدة كلمة الأمة وتوحد صفوفها، وإثارة الفوضى في مجتمعاتها عبر العصور!

المظاهر والأسباب

وغير خاف على كل إنسان أن «الإشاعات تميل إلى المبالغة ميلا مقيتا! وذلك بقصد: نقل انطباع موحد عن شيء يعد مهما»[٩] الأمر الذي يترتب عليه، في غالب الأحوال أضرار بالغة بالأنفس أو الأعراض وانتهاك للأسرار والخصوصيات وإساءة إلى العقائد والقيم والمبادئ التي هي قوام الحياة الحرة الكريمة.

ولعل أكثر ما يقع بين الناس من شائعات وفتن واضطرابات... ناشئ عن الوهم والرعونة والخوف من مجهول... ومن ثم، نجدهم يبنون مواقف بناء على معطيات المخاوف والأوهام والتصورات خاطئة... فتراهم يسترسلون في تداول الإشاعات التي تتسق مع هذه الأجواء النفسية؛ ولذلك قالوا: «إذا وقعت المخاويف، كثرت الأراجيف»[١٠].

وفضلا عن ذلك، يمكننا عزو أسباب رواج الشائعات في المجتمعات إلى مجموعة من العوامل، أهمها: ضعف الثقة بين المواطن وبين أجهزة الدولة، وغالبا ما يكون هذا الضعف ناتجا في الأصل عن شائعة سارية قد تأخر البيان الرسمي بشأنها، وهو ما يعرض الناس لفتنة استهلاك الشائعات.

أحيانا تختلق الشائعة من إثارة التساؤلات والشبهات حول مسائل خاصة، ليس من شأن العامة الخوض فيها وإبداء الرأي بشأنها، إلا بمعرفة المختصين من رجال الدولة. وأحيانا أخرى، يتداول الناس شائعات ذات سياقات متشككة في قدرة الجهاز الإداري للدولة على مواجهة التحديات والمشكلات... وتارة تختلق التآويل لبعض المواقف السياسية التي تثير التوتر وتضعف الثقة القيادة السياسية دون مسوغات شرعية أو منطقية. وهو الأمر الذي يحتم الوقف قليلا عند الآثار المترتبة على الشائعات.

أبعاد تأثيرية

وفيما تتعدد مظاهر ضعف مناعة الجبهة الوطنية للدول، تبقى الشائعات بمنزلة التهديد الوجودي لأي بلد من البلدان، فالإشاعات هي بمنزلة تسهيلات يتم بموجبها تقديم الوطن على طبق من ذهب لخصومه الطامعين وأعدائه المتربصين به!

ويحسن الكشف عن طبيعة الآثار المترتبة على رواج الشائعات لنقف على كارثية تلك الآثار ومدى الشرخ العميق الذي تحدثه الشائعات ويكلف الكثير من أجل إعادة ترميم البناء المجتمعي الذي يتصدع مع كل شائعة إلى درجة تنذر بتفككه وانهياره!...

ومن شأن الإشاعات أن تضعف مناعة الفرد والمجتمع والدولة سواء بسواء، والإشاعة كاذبة أكانت أم صادقة، من الناحية السياسية، هي مزايدة السلطة المعنية بإدارة شؤون البلاد والعباد، واستباق لهذه السلطة وافتئات عليها بما يربك أجهزتها ويثقل كاهلها فيعوقها عن التصرف بأريحية في ظروف الأزمات!

وهكذا، فالإشاعات تتسبب في إرباك الحسابات السياسية والعسكرية والأمنية والترتيبات الاحتياطية في مواجهة الأزمات ومعالجة الطوارئ!

وأخطر من ذلك، أن الشائعات تسهم بقدر كبير في التشويش على صانع القرار في البلاد، إذ لا تتوافر مؤشرات

واضحة بين أيديهم فتؤثر في إعاقة البلاد عن تجاوز الفتن ومواجهة القضايا وعلاج المشكلات، ففي أزمة الفتن تكون الناس أكثر عرضة للتأثر وأشد قابلية للتماهي مع تموجات الفتن وتقلبات الأحوال من نوايا فاسدة وآراء كاسدة... وفي المقابل، فقد استخدمها آخرون فأساءوا استخدامها، كوسيلة لبث الأخبار الكاذبة، ونقل المعلومات الخاطئة وكما استخدموها للترويج للباطل والشر والفساد!

وإذا افترضنا أنه لا يمكن وضع كل ذي شائعة في سلة واحدة، ولكن الاعتبار هنا بمآلات الشائعة وعواقبها في المجتمع بصرف النظر عمن أطلقها بحسن نية أم بخبث طوية أم عن سوء قصد، فالأثر الضار للشائعة هو ما يتعين أن نبني عليه الموقف الرافض للشائعة، فحسن نية من أطلقها لا يهون من شأنها كـ«جريمة» في حق الفرد والمجتمع والدولة، فلا تسوغ لأصحابها أي أعذار!

الموقف الشرعي

وقد استخدمت الإشاعات بصورة متزايدة مع ظهور موجة الفضائيات والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وتطور تقنيات تداول المعلومات بطريقة مذهلة! وأصبحت أسرار الأفراد وخصوصيات المجتمعات مباحة للتداول على أوسع نطاق، ومتاحة على مائدة التناول على نحو ما «عمت به البلوى»!

لكن عموم البلوى في هذا الشأن، على وجه الخصوص، لا يغير من طبيعة الموقف الحضاري الإسلامي الحاسم من الشائعات؛ باعتبارها تصرفا غير مسؤول! يمكن أن يهدم بيوتا ومجتمعات ومؤسسات ودولا فوق رؤوس أهلها! فالموقف من الشائعات مسألة أخلاقية مصيرية قبل كونها مجرد خطأ فردي أو جماعي يمكن اغتفاره أو تجاوزه بحال من الأحوال!

ولذلك، كان لعلماء الأمة عبر مختلف العصور موقف شرعي حازم من ظاهرة الشائعات؛ وذلك بالنظر للأثر الذي يحدثه الاشتغال بترويج الشائعات، من تعريض بالدول والمجتمعات والأفراد إلى مخاطر التفكك والتصدع والفتك والتدمير، حتى لقد صار من الأمثال «إذا أردت أن تدمر شخصا أطلق عليها شائعة بدلا من إطلاق رصاصة»!

وعلى أي حال، فقد خلص العلماء إلى أنه «تحرم إشاعة أسرار المسلمين، وأمورهم الداخلية مما يمس أمنهم واستقرارهم، حتى لا يعلم الأعداء مواضع الضعف فيهم، فيستغلوها أو قوتهم فيتحصنوا منهم. كما تحرم إشاعة ما يمس أعراض الناس وأسرارهم الخاصة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ (النور:١٩)[١١].

والمراد: الذين يحبون إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه أو اتهم به وهو بريء منه، فإذا وقعت منه هفوة أو زلة فإنه لا يجوز كشفها وهتكها ولا التحدث بها[١٢] وقد قال النبي ﷺ: «من شان على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق أشانه الله بها في النار يوم القيامة»[١٣].

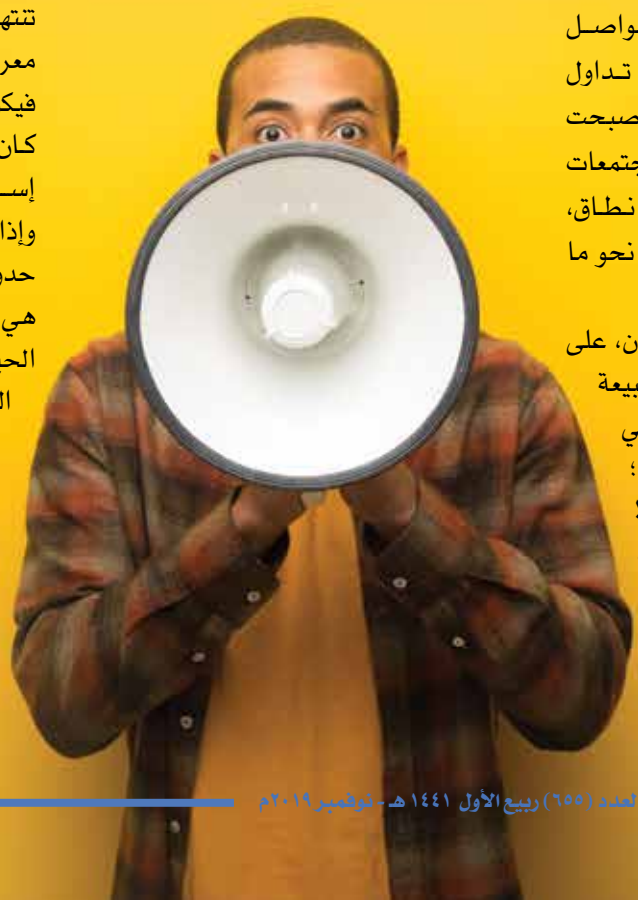

سبل المواجهة

ولكوننا مؤمنين بالله في مجموعنا، يتعين التذكير في هذا السياق بالأطر التأسيسية التي تؤسس لمجتمع متماسك في مواجهة الشائعات وجب التذكير، وفيما يتسابق الناس في اختلاق الأقاويل وإشاعتها وقد استهجنت السنة النبوية مسلك من يتسابقون إلى إشاعة التآويل واختلاق الأقاويل وانتحال الأباطيل فقال ﷺ: «بئس مطية الرجل زعموا»[١٤]، وقال ﷺ أيضا: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[١٥].

ومن جهته، اعتنى الإسلام بتنظيم سلوك المؤمنين في حدود احترام الشؤون العامة والخاصة دونما مزايدة أو افتئات. وأريد بالاحترام: أن تكون للأفراد والهيئات والجماعات حرمة لا تنتهك وحرما لا يمس!... والاحترام: معرفة ما بينك وبين غيرك من حدود فيكون في مأمن من لسانك ويدك وقد كان من جميل قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[١٦].

وإذا كانت الشريعة الإلهية قد وضعت حدودا أخلاقية للإنسان، وهذه الحدود هي بمنزلة إشارات حمراء على طريق الحياة؛ فإنما وضعتها كي يحذر الناس الوقوع في الحرام، وينذروا بها عن مقاربة ما لا يحل من الأقوال والأفعال.

والشائعات إنما تواجه بالثبات ورباطة الجأش والسكون والإمساك عن الخوض في الشأن العام، فإنما

تنال العواصف من خفة الناس إلى تداول الشائعات؛ فالحركة إذا زادت وتسارعت خف الوزن فكان الإنسان عرضة لعواصف الفتن... وقد أرشد النبي ﷺ إلى السكون حين يرد ذكر الفتن، فقال: «الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة»[١٧]. ومن ثم، كان التزام السكون في الفتن من شيم الحكماء والعقلاء... والساكن هو الذي إذا نادته الفتن تمنع وإذا تجملت له الأكاذيب ترفع وتسامى.

وعلى العقلاء التثبت بالرجوع إلى المصادر الأصيلة لاستقاء المعلومات، قال تعالى في تقنين هذه المعالجة المرجعية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب:٨٣).

وهنا، أجد من المهم التنويه بأنه يتعين على الدولة ألا تتأخر على الناس في بيان وجوه الحق فيما يقع من فتن وما يثار من شائعات أو يدور من افتراءات حسما للفوضى وقطعا لطريق الفتنة على قالة السوء!

وغير خاف على كل بصير بأحوال عالمنا المعاصر ضخامة الكلفة التي تتكبدها الشعوب نتيجة الشائعات خصما من أمنها واستقرارها واستقلالها ووحدة أراضيها؛ ولذلك يتعين تبذير الإجراءات التشريعية اللازمة لصيانة مجتمعاتنا من خطر تلك الآفات الاجتماعية والأوبئة الحضارية التي تكلف الشعوب وجودها آمنة مطمئنة.

ومهما يكن من أمر، فإن طبيعة الالتزام الأخلاقي الفردي تفرض على رعايا كل دولة التحلي بفضائل الأخلاق، والترفع عن الاشتغال بالشائعات، وتداول التآويل المرجفة للأحداث صونا للبلاد، ووقاية للعباد من الفتن والأزمات.

فلا يعقل أن نظل فريسة للشائعات، بينما تسعى الأمم والشعوب بجد ودأب إلى النهوض والبناء والتنمية وتعمل الدول على تحقيق أفضل فرص الحياة الحرة الكريمة لرعاياها؛

ومن ثم، فلا بد للدولة، في هذا السياق، أن تكون مستندة إلى ظهير شعبي قوي متماسك مؤمن برسالته عارف بغاياته وأهدافه... لا تؤثر فيه شائعة ولا تفت في عضده مقولة... مؤثرا الصمت والتزام السكون والإمساك عن الخوض في الشائعات مراعاة للمصلحة الوطنية على ما سواها، والتماس كل الوسائل الخليقة بتحقيق أكبر قدر من التساند والتعاضد في المجال المشترك لكل من مؤسسات المجتمع والدولة، أملا في المداومة على فروض التحضر والرقي والازدهار!

الهوامش

١- محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، جـ٨، ص١٨٨.

٢- نخبة من العلماء: الموسوعة الفقهية الكويتية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٤هـ، جـ٣، ص٨٠، وجـ٤، ص٢٨٥ و٢٨٦.

٣- محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت:١٢٥٢هـ): رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر- بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ط٢، جـ٢، ص٣٩٠.

٤- زيدان عبدالباقي: وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٤٤٧.

٥- جان ميزونوف: علم النفس الاجتماعي، تعريب: هالة شبؤون، منشورات عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٠٦، بتصرف.

٦- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، جـ١، ص٢٢٠.

٧- ابن منظور: لسان العرب، جـ٩، ص١١٣.

٨- عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، جـ٣، ص٤٦. عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق ابن مندة العبدي الأصبهاني (ت:٤٧٠هـ): المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التميمي، وزارة العدل والشؤون الإسلامية البحرين، المنامة، ج١، ص٣٢٩ وجـ٢، ص٧٢.

٩- كامل محمد محمد عويضة، مراجعة: محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢١.

١٠- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (ت:٥٣٨هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٤٠.

١١- نخبة من العلماء: الموسوعة الفقهية الكويتية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٤هـ، جـ٢٦، ص٢٨٩.

١٢- نخبة من العلماء: الموسوعة الفقهية الكويتية، جـ١٧، ص٢٥٥.

١٣- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه، حديث: ٨١٠٦.

١٤- أخرجه أبو داود عن أبي عبدالله حذيفة بن اليمان، حديث: ٤٩٧٢.

١٥- أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي شريح الخزاعي، حديث: ١٠٢.

١٦- أخرجه ابن ماجه في السنن عن أبي هريرة، حديث: ٣٩٧٦.

١٧- رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص، حديث: ٦٨٢٧.

عبدالحليم حفينة
دار الإعلام العربية
القاهرة

سم مدسوس في لُحمة المجتمع

في عالم الفضاءات المفتوحة، أصبح للمعلومة سلطة لم تكن لأحد من قبل؛ ملايين المعلومات تنتقل في أقل من الدقيقة عبر أرجاء المعمورة، فغدت الشائعات سم خفي يسهل دسه في المجتمعات الإسلامية، لتختلط الحقائق بالأكاذيب، ومن ثم أصبحنا نعيش حالة هلامية من الوعي المشوه.

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من علماء الدين، الاجتماع، النفس، السياسة والإعلام لمحاولة فهم هذه الظاهرة وأبعادها وسبل علاجها، قبل أن تستفحل وتفتك بوحدة ولحمة المجتمع المسلم.

نبدأ مع د. هبة عيسوي أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس، زميل الجمعية الأميركية للأطباء النفسيين، التي ترى أن وجود الشائعات يقوم على قطبين؛ قطب مرسل وآخر متلق، يعتمد المرسل أو صانع الرسالة على معلومة بسيطة مرتبطة بقضية يحيط بها تعتيم كبير، وسرعان ما تتلقفها الألسن، فيما يشبه كرة الثلج، حتى تصل المعلومة الأصلية إلى مرحلة من التشوه، مرتبط بالتشويق والإثارة، ثم يبدأ الأمر في الانتشار.

حرب نفسية

وتوضح د. هبة أن أهواء صناع الشائعة مختلفة، فهناك مغرضون ينتفعون منها لتحقيق أجندات خاصة، وهناك أيضا أشخاص يعانون من فقدان كثير من المهارات الاجتماعية، وغياب التحقيق الذاتي، الأمر الذي يدفعهم إلى اختلاق أكاذيب لجذب الناس نحوهم، ويتجلى ذلك في الأشخاص الذين يتعمدون نشر أخبار كاذبة عبر وسائل التواصل الاجتماعي دون أن يتحققوا منها.

د. ياسر عبدالعزيز: خطة شاملة لمواجهتها من ٤ خطوات

وبخصوص المتلقي، تحدد أستاذ الطب النفسي أنماط الأشخاص الذين يتفاعلون مع الشائعات، وينحصرون في ثلاث فئات:

- العدواني السلبي الذي يتعمد نشر كثير من الأكاذيب التي يؤذي بها الناس.
- الشخص الاعتمادي الذي يرتكز على أشخاص آخرين لنشر معلومات لم يتحقق من صحتها.
- أما النمط الثالث فهو المقلد الذي يفتقد مهارات التجديد والابتكار.

وتابعت: نستطيع أن نرى الأنماط الثلاثة فيمن يقومون بمشاركة معلومات كثيرة على مواقع التواصل الاجتماعي دون تحقق أو مراجعة، وتنهي «عيسوي» حديثها، مؤكدة أن الشائعات توصف في علم النفس

السياسي بأنها نوع من أنواع الحروب وهناك وقائع تاريخية كثيرة تدل على ذلك.

حادثة الإفك

من جهتها، أوضحت د. نوران فؤاد أستاذ علم الاجتماع السياسي بجامعة عين شمس، أن الشائعات موجودة في كل زمان ومكان، على امتداد فصول التاريخ، وهي دليل على تضارب الفكر والأهواء داخل المجتمع الإنساني؛ حضري أو ريفي أو مهمش بينهما، فالشائعة منتشرة بقدم التاريخ ولم تخل منها المجتمعات، وعلميا تحتوي الشائعة على ١ في المئة على الأقل من المصداقية، فعادة لا تخرج الشائعة دون سبب ومسبب.

ووفقا لأستاذ علم الاجتماع السياسي فإن الشائعات تمتد بجذورها من الأجداد والآباء الأوائل، فليس أصعب من حادثة الإفك في التاريخ الإسلامي، وإن قلنا تجاوزا «شائعة الإفك» التي استهدفت تدمير بيت النبوة وأواصر الثقة المجتمعية فيه، بل والإنسانية بين مكوناته، لكن كانت الشائعة درسا يدرس في مواجهة الأسرة الإسلامية لها ودحض سبل تصديقها وسريانها في عضد الدولة الاسلامية كسريان النار في الهشيم، ويؤكد هذا الدرس على أن الأهم من الشائعة ونشرها وتصديقها هو كيفية مواجهتها والقضاء عليها في مهدها.

وبخصوص تأثير مواقع التواصل الاجتماعي، تقول «فؤاد» إن الحديث عن هذه المواقع ينتقل بنا من فوهة التاريخ الإسلامي القديم إلى خيال الفضاء الإنساني المعلوماتي الحديث؛ لنجد سيطرة وسائل التواصل الاجتماعي على الفرد والمجموعة والمجتمع وتعميم المعلوماتية خطأ أو صوابا في أرجاء الكون، وهو ما

د. هبة عيسوي: نوع من الحروب النفسية التي تستهدف تفتيت المجتمعات

يلقينا في هموم أكثر ومخاطر لا حصر لها، وبالتالي فإن ما يضر المجتمع الإسلامي في عقائده وثوابته وشخوصه يتداول بشكل دائري بسرعة اتصالية خاطفة، قد تؤدي إلى تدمير العقائد والثوابت والتشكيك بكل شيء والإلحاد عن كل منطق إسلامي وهو ما نعتبره سيفا حداثيا بتارا أمضى من أسلحة الخارج النووية، متصل بالعقل والفؤاد وليس الجسد ولا مظاهر الحياة المادية.

وعن مواجهة انتشار الشائعات تقول «فؤاد» إن هذه المواجهة مهمة صعبة، ليست هينة، ومطروحة على كل منصات العلم، وترتكز الخطوة الأولى في تحري المصداقية والشفافية فيما يصدر عن الدولة من معلومات، لأن كل ما يجري إخفاؤه أو تدليسه سيتحول إلى شائعات سخيفة ومغرضة تضر بالكيان الاجتماعي والإنساني ككل، ثم تجيء خطوة تالية وهي بناء وسائل تواصل اجتماعي موازية لكل ما هو كذب وافتراء، والرد عليه بتفنيده وإيضاح أسباب ومسببات انتشاره، إضافة إلى اختيار العناصر القيادية الوطنية الناجعة في الإشراف على المهمتين وبكفاءة دون وساطة ومحسوبية، فخطورة الوضع تنحو بمجتمعاتنا الإسلامية إلى تلك التطبيقات، فلا منا تأخرنا على

د. نوران فؤاد: دليل على تضارب الفكر والأهواء داخل المجتمع الإنساني

الركب المعلوماتي، ولا تركنا الحبل له على الغارب فاختلط الحابل بالنابل.

غياب الشفافية

من جهته، قال د. عبدالمنعم سعيد أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية إن الشائعات هي وقائع غير صحيحة، وتقدم للرأي بطريقة تجعلها تبدو مقنعة وتنضوي في العلم تحت اسم «الحرب النفسية»، لأن وقائع الشائعة لها تأثير نفسي على المتلقي، فهي تستهدف المشاعر أكثر منها تستهدف العقل، وتضع المجتمعات في موقع الخطورة، وتقع في موقف مضاد للمعرفة فهي عكس الحقيقة تماما، وقد تؤدي في كثير من الأحيان إلى حدوث صراعات وانشقاقات في المجتمع، وتستخدم في الحروب أيضا كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية، وهي فترة غنية بالشائعات، خاصة في معركة إنزال «نورماندي»، عندما خدع الحلفاء الألمان وسربوا إليهم معلومات خاطئة حول موقع الإنزال، وأوهموا القيادة العسكرية الألمانية وأدولف هتلر بحتمية وقوع الإنزال العسكري عند منطقة «باد كاليه» الفرنسية، لكن عملية الإنزال الحقيقية حدثت في «نورماندي».

ويشير أستاذ الاقتصاد والعلوم السياسية إلى أن دور وسائل التواصل الاجتماعي مهم في هذه المسألة ويرتبط بشكل مباشر بنقل المشاعر التي تعتمد عليها الشائعات، فلا يوجد ثمة علاقة بين وسائل التواصل الاجتماعي والمعرفة أو تداول المعلومات، فهي مجرد وسيلة لنقل الانفعالات، ويمكن من خلالها رصد مشاعر الناس ليس أكثر من ذلك.

وعزا «سعيد»، انتشار الشائعات في أحيان كثيرة لغياب الشفافية وعدم توافر المعلومات للرأي العام، وبالرغم

من ذلك هناك معلومات كثيرة يتم نشرها، خصوصا على المواقع الخاصة بالحكومات ولا يتعاطى معها الناس بجدية، وربما يرددون معلومات على عكس المتوفر منها، وهو ما يرجعه إلى غياب اهتمام الناس وتراخيها في البحث عن المعلومة بالرغم من توافر كل الوسائل التكنولوجية التي يمكن من خلالها التأكد من صحة المعلومات.

أسرع انتشارا

في سياق متصل، يرى د. صفوت العالم أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة أن السبب في انتشار الشائعات على مواقع التواصل الاجتماعي ليس له علاقة بوسائل التواصل ذاتها، إنما يكمن في غياب وتأخر الإعلام الرسمي في تغطية الأخبار الحيوية، وهو الأمر الذي يفتح المجال أمام الناس لمشاركة أخبار كاذبة عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

ويوضح أن لوسائل التواصل الاجتماعي دورا مهما في تداول المعلومات وبالطبع في القلب منها الشائعات، وفي هذا الشأن نشرت دراسة في العام ٢٠١٨م أجراها معهد «ماساتشوستس» للتكنولوجيا توصلت إلى أن المعلومات الخاطئة على مواقع التواصل الاجتماعي تنتقل أسرع ست مرات من الحقائق؛ لتصل إلى أكبر عدد من الناس، الباحثون القائمون على الدراسة أعدوا أكثر من ١٢٦ ألف قصة تم نشرها خلال عدة ملايين من المرات، بين عامي ٢٠٠٦م و٢٠١٦م، وتوصلوا إلى نتيجة مفادها أن الأخبار المزيفة يتم نشرها بشكل أسرع وأعمق وأوسع نطاقا من الحقائق في جميع فئات المعلومات، وفقا للدراسة التي نشرت في دورية «science» العلمية.

د. عبدالمنعم سعيد: انتشارها مرتبط بغياب الشفافية وحبس المعلومات

وأضاف «العالم» أن سبب انتشار الشائعات يرجع إلى تجاهل الإعلام الرسمي للموضوعات المهمة ذات القضايا التي تحظى باهتمام الجمهور، وأيضا عندما يكون هناك إعلام مضاد يتناول قضايا لا يتم تناولها في الإعلام الرسمي، فإن هذا الأمر يساعد بالضرورة على انتشار الشائعات، ويدلل العالم على هذا الحالة بتناول الجمهور لمشاكلهم الحياتية دون وجود رواية رسمية، ما يدفع لزيادة حدة الشائعات ورواجها.

خطوات المواجهة

من جهته يقول د. ياسر عبدالعزيز الخبير الإعلامي: «إن الجهود المبذولة لمواجهة الشائعات صعبة ومعقدة، وذلك يرجع لعوامل اختلاق الشائعة وطبيعة المسار الذي تتخذه لتحقيق انتشارها، ومع ذلك فإننا لا نمتلك ترف التصدي لها، وفي هذا الشأن أقترح أربع خطوات ضرورية لمواجهة أثر الشائعات والأخبار الزائفة، وهذه الخطوات لا تتضمن سن قوانين عقابية، لكنها تحتاج إرادة وعملا مدروسا لتؤتي ثمارها في المديين القريب والمتوسط».

- الخطوة الأولى تتمثل في علاج الحالة المعلوماتية في مجتمعاتنا، وتحويلها إلى حالة تتمتع بالكفاءة والشفافية، ويتحقق ذلك عبر صدور قوانين تتيح تداول المعلومات، وهي ليست من قوانين الردع والتقييد، لكن من قوانين الإتاحة، فعندما تتوافر المعلومات الدقيقة، سينحصر بالضرورة التزوير والتلفيق، وستتمكن بذلك الأخبار الصحيحة من دحض نظيرتها الزائفة وتحييدها بعيدا عن مجال التأثير.
- أما الخطوة الثانية فترتبط بتوفير برامج تدريب للعاملين في المهن ذات الطبيعة الصحفية والإعلامية المرتبطة بتداول المعلومات، وبفضل هذا التدريب والإعداد، يستطيع الصحفيون التعاطي مع المعلومات الواردة من وسائل التواصل الاجتماعي.
- ثالث الخطوات ترتبط بإصدار أدلة مهنية تنظم التعامل مع المعطيات المتوافرة في وسائل التواصل الاجتماعي، وتوضيح طرق استخلاص الحقائق منها.
- الخطوة الرابعة تتمثل في «التربية الإعلامية»، التي تستهدف توعية الجمهور بأساليب تلقي المادة الإخبارية، والتمييز بين الحقيقي منها والمزيف.

ويختتم الخبير الإعلامي بقوله: تلك خطة شاقة وطويلة الأمد، لكنها أفضل كثيرا من الكثير من الحلول التي تتمثل في فرض القيود والعقوبات.

د. صفوت العالم: تقاعس الإعلام الرسمي عن نشر الحقائق يعززها

مسؤولية دينية

وعن رأي الدين، يقول د. ربيع الغفير، الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر: إن الشائعات من أخطر الموضوعات التي أكد الإسلام قرآنا وسنة على الحذر منها، وعلى تجنبها لما لها من أضرار بالغة على عقيدة الإنسان وسلامة المجتمع

وترابط أبنائه، فكم من بيوت خربت، وكم من علاقات قطعت، وكم أواصر هدمت، وكم من أطفال شردت، وكم من أسر حطمت، بسبب شائعة أو كلمة لم يحسب لها حساب.

وفي هذا السياق نجد أن الله سبحانه وتعالى عبر نشر الشائعة بحب إشاعة الفاحشة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩)، وبعدها مباشرة نجد الحق سبحانه وتعالى في سورة النور، يذكر أن الكلام الخبيث يخرج من الأشخاص الخبيثين، والكلمات الطيبات تخرج من الاناس الطيبين، فقال سبحانه: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ (النور:٢٦)، أيضا حذر النبي ﷺ من الشائعة عندما فقال في الحديث الذي روي مرفوعا وموقوفا على أبي الدرداء، وأورده المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب»: «أيما رجل أشاع على امرئ مسلم كلمة، وهو منها بريء؛ ليشينه بها، كان حقا على الله أن يعذبه بها يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاذ ما قال، فمن أخطر ما يمكن أن يشيع الإنسان كلمة على إنسان بريء بغرض أن يشوهه بها وهو منها براء.

وأكد «الغفير» أن مسؤولية المجتمع تجاه الشائعات هي مسؤولية مشتركة، فكل فرد عليه قسط من المسؤولية للتحذير من هذه الشائعة ومن التأثر بها ومن نشر الكذب والبهتان فيها، فعلى رجل الدين سواء كان داعية أو أستاذا جامعيا، أو أي شخص أن يحذر منها، كل في مجاله، فالجميع محمل بهذه

د. ربيع الغفير: الشريعة الإسلامية حذرت منها وحثت على تجنبها

المسؤولية العظيمة لدفع الشائعات، وإلا إذا غرقت السفينة لا قدر الله، وأصبح الخرق أوسع من الراقع لن ينجو أحد، والحديث الشريف الذي رواه «البخاري» خير دليل على هذا، عندما قال الرسول ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (صحيح البخاري).

تفتت عرى المجتمع

من جانبه، يقول د. خالد عمران أمين لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف المصرية، إن الشائعات تحاول أن تنال من ثقة الناس بعضهم ببعض، وهي مرض يفصل عرى المجتمع، لذلك الدين أمرنا بالتثبت، ونهى على أقوام: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾، ثم أرشد إلى السبيل فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ (النساء:٨٣)

د. خالد عمران: تفتت عرى المجتمع.. والإسلام أمرنا بالتثبت

القرآن أرشدنا إلى ألا نتعجل في سماع هذا، وحتى مجرد السماع القرآن ينهى على من يفعله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (التوبة:٤٧)، وقال في أقوام آخرين: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ (المائدة:٤٢)، تخيل أن مجرد الإصغاء والسماع إرضاء لشهوة الإنسان أحيانا في أن يعرف هذا، يعاتب عليه الإنسان، وفي عصر وسائل التواصل الاجتماعي، مجرد أن يتابع الإنسان المواقع التي تبث الشائعات، فيه عتاب شديد عليه.

ويوضح «عمران» أن الشائعات خطر كبير، ومرض يحاول نشره من يريد النيل من المجتمع المسلم ومن الدول الإسلامية، وهؤلاء يبذلون لذلك بذلا كبيرا حتى يصلوا إلى أهدافهم الخبيثة للنيل من المجتمع المسلم، لذلك على الإنسان أن يملك زمام نفسه، خصوصا في هذا العصر الذي يمكن لأي أحد أن ينشر أي شيء، لذلك أصبحت مسؤولية الإسلام عن عقله وعن نفسه أكبر بكثير، وهذا هو المعنى الذي أستشفه من حديث النبي ﷺ عندما الذي رواه أبو ثعلبة: «إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك» هذا تعاظم للمسؤولية عن النفس، وهو أيضا مصادقا لقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:١٠٥).

د. مجدي فتح الباب
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

كيف نواجه ظاهرة الشائعات؟

ليس بغريب ولا عجيب أن يهتم الإسلام بمواجهة الشائعات، فالشائعات لها آثارها الخطيرة السلبية على المجتمعات، لاسيما في أوقات الشدة التي تمر بها أي أمة.

فآثارها النفسية: منها الوهن والضعف، والتردد، والاضطراب في التفكير واتخاذ القرار، وأما آثارها الحسية: فإن انتشار الشائعات يؤدي إلى إحداث الفوضى، وتوليد العنف، وانفراط عقد المجتمع، وتقويض أركانه.

ولا يروج لهذه الشائعات إلا كل لئيم يريد جر المجتمع إلى السوء، وإيقاع الأضرار بالآمنين، ولا يمسك لسانه عنها إلا كل كريم، ليحافظ على الأرض والعرض والأرواح، والأمن والأمان، فالإمساك عن ترويج الشائعات عمل مقدس.

فما آداب الإسلام في مواجهة الشائعات وضبط اللسان؟

أول هذه الآداب: الرجوع إلى المصادر، وإمساك اللسان عن كثرة الكلام، وترديده، ونشره بغير بينة، أو تثبت.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:٨٣).

وعن حفص بن عاصم رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»[1].

فإمساك اللسان سمة من سمات المؤمنين بالله واليوم الآخر.

قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[2].

- ضرورة حسن الظن: وعدم المسارعة في اتهام الآخرين، وهذا دليل على صفاء النفس، وسلامة الصدر، وصلاح القلب.

قال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»[3].

- الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص في بيان الحقائق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ

يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:٨٣).

سبل المواجهة

نبدأ بالصحابة رضي الله عنهم الذين تربوا بين يدي النبي ﷺ، وأخذوا بحظ وافر من حسن الخلق، فسيد الخلق ﷺ بينهم، والوحي يتنزل عليه، وهم يقتفون أثره، ويقتدون بسنته.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بلغه أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فجاء من منزله حتى دخل المسجد، فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على النبي ﷺ، فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ فقال: «لا». فقلت: الله أكبر.

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: «لا». فقمت على باب المسجد، فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق النبي ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء:٨٣).

قال: فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر، ومعنى يستنبطونه: أي يستخرجونه من معادنه.

يقال: استنبط الرجل العين -عين الماء- إذا حفرها واستخرجها من قعورها[٤].

فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يتكلم ولم يردد الكلام أبدا، بل جاء إلى النبي ﷺ وتثبت من الخبر، فلما تثبت نادى بأعلى صوته ليسمع الناس حقيقة الأمر، وليقطع الألسنة، ويكفها عن الخوض فيما لا يعلمون.

- حادثة الإفك:

ترددت شائعات تروج للطعن في عرض الصديقة بنت الصديق، روج لها البعض -وقد كانوا قلة- فما كان من النبي ﷺ إلا أن أمسك لسانه حتى نزل القرآن الكريم يبرئ السيدة عائشة من فوق سبع سماوات بآيات من سورة النور، بعدما انقطع فترة من الزمن.

وقد جلد في حادثة الإفك رجلان وامرأة: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، أخت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - في هذا المجتمع الكبير الذي أمسك عن الخوض في الباطل وترديد الشائعات.

وقد عاتب القرآن الكريم من شارك ترديد هذه الشائعة بقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (النور:١٥-١٦).

فكأنهم سارعوا إلى إذاعة الشائعة، ولم يسمعوا ولم يعقلوا ما قيل.

وكان حريا بمن يسمع هذه الشائعة أن يتأنى ويتثبت، ويتوقف مع نفسه ليعقل الكلام ويعرف عظم هذه الشائعة النكراء، ويكف لسانه عن الخوض فيها، وينزه بيت النبوة عن هذا الإفك الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور:١٦)[٥].

- الفراغ مرتع خصب للشائعات:

إن المجتمع الذي يفسح الطريق للشائعات ويمهد لها السبيل، مجتمع تشغله توافه الأمور، وسفسافها، ورديئها، ويرفل في ثياب الترف، وينصرف عن عظائم الأمور، فلا يلقي لها بالا.

وفي وصايا لقمان: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان:١٧).

فهو يوجه ولده إلى عدم الانشغال بتوافه الأمور بل بمعاليها.

يقول ﷺ: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»[٦].

وأنشد أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة

مفسدة للمرء أي مفسدة

إن الفراغ والخمول والكسل من أكبر الأسباب لرواج الشائعات وانتشارها، فالعمل والإنتاج يعملان على مقاومة الشائعات.

-حذار!

إن الشائعات من أخطر الحروب المعنوية، وأشد الأسلحة فتكا بالأمم، وأعظمها خطرا، وأشدها تقويضا لأركان المجتمع.

إن الشائعات وجه كالح للنميمة، لأنها تحرش وتوقع بين الناس، وازدادت خطورتها في وقتنا الحاضر حيث ساعد على انتشارها ورواجها الإعلام، والفضائيات، والتلفونات الذكية، وأجهزة التواصل، والإنترنت، مما يجعل انتشارها أسرع من نسمات الهواء، وذرات الغبار، فهي تخترق الآفاق في لحظات يسيرة، لتشغل العقول والقلوب، وتبث العداوة، والبغضاء، والفتن.

لابد من رصد حركة الشائعات وإجهاضها في مهدها، ولا نفسح المجال للتلاعب بأمتنا عبر هذا السلاح الفتاك.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور:٦٣).

الهوامش

١- رواه مسلم/٤٤٨٢.
٢- البخاري ومسلم.
٣- متفق عليه.
٤- ذكره ابن كثير - تفسير الآية ٨٣/ النساء.
٥- روضة الأنوار في سيرة النبي المختار للمباركفوري ص١٩٩ بتصرف.
٦- رواه الحاكم في مستدركه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

محمود خليفة
باحث دراسات إسلامية

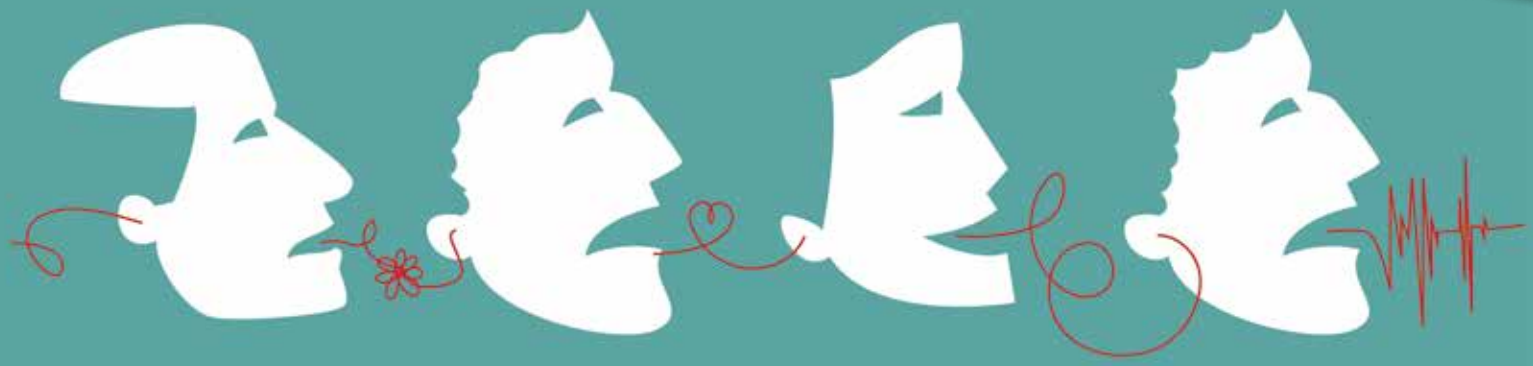

الشائعات.. نماذج من تاريخنا الحديث

الشائعات من أخطر الأسلحة المدمرة للمجتمعات والأشخاص على السواء، فكم أشعلت من حروب، وكم أهلكت من قرى، وكم انهارت من جيوش بسبب الشائعات، ومما لاشك فيه أننا اليوم في زمن السرعة والتطور التقني وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي والتي تعد المنصة الأكبر لإطلاق وترويج الشائعات التي لا يتفقد أغلبنا صحة مصدرها ولا يكلف نفسه عناء ذلك، حتى أصبح الناس في خضم بحر لجي يصعب الخروج منه، تائهين بين الحقيقة والشائعة.

ونظرا لقلة الوعي، وسرعة تداول الأخبار والمعلومات دون تحري مصدرها، أصبحت الشائعات أكثر رواجا وأبلغ تأثيرا، وسلاحا خطرا يفتك بالأمة ويفرق بين أهلها ويسيء ظن بعضهم البعض.

ونظرا لما تتعرض له أمتنا العربية من مؤامرات تستهدف ضرب أمننا واستقرارنا العربي، تعرضت العديد من دولنا العربية في الفترة الأخيرة لحملات من التضليل وإشاعة الأخبار المغلوطة، نعرض في السطور التالية أبرز هذه الشائعات التي كان لها تأثير كبير في السنوات الماضية.

فقد رصد مركز إعلامي تابع لمجلس وزراء دولة عربية كبرى انتشار بعض الشائعات في الفترة من ٢٣ مارس حتى ٤ أبريل ٢٠١٧م تستهدف زعزعة استقرارها، ولأن تداعيات هذه الشائعات غير مأمونة العواقب، حرص مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس وزراء هذه الدولة على التصدي لها ومتابعة ردود الأفعال لتوضيح الحقائق كاملة حول تلك الموضوعات، وكان من أبرز تلك الشائعات اعتزام الحكومة زيادة سعر بعض السلع التموينية، حيث أدى انتشار هذه الشائعة إلى قيام العديد من الناس بشراء كميات كبيرة من هذه السلع لتخزينها مع عدم الحاجة إليها، قبل تطبيق الأسعار الجديدة، الأمر الذي أدى إلى نقص شديد في المعروض بالأسواق، وتبع ذلك ارتفاع كبير في سعر تلك السلع نظرا لنقص المعروض منها عن المطلوب نتيجة لزيادة الطلب عليها.

فلولا هذه الشائعة لما حدث الخلل بين المعروض والمطلوب ولظلت الأسعار في حالة اعتدال.

كذلك ظهرت شائعة فحواها زيادة سعر جلسات الغسيل الكلوي بسبب ارتفاع المستلزمات والمحاليل الطبية المستخدمة.

فالمرضى وذوو الرعاية لم يسلموا من ترويج الشائعات، لكن تم نفي تلك الأخبار بشكل قاطع والتأكيد على أن الدولة ستتحمل زيادة سعر جلسة الغسيل الكلوي للمرضى الذين يعالجون على نفقة الدولة وكذلك مرضى التأمين الصحي على الرغم

من ارتفاع أسعار الفلاتر والمحاليل والأدوية.

أما الإشاعة الأخرى فقد كانت عن انتقال عدوى فيروس الجلد العقدي -الذي يصيب الماشية- إلى الإنسان حيث تسبب تداول هذا الخبر عبر شبكات التواصل الاجتماعي في حدوث ذعر بين الناس، والخوف من انتقال العدوى وتفشي هذا المرض، وقامت وزارة الصحة التابعة لهذه الدولة العربية بنفي هذا الخبر، وأكدت عدم انتقال الفيروس للإنسان بأي شكل من الأشكال، خصوصا أن الوزارة تقوم بحملات مكثفة كل ٦ أشهر لتحصين الماشية، بالإضافة إلى تشكيل لجنة لمتابعة انتشار الفيروس في المحافظات المصابة، إضافة إلى تشكيل الوزارة لجنة لمتابعة انتشار أي فيروسات بالمحافظات، وفي دولة عربية ثانية، صنف مركزها الإعلامي عام ٢٠١٨م بعام الشائعات؛ حيث صرح في تقرير صادر عنه بتاريخ ٢٠١٨/١٢/٣١م بأن هناك ٢٧٤ شائعة في ٨ أشهر ٧٣ في المئة منها مصدرها وسائل التواصل الاجتماعي و٢٧ في المئة من مصادر خارجية تناولت شؤونها الداخلية بمعدل ٣٤ شائعة شهريا.

وكان من أبرز تلك الشائعات التي تم ترويجها خلال هذه الفترة ظهور سيول ووقوع إصابات، فبعد وقوع حادثة أدت إلى وفاة ٢٢ شخصا رصد المركز الإعلامي لهذه الدولة في ٢٠ أكتوبر ٢٠١٨م، تداول بعض الشائعات والأخبار المغلوطة حول الحادثة، وقد تم تداولها بشكل واسع عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومن أبرز تلك الشائعات أيضا فتح بوابات السدود، والربط بين الحادثة وانهيار جسر في البحر الميت، ووجود مصابين، وتدفقت السيول في العديد من المدن

والمحافظات التابعة لهذه الدولة على خلاف الحقيقة.

كما رافق هذه الشائعات تداول فيديوهات وصور مزيفة لإنقاذ أطفال خلال السيول.

وفي دولة عربية أخرى رصدت وكالة الأنباء التابعة لها فبركة أخبار وتقارير مغلوطة للنيل من أمنها واستقرارها.

ففي عام ٢٠١١م حاولت الشائعات تأجيج الطائفية وإشاعة الفوضى في ربوعها، استخدمت في هذه المؤامرة ترسانة كبيرة من الشائعات والتقارير المفبركة، شاركت فيها عشرات من مراكز الأبحاث وتم تصديرها للمجتمع عبر وسائل الإعلام المضللة وكادت هذه التقارير والإحصائيات المزيفة أن تجر هذه البلاد إلى صراع طائفي لا يعلم عواقبه إلا الله، ولكن العناية الإلهية تدخلت، وأدرك شعب هذا البلد الطيب أهله، حقيقة المؤامرة، وقامت من كبوتها لتستكمل مسيرة البناء والتعمير والتقدم.

من هنا تتضح لنا أهمية التحذير من خطورة الشائعات وأثرها على أمن المجتمعات والدول، والتنبيه على خطورة الكلمة، فمروج الشائعة مجرم مقصر في حق دينه، خائن لوطنه وأمته، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ (الأنفال:٥٨).

وعلى كل عاقل متدبر أن يستشعر المسؤولية الوطنية تجاه بلده، ولا ينجرف وراء أخبار مكذوبة أو مفبركة، أو يساهم في نشرها وتداولها قبل التثبت من صحتها، وإيعازها إلى مصادرها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (النساء:٨٣).

علاء عبدالفتاح

صرح ثقافي جديد في سماء الكويت

تتضاعف فرحة افتتاح أي صرح ثقافي إسلامي إذا كان الافتتاح مصحوبا بقطف ثمرة نضال لتذليل عقبات وقفت بحكم الروتين في سبيل استكمال هذا الصرح وبدء فعالياته، وهذا ما حدث في مكتبة من أهم المكتبات في الشرق الأوسط نظرا لما تحتويه من مخطوطات وموسوعات علمية تساعد ليس القارئ النهم لمعرفة هذا الجانب فحسب وإنما طلاب الدراسات العليا المتخصصين في العالم الإسلامي كله الباحثين عن كنوز المخطوطات ونفائس الموسوعات.

أفكار خارج الصندوق لجذب كل الشرائح العمرية منها مسابقة للمساهمين في التعاونيات

عندما حضر وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية فهد علي الشعلة ذاك الصباح إلى مقر المكتبة بصحبة قيادات الوزارة لم تكن هذ المرة الأولى التي يرى فيها هذا المجسم المميز، وإنما كانت هي المرة الأولى التي يرى فيها ضوء الشمس منعكسا على أرفف الكتب وقاعات أطفال المستقبل وصالة المخطوطات النادرة.. ثلاثة طوابق عامرة بالذخائر، وعشرات الموظفات والموظفين منتشرات ومنتشرين هنا وهناك لتقديم سلعة كادت أن تخبو في زمن الاتصالات السريعة والمعلومات غير موثوقة المصدر عبر وسائل اتصال غزت النشاط اليومي.

تكريم وزير الأوقاف يشهده مدير قطاع الإفتاء ومدير المكتبة

هنا محاولة أخرى جادة لعودة قيمة القراءة وفوائدها إلى المجتمع.

ولم تكن إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية التابعة لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية بالوزارة بمنأى عن هذا الدور الثقافي المهم، إذ يرأسها شاب يسعى بأفكار (خارج الصندوق) لجذب كل الشرائح إلى هذا الصرح المنير هو مشعل العتيبي، بعد عرضها بالطبع وأخذ الموافقات اللازمة من قطاع الإفتاء الذي يتولى مسؤوليته عيسى أحمد العبيدلي الوكيل المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية.

في الافتتاح يؤكد وزير الأوقاف فهد الشعلة أن الوزارة استطاعت خلال فترة وجيزة تجاوز بيروقراطية العمل التي أدت إلى تأخر افتتاح مكتبة الصباحية منذ عام ٢٠١٣، وأنه بفضل جهود العاملين في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية استطاعت وزارة الأوقاف افتتاح هذا الصرح المهم الذي ستعود ثمار فوائده على الجميع، وقد أوضح الشعلة كيف أن المكتبة تضم أقساما متخصصة لأول مرة في هذه المنطقة.

وفود المدارس

الجديد أيضا كما يقول الوزير الشعلة أنه تم توجيه القائمين على العمل في إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية للتنسيق المكثف مع مدارس وزارة التربية لتمكينهم من زيارة المكتبة والاستفادة من محتوياتها لاسيما -والحديث للشعلة- أن قراءة الكتاب لها لذة خاصة يجب تنميتها لدى الناشئة مرة أخرى.

افتتحها وزير الأوقاف الكويتية بعد إزاحته لأحجار البيروقراطية

أما مدير إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية مشعل العتيبي فقد صرح لـ«الوعي الإسلامي» بخبرين يسران القلوب، أولهما: أن الإدارة بصدد إنشاء مركز إعلامي يبث أنشطة المكتبة وبرامجها بشكل دوري بالتنسيق مع إدارة الإعلام بالوزارة. وثانيهما: أن ثمة مسابقة سيعلن عنها في القريب العاجل متاح الاشتراك فيها لجميع الأعمار هدفها تشجيع الاطلاع والبحث وجوائزها تناسب تحقيق هذا الهدف النبيل.

وقد ثمن العتيبي حضور وزير الأوقاف حفل الافتتاح واصفا إياه بأنه يعد نجاحا في العمل المؤسسي بعدما تأخر هذا الافتتاح سنوات طويلة، لكن بتوجيهات من الوزير

الباحث نايف العجمي متحدثا إلى محرر «الوعي الإسلامي»

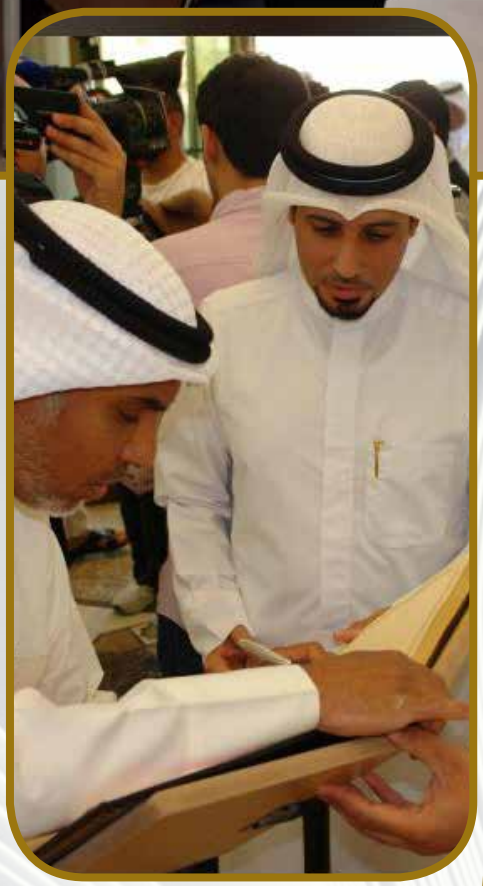

وبجهود العاملين في الإدارة تم الأمر على خير حال وظهر المبنى الذي يترقبه أهالي المنطقة والمحافظة إلى النور متضمنا مكتبة للطفل تحتوي على العديد من قصص الأطفال متنوعة المواضيع، ومسرحا للعروض التثقيفية وفقا للفئة الزائرة، ومكتبة للدوريات، وأخرى للمجموعات الخاصة، إضافة إلى توفير قاعات تدريبية مجهزة ومسرح ضخم متعدد الاستخدامات، ثم معرض للمخطوطات يتضمن العديد من المخطوطات الأصلية وبعض المخطوطات المنسوخة والأدوات التي تستخدم في المخطوطات أو الترميم.

«الوعي الإسلامي» لم تكتفِ بهذا الموجز فتوجهت إلى مقر المكتبة بمنطقة الصباحية في اليوم التالي للافتتاح لترصد وتسجل بعدستها دقائق هذا الإنجاز.

في البداية استقبلتنا الفاضلة مها العتيبي، مصححة لغوية بالمكتبة، وممن عاصروا مراحل افتتاحها كاملة، واصطحبتنا إلى القاعة الرئيسية حيث يعمل على تصنيف الموسوعة الفقهية الباحث نايف العجمي.

توضح العتيبي كيف أن إدارة المكتبة حرصت على تنويع العناوين ما بين كتب إسلامية متخصصة، وكتب أدبية ولغوية، وكتب أخرى تناسب الناشئة، ولكي تسهل عملية الاطلاع وفرت المكتبة مقاعد وثيرة وإضاءة مناسبة ومنظرا جماليا من مدخل المكتبة بالدور الثالث حيث قاعة الاجتماعات وقاعة المخطوطات (الساير).

جديد المكتبة

نسأل العجمي عن جديد المكتبة فيقول: نعمل على تحويل جميع الكتب والمخطوطات إلى نسخ رقمية بصيغة (بي دي إف) كي يسهل على الباحثين الوصول إليها من خلال أجهزة الحاسب الآلي التي وفرتها إدارة المكتبة.

وعن المخطوطة التي لفتت انتباهه أوضح الباحث العجمي أنها «الآجرومية في علم النحو» إذ تعدى عمرها ٤٠٠ عام وفائدتها معروفة لكل متخصص.

نسأل عن العدد الذي تستوعبه قاعة المطالعة، فيخبرنا أن القاعة الرئيسية تستوعب نحو ٣٠ مطالعا تستقبلهم من السابعة صباحا حتى الثانية ظهرا، ومن الثالثة والنصف عصرا إلى السابعة والنصف مساء، وأن الذين يعملون على توفير ما يطالعونه وتنظيم أمور المكتبة نحو ٢٤ موظفا وموظفة، أما نظام الاستعارة فميسر للجميع لمدة أسبوعين قابلة للتجديد بعد أسبوع

مكتبة المخطوطات الكويتية بالصباحية صرح ثقافي جديد

فاصل يتيح الاطلاع لغير المستعير.

مسرح الطفل

نكمل الجولة مع مها العتيبي كمرشدة عارفة بدقائق المكتبة فنمر على مسرح الطفل بألوانه المبهجة ومقاعده المناسبة ووسائله التوضيحية، ونصادف زيارة مدرسية بالفعل تفتح أمام أذهان براعم الإيمان آفاق المعرفة على طبق من متعة الاطلاع والمشاهدة، وكم كان منظر جلوسهم في القاعة مبهجا للقلب!

ونصعد إلى الطابق الأول، وتستطرد العتيبي كيف خصصت المكتبة قسما خاصا للدوريات يتم استكمال نواقصه يوما بعد يوم كي يوفر للزائر الاطلاع على الصحف والمجلات وكل دورية إسلامية وثقافية ممكنة.

قاعة المجموعات الخاصة

أيضا نمر على قاعة مكتبة المجموعات الخاصة التي أهدتها أسر كبار المثقفين لمكتبة المخطوطات، ونلمح نبذة مختصرة عن كل منها، فهنا مجموعة الشيخ عبدالله العقيل أحد أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، وكان مستشارا في وزارة الأوقاف الكويتية حتى غادر الكويت إلى السعودية عام ١٩٨٦م، وفي الجانب الآخر مكتبة الشيخ محمد صالح العدساني دارس الفقه الشافعي على يد الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وغيرهما الكثير والكثير.

زيارات إلى مسرح الطفل بالمكتبة

وتفتح العتيبي لنا باب المسرح الكبير حيث آلة عرض متميزة وقاعة فسيحة مجهزة بسماعات بالسقف والجهة الأمامية، وهي تصلح -كما تقول- لعرض الأفلام الثقافية والمحاضرات والندوات وغيرها.

نصعد إلى الطابق الثاني بعد الأرضي والأول، ونطلع على قاعة المخطوطات النادرة المزدانة بثريا تليق بالمكان في لمسة جمالية موفقة ممن صممها واختارها.

مكتبة ومسرح وقاعات خاصة للأطفال تشجيعا لهم على التزود بالمعارف من أصولها

المفاجأة

أما المفاجأة فكانت تفكير إدارة المكتبة خارج الصندوق إذ قررت تنظيم مسابقة للمساهمين في جمعية الصباحية وعددهم ليس بالقليل بحيث تكون الأسئلة عن أمور غير معروفة إلا لمن يزور المكتبة ويرى بنفسه عدد قاعاتها والتصنيفات بها أو لون قاعة معينة بها أو مخطوطة بعينها متوافرة بها، وبذلك يضطر المتسابق إلى الدخول إلى المكتبة بنفسه والتجول فيها، وهنا تجذبه المعارف بلذة الحصول عليها وتأخذ بتلابيبه حالة من الصفاء الذهني الذي توفره قاعات المكتبة.

نودع العاملين بهذا الصرح المنير ونمضي نفخر بهذا المنجز الحضاري خاصة بعد أن ودعتنا حديقة المكتبة الخارجية بتصميم جمالي فريد دعانا للزيارة مرة أخرى.

د. خالد صلاح حنفي
أستاذ جامعي

المدرسة وتنمية المجتمع

أولى الإسلام العلم عناية شاملة، وجعل له مكانة مميزة تظهر في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيق العملي لجزئياته، فلم يقتصر الإسلام في ذلك على دور التوجيه إلى طلب العلم فقط، بل دعا إلى التماس وطرق أبواب العلوم بشتى المجالات المتاحة، والسعي إليها ما أمكن حتى يصل الناس جميعا بشتى أطيافهم وفرقهم إلى ما فيه مصلحة البشرية، وتيسير أمورهم الحياتية.

وكانت أول آية نزلت إلى الرسول ﷺ هي: ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق:١)، كما حفل القرآن الكريم بالترغيب في العلم وطلبه، ويعد العلم من أكثر الألفاظ ورودا في القرآن الكريم، سواء بالتعيين أو بما يرادفه، أو ما يرشد إليه، وقد ورد لفظ (العلم) في القرآن الكريم بتصريفاته المختلفة فيما يزيد على سبعمئة وخمسين مرة، مشفوعا معظمها بالدعوة إلى التدبر في آيات الله المسطورة، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣)، والدعوة إلى التفكر في آياته المبثوثة، كما في قوله سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧) ولم يأمر الله -تعالى- نبيه بأن يدعو بالزيادة إلا في العلم فقال الله عزوجل ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل

﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) ومن هنا تنبع أهمية العلم والتعليم والمؤسسات التعليمية في الإسلام.

ماهية المدرسة وخصائصها

المدرسة، في اللغة، اسم مصدر على وزن «مفعلة»، ومشتق من الفعل الماضي «درس». وتعني المدرسة مكانا عاما أو خاصا للتدريس وتقديم المحتويات والمقررات والقيم والمعارف والمعلومات المعرفية والقيم الوجدانية والمهارات الحسية- الحركية. وهنا، يمكن الحديث عن أربعة عناصر: المدرس الذي يتولى مهمة التدريس والتكوين والتدريب؛ والدرس هو المعرفة التي يوصلها المدرس إلى المتعلم؛ ثم الدارس هو التلميذ أو الطالب الذي يتقبل المعرفة؛ ثم قاعة الدرس التي يتكون فيها المتعلم. ومن هنا، فللمدرسة وظائف عدة منها: وظيفة التعليم، ووظيفة التكوين، ووظيفة التدريب، ووظيفة التأهيل، ووظيفة التهذيب، ووظيفة التنشئة الاجتماعية، إلى جانب وظائف أخرى اجتماعية وأيديولوجية وسياسية...

نشأة المدرسة وتطورها

لقد احتاج البشر بتطور الحياة إلى إنشاء المؤسسات المتخصصة للتعليم والتربية، ونجد أن المؤرخين يرجعون تاريخ نشأتها إلى الحضارات القديمة كالفرعونية والبابلية وغيرها حيث أنشئت المدارس في المعابد أو ألحقت بها، كما عرفت الحضارة الإغريقية المدارس الرسمية والتي أنشئت بهدف تجميع الطلبة معا في مكان محدد لأجل التعلم. واعتمدت المدرسة في اليونان القديمة حيث كان يعتمد على المناظرات والنقاشات وكانت المدارس في تلك الفترة تسمى بأكاديمية أنشئت مستقلة.

أما في الحضارة الإسلامية فكان بناء مسجد قباء هو أول عمل قام به النبي ﷺ عند وصوله للمدينة، وهو أول مسجد أسس في الإسلام، وفي ذلك إشارة إلى أهمية دور المسجد في الإسلام، وأنه لا قيام للدولة الإسلامية بغير المسجد، فهو مكان التقاء المسلمين وتقوية الأواصر بينهم، ويعد مدرسة لتعليم المسلمين كل أمور حياتهم، ويتعاون فيه المسلمون على البر والتقوى دون النظر إلى الفوارق الطبقية التي بينهم، وهو مكان تربية الأطفال، ومأوى للفقراء وعابري السبيل، وقبل ذلك فهو مكان يعبد فيه المسلمون ربهم، ويحافظون على إيمانهم، ويقوون علاقتهم بربهم.

ونزل قول الله تعالى في مسجد قباء ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:١٠٨)، كدليل على فضيلة مسجد قباء، وفضل أهله لصلاح نيتهم -رضي الله عنهم- كما روى النسائي عن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة» صححه الألباني في صحيح النسائي.

ويعد المسجد أول مدرسة جماعية منظمة عرفها العرب، لتعليم الكبار والصغار، ولتربية الرجال والنساء، وبقي المسجد يؤدي وظيفتي العبادة والتربية الإسلامية، دون تمييز واضح بينهما، حتى كان عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنشأ في عصره إلى جانب المسجد أو بعض زواياه، كتاتيب للأطفال يتعلمون فيها.

وبتطور الحياة أصبحت الحاجة ماسة إلى اتخاذ مكان يتعلم فيه الصغار، وإلى أشخاص ينوبون عن المجتمع في أداء هذه المهمة، وبدأ إنشاء المدارس في الإسلام في أواخر القرن الرابع الهجري، وكان يقوم بإنشائها بعض الأمراء والملوك؛ إذاعة لنفوذهم، أو خدمة لدينهم، أو نشرا للنور والمعرفة بين شعوبهم، واختلف المؤرخون حول بداية ظهور المدارس في التاريخ الإسلامي، فمنهم من رأى أنها ظهرت في القرن الثالث الهجري، ومنهم من أرجع ظهورها إلى القرن الرابع الهجري، ورأى بعض المؤرخين -مثل الإمام الذهبي وابن خلكان- أن المدارس النظامية التي أقامها الوزير نظام الملك السلجوقي في القرن الخامس الهجري هي أول المدارس في الإسلام، ويمكن اعتبار هذا الأمر صحيحا إذا اعتبرنا أنه أول من أنشأ المدارس الرسمية المعروفة بالمدارس النظامية نسبة إليه والتي طبق فيها مبدأ التعليم العام على نطاق واسع، وأمد هذه المدارس بكل ما تحتاج إليه من كتب ولوازم وعين لها المدرسين والخدم واهتم بالتلاميذ فهيأ لهم المساكن وأجرى لهم الجرايات، وبدأ بإنشاء المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، وانتهى من بنائها وافتتحها للتدريس سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م، وانتشرت المدارس بعد ذلك

في بلاد الخلافة العباسية وصار يطلق عليها اسم المدارس النظامية نسبة إلى مؤسسها، فأقام مدرسة في بغداد وأخرى في بلخ، ومدرسة في نيسابور، ومدرسة بالموصل، ومدرسة بهراة، ومدرسة بأصبهان ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل ومدارس أخرى، وبقي التعليم في هذه المدارس حرا لا مركزيا من حيث المناهج، والكتب والأساليب، مع ارتباطها ماليا بالدولة التي تجري لها الجرايات، وتخصص لها الأوقاف والهبات، دون أن يقيدها نظام معين، أو مناهج محدودة.

ورأى بعض المؤرخين أن المدرسة الحفصية التي أنشأها الإمام أبو حفص الفقيه البخاري في مدينة بخارى في أوائل القرن الثالث الهجري، وبقيت تعمل وتستقبل التلاميذ حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري هي أولى المدارس في التاريخ الإسلامي.

وفي القرون التالية انتشرت المدارس في البلاد والولايات الإسلامية، ومن المدارس المشهورة المدرسة المستنصرية التي بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله في بغداد في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وهي من أحسن المدارس في العالم الإسلامي، حيث احتوت المدرسة على إيوان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة، كما كان كل طالب بالمدرسة يحصل على جراية مقدارها دينار من الذهب مع كل ما يلزمه من مأوى وطعام وشراب، وألحقت بالمدرسة مكتبة كبيرة تضم كتبا من مختلف التخصصات العلمية والأدبية، كما كان ملحقا بها مستشفى فيه طبيب خاص بطلبة المدرسة ومعلميها وموظفيها. ويشير ابن كثير إلى أن بناء المدرسة اكتمل سنة ٩٣٦هـ / ١٢٣٣م، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيها وأربعة معيدين ومدرس لكل مذهب وشيخ حديث وقارئان وعشرة مستمعين وشيخ طب وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتب للأيتام وقدر للجميع من الخبز، واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافرة لكل واحد.

واعتمد الإنفاق على تلك المدارس على ما يصلها من الأموال من الهبات والصدقات ومن الأوقاف. وكان أي فرد يمنح ترخيصا لإنشاء مدرسة مادام قد التزم بالقوانين. وكان التمويل يغطي الصيانة ورواتب المعلمين وإسكان الطلبة وإطعامهم، وتوفر منحا للمحتاجين منهم. ونظرا لما للتعليم من تقدير عال فقد كانت الأموال تدفع بسخاء لدعمه، فازدهر في طبقات المجتمع كلها. وقد وصف الرحالة ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الطلبة الذين كانوا يدعمون دعما كاملا، فقال: «كان كل من يرغب في متابعة الدراسة أو يكرس نفسه للحياة العلمية يتلقى كل عون حتى يحقق غايته».

وفي العهد العثماني أصبحت مدينة بورصة وأدرنة أهم مراكز التعلم على الأرض، فقد أقام العثمانيون مجمعات تعليمية في المدن التي أنشأوها في بورصة وأدرنة بتركيا. وكانوا يسمون نظامهم المدرسي «كلية» (Külliye)؛ يتعلمون فيها على نحو أشبه بالجامعات، وفيها مسجد ومستشفى ومدرسة ومطبخ عام وقاعة طعام. وكان ذلك التعليم ميسرا لجمهور واسع، في حين كانت المدارس تقدم وجبات طعام مجانية، ورعاية صحية، وتقدم سكنا في بعض الأحيان. وكانت «كلية الفاتح» (Fatih Külliye) في إسطنبول مجمعا يضم ست عشرة مدرسة للعلوم والدين.

وبذلك انتشرت المدارس في العالم الإسلامي وصارت محجا لطلبة العلم من كل أرجاء العالم، فذكر المقريزي أنه كان في مدينة القاهرة ثلاث وستون مدرسة، كما أشار ابن جبير إلى أن عدد مدارس بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي قد بلغ ثلاثين مدرسة.

أهمية المدرسة وأدوارها

تعد المدرسة مؤسسة اجتماعية وتربوية تقوم بتربية المتعلمين تربية شاملة، وتأهيلهم في المجتمع تكييفا واندماجا وتأقلما. فللمدرسة -كما رأى إميل دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي الشهير- وظيفة سوسيولوجية وتربوية مهمة. فهي بمنزلة فضاء مؤسساتي عام، تقوم بالرعاية والتربية والتهذيب والإصلاح، والسهر على التنشئة الاجتماعية، وتكوين المواطن الصالح.

وتعنى المدرسة بتكوين الناشئة وتربيتهم وتهذيبهم وتخليقهم، وتنمية قدرات المتعلمين العقلية، والسمو بوجدانهم العاطفي والقيمي، وتقوية مهاراتهم الحسية - الحركية. كما تمثل المدرسة فضاء تربويا ينضبط فيه الجميع، مدرسين كانوا أم متعلمين، أمام قانون معياري موحد وملزم، بغية أداء الواجبات المهنية والمدرسية أحسن أداء، مع تحقيق

الجودة الكمية والكيفية.

ويمكن القول بأن المدرسة تقوم بالأدوار الآتية:

١- نقل العلوم والمعارف والتراث الثقافي إلى الناشئة والطلاب: وهذا يمثل أبرز أدوار المدرسة، وهو نقل وتعليم اللغة ومبادئ وأساسيات العلوم، سواء كانت علوما دنيوية، أو علوما شرعية، وما تتضمنه ثقافة المجتمع، ليستطيع الفرد أن يتعامل مع متغيرات العصر والحياة، فالمدرسة تنهض بدور تربوي لا يقل خطورة عن دورها التعليمي، إنها أداة تواصل نشيطة تصل الماضي بالحاضر والمستقبل، فهي التي تنقل للأجيال الجديدة تجارب ومعارف الآخرين والمعايير والقيم التي تبنوها، وتراثهم الثقافي.

٢- تبسيط وتنقية وتطوير العلوم والمعارف والتراث الثقافي: فلا يقتصر دور المدرسة على مجرد النقل الحرفي لعلوم التراث والقيم والعادات، بل تقوم بتبسيط العلوم واختزالها، وعرضها في صورة تناسب المرحلة العمرية للطالب وخصائصه، كما أن عليها دورا كبيرا في تطوير ذلك التراث الثقافي، ومراجعته وتنقيحه، فعليها دور في مراجعة كل ما يتلقاه الطالب، ومواجهة العادات والأفكار السلبية والخاطئة، ومواجهة كل الظواهر التي تعاني منها مجتمعاتنا العربية من عادات كالأخذ بالثأر، والتمييز بين الناس على أساس المقدرة الاقتصادية، أو التقليل من شأن المرأة والتصدي لظواهر العنف والتطرف، وخطاب الكراهية، وفي المقابل غرس الانتماء وحب الوطن والاعتزاز بالانتماء إلى الإسلام، والهوية العربية والإسلامية.

٣- تحقيق التماسك الاجتماعي: وذلك الدور تقوم به المدرسة من خلال ما تنقله وتغرسه في الناشئة والطلاب من روابط مشتركة بين أفراد المجتمع والتي تشمل اللغة والدين والعادات والتقاليد، والقيم، والاتجاهات، وحفاظها على هوية الأفراد الثقافية والاجتماعية.

٤- تزويد سوق العمل بالأيدي العاملة والكوادر المطلوبة للتنمية: تعمل المدرسة خلال المراحل التعليمية المختلفة على تزويد الطالب بمهارات الحياة، والمهارات الأساسية التي تجعله قادرا على التعامل مع المجتمع، والالتحاق بالمهنة التي تؤهله قدراته وميوله لها، ومنها قد ينتقل الطالب لسوق العمل مباشرة كما في حال التعليم الفني والتقني والمهني، أو ينتقل إلى الجامعة ليتخرج فيها إلى سوق العمل، ويعتمد الطالب في كل الأحوال على ما اكتسبه من مهارات أساسية وحياتية أثناء مراحل تعليمه بالمدرسة. فالمدرسة فضاء للتربية والتكوين والتعليم والتهذيب القيمي والخلقي، وفضاء لتوفير أكبر عدد من المؤهلين الأكفاء لتحريك التنمية في المجتمع والاقتصاد، وإعداد نخب وظيفية وسياسية واقتصادية، وتكوين رجال الغد وبناة المستقبل.

٥- التنسيق مع باقي مؤسسات المجتمع لإعداد المواطن الصالح: إذ تقوم المدرسة بتنسيق الجهود التي تبذلها مع سائر النظم الاجتماعية في سبيل تربية الأطفال، وتظل على اتصال دائم بها لترشدها إلى أفضل الأساليب التربوية، وتتعاون معها على تنشئة الجيل الجديد أحسن تنشئة. ومما لا جدال فيه أن المدرسة هي المرجع الأساسي في كل ما يتعلق بعملية التربية.

وعليه، فالمدرسة هي أداة للتنشئة والتطبيع الاجتماعي، وتكوين مواطنين صالحين يحافظون على قيم أجدادهم، ويدافعون عن وطنهم وأمتهم ودينهم. أضف إلى ذلك أن المدرسة تركيبة اجتماعية معقدة، تتكون من تلاميذ، ومعلمين، ورجال الإدارة، وعمال، ومناهج وبرامج ومقررات، ومرافق إدارية، وبيئات اجتماعية مختلفة، والقوانين والعادات والأعراف والتقاليد التي تنظم التعامل اليومي داخلها... وبهذا، تكون المدرسة بمنزلة مجتمع مصغر تعكس المجتمع الخارجي، وتشخص مختلف بنياته وعلاقاته التركيبية، بما تتضمنه من تفاعلات نفسية واجتماعية.

إن المدرسة مؤسسة تعليمية وتربوية تقوم بعملية التكوين، والتأطير، والتأهيل، والتهذيب الأخلاقي، بغية تكوين مواطن صالح نافع لأسرته ووطنه وأمته والإنسانية جمعاء، ومن ثم فإن الأمل الوحيد لنهضة مجتمعاتنا ومواجهة كل ما تعانيه من مشكلات وتحديات يبدأ من المدرسة، فهي الأساس في إعداد الأجيال القادمة، وإكسابها المهارات والمعارف والقيم اللازمة للتعامل مع الحياة، وعليها تبنى الأحلام والطموح نحو إعداد مواطن مسلم قادر على التعامل مع التفكير والبناء والإبداع، ومتسلح بأسس وقيم دينه وعقيدته، ومزود بكل المهارات المطلوبة للحياة.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية

مؤسسات التنشئة الاجتماعية

الإنسان وكما هو معروف كائن اجتماعي يعيش بحيوية وتفاعل مع الآخرين ويولد وهو بحاجة للآخرين والعيش معهم والتعلم منهم والانخراط في مواقف اجتماعية تصقل شخصيته وتهذبها وترتقي به من أجل خوض غمار الحياة، ومن هنا فإن الإنسان ليس وليد رحم الأم وكفى؛ وإنما هو عبارة عن كتلة من الخبرات والتفاعلات مع مواقف الحياة المختلفة ومع مؤسسات التنشئة الاجتماعية المتنوعة التي تعمل على تكوين شخصيته التي يندمج بها في المجتمع.

ومؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل على التشارك في تكوين شخصية الإنسان تشمل أولا الأسرة للإنسان وكل ما يحيط بالطفل والراشد داخل الأسرة وتفاعلاتها معه، ثم تأتي المؤسسة الثانية في الأهمية وهي المدرسة بكل متغيراتها والتي يقضي فيها الطفل سنوات كثيرة من حياته وساعات طويلة من يومه، ثم يأتي دور جماعة الرفاق كمؤسسة تنشئة تؤثر على شخصية الإنسان إيجابا أو سلبا، ثم دور وسائل التواصل الاجتماعي والتي أصبحت ذات حدين من الخير والشر، فباتت ذات دور في التكوين الاجتماعي للإنسان ولا يمكن إنكار دورها، ومن ثم مؤسسة التنشئة الفاضلة وهي المسجد إن كان يرتاده المسلم، ثم الشارع والمجتمع والانخراط بالأنشطة الاجتماعية المتنوعة التي يطرحها المجتمع.

فما من خبرة يتعرض لها الإنسان إلا وتؤثر في حياته وفي تكوينه المعرفي والاجتماعي لذاته وفي بناء شخصيته، سواء أدرك ذلك أم لم يدرك، وحتى لو أدرك الوالدان ذلك أم لا فإن تعرض الطفل لخبرات متنوعة ومتعددة في الحياة تنمي تفكيره ومعلوماته وتؤثر في شخصيته.

ومن هنا فإن المدرسة اليوم وفي زماننا هي مؤسسة تنشئة اجتماعية مهمة جدا في التكوين الذاتي لشخصية الإنسان من جميع النواحي البشرية (العقلية، والسلوكية، والاجتماعية، والانفعالية، والجسدية)، فما يتعرض له الطفل خلال سنوات الدراسة المدرسية من حجم معارف تعطى إليه ويستوعبها ويستفيد منها تستمر معه مدى الحياة، وما يتعرض له من مواقف اجتماعية وانفعالية تتضمن تعليم القيم وتهذيب السلوكات فتصقل شخصيته وتكونها، فيكون للمدرسة دور في التربية والتوجيه والتصحيح للسلوكات، وما تقدمه المدرسة من أنشطة منهجية ولا منهجية للطفل تجعل منه إنسانا صالحا منخرطا في مجتمعه مفيدا له ومنتجا.

دور المدرسة في التنمية

إن للمدرسة دورا كبيرا ومهما وفاعلا في تنمية المجتمعات حينما تعمل على ما يلي:

تطوير المعارف

لا تقوم حضارة وتقدم أي مجتمع دون تنمية معارف أبنائه وتثقيفهم، ومن هنا لابد للمدرسة كمؤسسة تعليمية أولى للفرد من تقديم المعارف

بطريقة مفيدة ومشوقة ومتنوعة الأساليب، بحيث تنمي لدى الطالب معارفه وعلومه وقدراته العقلية وطرق تفكيره ليصبح قادرا على توظيفها في واقع الحياة وفي خدمة مجتمعه، فلا يكون علما نظريا فقط مفصولا عن المجتمع وحاجاته، بل هو علم حقيقي يستطيع الاستفادة منه في واقع الحياة، وهذا ما يتميز به الغرب في تعليمهم أنهم يجعلون تقديم المعلومة للطفل بطريقة عملية يمكن من خلالها الثبات للمعلومة في الذهن وعدم نسيانها، فليس الهدف صب المعلومات في العقل المعرفي وتفريغها في ورقة الامتحان، بل الهدف العلم الحقيقي والتطور المعرفي للإنسان من أجل استخدامها في واقع الحياة وتنمية المجتمعات.

صقل الشخصية

للمدرسة دور كبير في العمل على تنمية الشخصية الاجتماعية السوية للفرد، فهي أكثر مكان ينخرط فيه الطفل في التفاعلات الاجتماعية، والتي تعمل على تنمية شخصيته وصقلها، وما سيتعلمه الطفل خلال تلك السنوات من مهارات وسلوكات اجتماعية ستؤثر على جميع نواحي حياته مستقبلا وستجعله ينخرط بالمجتمع إما بطريقة مناسبة سليمة او بطريقة عدائية استفزازية أو تجعله انطوائيا مهزوما ذاتيا قليل الثقة بنفسه، ولذا فدور المدرسة كبير وأساسي في تنمية شخصية الطفل الاجتماعية وتنمية ثقته بنفسه لينطلق للمجتمع قويا ذا قدرة على الاندماج في الواقع وفي الوظائف بطريقة مناسبة مفيدة ومنتجة.

تنمية الأخلاق

حتى ترقى المجتمعات أخلاقيا لابد من اهتمامها بتربية هذا الجانب من خلال مؤسسات التنشئة المختلفة، فالمدرسة كمؤسسة تنشئة أساسية مطلوب منها التركيز على الجوانب السلوكية والأخلاقية والعمل على تربيتها وتهذيبها كالصدق والأمانة والإخلاص في العمل والتعاون والعمل الجماعي والتنظيم للعمل ومساعدة الآخرين والكرم وغيرها من القيم، وهنا لابد أن نشير أن كثيرا من المدارس في عالمنا اليوم تتبنى شعارات ورؤى ورسالات راقية جذابة ولكنها حقيقة بعيدة كل البعد في واقعها عن تنفيذها أو الالتزام بها، وإنما تبقى فقط حبرا على ورق، ومع الأسف أصبحت المدارس في كثير منها ذات أهداف ربحية كسبية أكثر بكثير من الأهداف التربوية والأخلاقية.

فعلى المدرسة أن تقوم بدورها الحقيقي في التربية والتهذيب للسلوكات، وأن ترفع شعار التربية والتعليم معا لا التعليم فقط، فكثير من المدارس مع الأسف اليوم أصبح تركيزها على التعليم وإيصال المعلومات فقط، لا على التعليم مع التربية وتصحيح السلوكات السيئة والخاطئة وتهذيبها بشتى الطرق كإعطاء الدورات والمحاضرات التثقيفية والأنشطة المتنوعة ذات الأهداف التربوية.

فعلى المعلم أن يتذكر دوما أنه ليس فقط معلما لمادته بل هو مرب أيضا، فإن رأى سلوكا خاطئا عليه التوجيه والتقويم والعمل على التفهيم وتصحيح السلوكات وتعديلها قدر المستطاع، خاصة وأن البيت أصبح يعتمد على المدرسة في التربية والتعليم، والمدرسة تعتمد على البيت في التربية! وكلاهما يعتمد على الآخر دون تركيز من قبل الطرفين على التربية والتوجيه السليم للطفل فينشأ على سلوكات خاطئة ولا موجه ولا مرشد له أو مصحح لها، فكلا الطرفين يعتمد على الآخر، وما أحوجنا اليوم للتربية الأخلاقية للأفراد في المجتمعات.

الأنشطة اللامنهجية

حينما تهدف المدرسة لأن يكون لها دور في تنمية المجتمعات من خلال ما ترفده للمجتمع من أفراد أسوياء؛ فإن عليها أن تعمل على إشراك الطلبة في أنشطة لا منهجية قدر المستطاع داخل وخارج المدرسة، وهي تتضمن أنشطة رياضية واجتماعية وتطوعية وثقافية وصحية.. حيث إن هذه الأنشطة اللامنهجية مهمة جدا في تطوير شخصية الطفل والفرد وتوجيه دفتها لتكون شخصية صالحة مفيدة للمجتمع. فالمدرسة التي تأخذ على عاتقها دمج أفرادها وطلابها في أنشطة مجتمعية ودورات ومؤتمرات وأعمال تطوعية تتناسب وأعمار طلابها هي مدرسة تنشئ جيلا متميزا منتميا لمجتمعه حريصا عليه وعلى تقدمه؛ لا جيلا منفصلا عن مجتمعه أنانيا لا يفكر إلا بمصالحه الذاتية فحسب.

ومن هنا فعلى المدارس إدراك أهمية دورها الكبير والخطير في خدمة المجتمعات وتنميتها بحيث ممكن أن تشرك أطفالها في كل أسبوع بعمل تطوعي تفيد به مجتمعها، كأن تشاركهم في النظافة العامة للحدائق والمتنزهات والشواطئ أو أعمال إعادة التدوير أو الرسم على الجدران ودهان الأرصفة والشوارع، أو المساهمة في بناء بيوت للفقراء والمحتاجين، أو جمع تبرعات للمحتاجين والمشاركة في الذهاب لمؤسسات رعاية الأيتام والفقراء أو كبار السن أو جمعيات

المرضى ودعمهم ماديا ومعنويا وعمل حفلات أو مسابقات وأنشطة ترفيهية لهم لدعمهم نفسيا ورعايتهم جسديا وماديا، وغيرها من الأنشطة المجتمعية والتوعوية.

تنمية المهارات

لكي تشارك المدرسة في تنمية المجتمعات وتطويرها والمساهمة في الركب العالمي للحضارة العالمية، فلابد من العمل على تنمية مهارات وقدرات ومواهب طلابها في المدرسة بشتى الأساليب والأنشطة والإستراتيجيات التربوية، ما يصقل شخصية الإنسان ويجعله قادرا على إدراك مواهبه وقدراته والقدرة على استغلالها وتوظيفها في واقع الحياة بما يفيد مجتمعه في المجال الذي يجد نفسه به، فكل حسب قدراته ومواهبه وميوله، فالله تعالى الخالق خلق البشر متنوعي المواهب والقدرات من أجل أن يخدم بعضهم بعضا وأن يفيد الشخص نفسه وأسرته ومجتمعه.

ومن المهم لتقدم المجتمعات ورفاهيتها كذلك تركيز المدارس على فئة الموهوبين وذوي القدرات العقلية المميزة من خلال دمجهم في أنشطة وبرامج ومشاريع مفيدة ومخططة بشكل مدروس بحيث تتحدى قدراتهم وتخرج طاقاتهم وتنمي مهاراتهم (وكل بحسب ميوله وقدراته)، من أجل خدمة مجتمعاتهم في كل النواحي العلمية والطبية والفلكية والهندسية..

أساليب الحوار

المجتمعات تقوم على الحوار والمناقشات من أجل تطوير خططها وبرامجها ومشاريعها وتقدمها ورفاهيتها، والحوار حتى يكون منتجا وهادفا لابد له من أساليب ومن تدريب، ولذا يقع على عاتق المدرسة دور كبير في تنمية قدرات الطلبة على الحوار وأساليبه الراقية المهذبة؛ كمشاركتهم في مناظرات علمية وأدبية وتنمية وسائل الحوار لديهم وطرق التعبير السوي عن الذات، وهذا ما سيحتاجه الفرد مستقبلا عندما ينخرط في الحياة المجتمعية أو البرلمانية أحيانا، فكثيرا ما نرى الصراعات والصدامات بين أفراد المجتمع وفي مجالات عملهم المختلفة نتيجة عدم التدرب السليم على طرق وأساليب الحوار وكيفية احترام الرأي والرأي الآخر والأسلوب الراقي المهذب والموضوعي والمنطقي وغير المتحيز في طرح الأفكار ومناقشتها على طاولات الحوار، فهذا كله يحتاج إلى تدريب منذ الطفولة، ومن هنا يقع دور كبير على المدرسة في ذلك التدريب والتعليم.

احترام الوقت

إن المجتمعات المتقدمة اليوم تتميز باحترام النظام واحترام المواعيد والدقة في الإنجاز، وهذا الاحترام ينبع ذاتيا من تعويد وتدريب الأطفال عليه منذ الصغر بدءا من البيت والمدرسة، بل والمدرسة أكثر، فلابد لها أن تضع ضمن منظومتها التعليمية تعليم الأطفال احترام المواعيد واحترام النظام والاهتمام بالنظافة، فكل هذا يأتي بأساليب تربوية تدرجية وليست قمعية، بل بطرق محببة للنفس، تجعل من الفرد يحترم تلك الأمور ما يساعد في الانضباط للمجتمع، فللمدرسة وللأسرة دور كبير في ذلك، حيث الإنسان كائن اجتماعي وليس فردوي، وهذا ما تعاني منه الكثير من مجتمعاتنا العربية وهي قلة احترام النظام والمواعيد والعمل ما يقلل من انتاجيتها وتقدمها.

الوعي المجتمعي

تحتاج المجتمعات إلى تنمية وعي أفرادها بتاريخهم وبمشكلات مجتمعهم وبالواقع السياسي المحيط بهم وبعالمهم، فعلى المدرسة العمل على إدماج الطلبة في أنشطة توعوية تسهم في زيادة معلوماتهم عما يدور حولهم من أحداث وزيادة ثقافتهم التاريخية لكي نتعلم من التاريخ، لأنه كثيرا ما يعيد نفسه، ونحتاج من خلال المدرسة تعويد الطلبة المساهمة في أنشطة وبرامج لحل المشكلات وتدريبهم على اتخاذ القرارات فهذا مهم في واقع حياتهم المستقبلي، فمن المهم إرفاد المجتمعات بطلبة قادرين على حل المشكلات العملية واتخاذ القرارات لا فقط التنظير والسير في نفس المكان بلا تقدم ملحوظ.

التنمية الاقتصادية

حيث إن المدرسة هي مؤسسة تعليمية واقتصادية في ذات الوقت، فهي تسهم في تشغيل عدد من أفراد المجتمع كمعلمين ومعلمات وإداريين وإداريات وفنيين ومساعدين ومساعدات في التعليم وغيرهم، ولك أن تتخيل أخي القارئ عدد المدارس في كل دولة، ما يعني عدد العاملين الكبير في تلك المدارس، فللأخيرة دور في التنمية الاقتصادية للمجتمعات، وهي كذلك تعمل على تقليل نسبة الأمية وزيادة أعداد المتعلمين والمنتجين من المهندسين والأطباء والصيادلة والوزراء والمسؤولين والمخترعين والاقتصاديين والفنيين والمطورين للأنظمة والمؤسسات والشركات والتكنولوجيا في المجتمع، فالمدرسة تسهم في الاقتصاد المحلي للمجتمعات.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

المستقبل إذ يتشكل

مثل «نـواة» تحتوي شجرة ضخمة بداخلها، ومع ذلك تكون صغيرة الحجم، وربما لا يعبأ بها البعض.. هكذا تبدو «المدرسة»!

فالمدرسة مثل هذه النواة.. هي مؤسسة من مؤسسات المجتمع، يصنفها البعض -حسب المعيار الاقتصادي- مؤسسة غير منتجة! وربما لا يلتفت البعض إلى حقيقة أن هذه المؤسسة التي تضم أشبالا في عمر الزهور، إنما هي مؤسسة يتخلق في رحمها المستقبل، ويتولد منها المجتمع بعد عقد أو عقدين من الزمان.

والحال هذه، فما أجدرنا أن نلتفت لأهمية المدرسة، وللدور المنوط بها في تشكيل هذا المجتمع؛ الذي تبدو بشائره من نافذتها، وتتفتح أزهاره في معملها، ويطل منها برأسه على واقعنا المعيش.

وإذا أردنا أن نشير إلى أهم الأدوار أو المحاور التي من المهم أن تضطلع بها المدرسة، فيمكن أن نحدد ذلك طبقا لمجالات وأهداف العملية التعليمية ككل.

فالعملية التعليمية، كما يشير التربويون، لها ثلاثة أهداف؛ هدف معرفي، وآخر وجداني، وثالث مهاري.. ومن هذه الأهداف الثلاثة تتكون أهداف المدرسة نفسها؛ لأن المدرسة جزء من مفردات العملية التعليمية التي تشمل إضافة لذلك: الطالب، والمعلم، والمنهج، والوسائل.

الأهداف الثلاثة

لقد تم طرح العديد من التصنيفات المتعلقة بالعملية التعليمية في مجالاتها المختلفة. ويعتبر تصنيف بلوم Bloom وجماعته، المحاولة الأولى والمهمة في هذا الصدد؛ حيث تم تحديد ثلاثة مجالات لهذه الأهداف، وهي: المجال المعرفي أو العقلي، والمجال الوجداني أو العاطفي أو الانفعالي، والمجال المهاري الحركي أو الأدائي الحركي والنفسحركي. وقد صدر عام ١٩٥٦م المجلد الأول للمربي بلوم، تناول فيه هذه المجالات ولكنه ركز على المجال المعرفي، في حين صدر المجلد الثاني تحت اسم المربي كراثول Krathwohl عام ١٩٦٤م واهتم بالمجال الوجداني أو الانفعالي. وقد توالت التصنيفات العديدة فيما بعد للحديث عن المجال المهاري الحركي؛ حيث ظهر تصنيف هارو Harrow، وتصنيف جرونلند Gronlund، وتصنيف سمبسون Simpson، وتصنيف كبلر Kibler.

وكان هؤلاء المربون قد صمموا هذه المجالات الثلاثة للأهداف التعليمية، من أجل تحديد أنواع السلوك الدقيق الذي يبرهن على وقوع التغيرات في المتعلمين كنتيجة للعمليات التدريسية. أي التعلم عن طريق تحديد فعل لصياغة سلوك مرغوب فيه. وكلما تم تحديد الأهداف التعليمية بشكل دقيق وواضح، استطعنا تخطيط خبرات تعليمية مفيدة لتحقيق تلك الأهداف. ويضاف إلى ذلك تطوير وسائل تقويمية للتأكد من تحقيق الأهداف الموضوعة[1].

الهدف المعرفي

والهدف المعرفي، بحسب بعض

الباحثين، يراد منه تزويد المتعلمين بالمعارف والخبرات والمعلومات، وتطوير القدرات العقلية لهم؛ والتي أهمها: التذكر، الفهم، التحليل، الابتكار، الاستنتاج، المقارنات، إصدار الأحكام. ويعد هذا الهدف من أكثر الأهداف التي يركز عليها المدرسون في العملية التعليمية؛ لأنه يرتبط بطبيعة المعرفة المتعلقة بالمواد الدراسية.

فالمدرسة لها دور مهم وأساسي في تكوين معارف الطلاب، وتشكيل عقولهم، وتحديد طرق تفكيرهم، ومساعدتهم في إدراك ذواتهم ومجتمعهم وبيئتهم بشكل صحيح.. فهي، بعد البيت، أول ما يتلقى منه التلميذ معارفه ومعلوماته.. بل إن التلميذ في مرحلة البيت فقط -أي الطفولة في سنواتها الأولى- يكون غير قادر على تلقي المعرفة إلا بصورة بسيطة، تعتمد على الإشارة والرمز والمعرفة الأولية.. أما التكوين المعرفي بالصورة المتماسكة المنهجية فهو مسؤولية المدرسة بصورة أساسية.

والتكوين المعرفي الذي نريده من المدرسة، حتى يمكن أن تسهم بفاعلية في تشكيل المستقبل، ينبغي أن يتصف بعدة صفات، أهمها:

- أن يكون متماشيا مع تطورات المعرفة في أنواع العلوم المختلفة.. فلا يليق أن تظل المناهج متأخرة عن تطورات المعرفة في الواقع، خاصة في العلوم التجريبية.
- أن يتصف بالوضوح والسلاسة.. ويبتعد عن التعقيد والغموض، أو عدم التشويق؛ بحيث يجذب الطالب ويكون محببا لديه.
- أن يشمل التطبيق إلى جانب النظرية.. حتى يترسخ في عقل الطالب، ويستفيد منه في واقعه العملي.
- أن يعمل على تكوين عقلية للطالب تتمتع بالقدرة على الفهم والتحليل والنقد.. وهذا يتطلب أن تبتعد المناهج عن طريقة التلقين والتحفيظ، إلى إقامة حوار مع الطالب، حسب مراحل نموه واستيعابه.
- أن تجمع المناهج بين التراث والمعاصرة، أو بين الهوية والاستفادة من الآخرين.. حتى تنتج عنها عقلية ناضجة متفتحة، تعتز بأصولها وتتشابك مع واقعها وعالمها، من غير ذوبان ولا جمود.
- أن تهتم المدرسة بمصادر المعرفة الأخرى، مع المنهج: مثل الإذاعة المدرسية، المسرح، المكتبة، الندوات، المسابقات.. فهذه كلها مصادر تشكل الجانب المعرفي وتنميه، وتجعل المعرفة محببة للطالب، وليس مجبرا عليها.

وهنا، من المهم أن نلفت النظر إلى عناية الإسلام الفائقة بالمعرفة، وفي مختلف المجالات؛ فقد جعل الإسلام العلم وسيلة لمعرفة الله تعالى والخشية منه؛ وكان الأمر بالعلم أسبق من الأمر بالعبادة؛ فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق:١-٥)، وقال أيضا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر:٢٨). وهذه الآية الأخيرة قد وردت بعد آيات تتحدث عن الكون ومظاهر تنوعه واختلافه؛ في النبات والجبال والإنسان والحيوان. أي إن الإسلام لا يفرق بين ما نسميه العلم الشرعي والعلم التجريبي؛ فكلها علوم مطلوبة، وعليها الأجر والمثوبة متى قصد بها وجه الله تعالى وأدت إلى خدمة الإنسان.

وأعتقد أن الانفجار المعرفي المتسارع -الذي يشهده العالم من حولنا- بدرجة غير مسبوقة في التاريخ البشري- يفرض على القائمين على وضع مناهجنا التعليمية أن يكونوا على مستوى هذا التسارع؛ من حيث المواكبة، والتبسيط، وتكوين العقلية التي يمكنها أن تستوعب ذلك، وصولا إلى أن تشارك بفاعلية في هذا التراكم المعرفي والإبداعي.

الهدف الوجداني

ينبغي ألا يقتصر دور المدرسة على تكوين الجانب المعرفي عند الطلاب، بل من المهم أن تضم لذلك مهمة أخرى تتمثل في تربية الجانب الوجداني وتشكيله. وللأسف، يبدو الجانب الواجداني، رغم أهميته، مهملا عند البعض، حتى تحولت العملية التعليمية إلى ما يشبه حشو الأدمغة بالمعلومات والأرقام!

فمن الخطأ أن «نعزل الجوانب الوجدانية عن الجوانب المعرفية؛ لأنهما متكاملان تكاملا تاما؛ فالمدخل الأساسي إلى المجال الوجداني هو عقل الإنسان الذي يمثل الجانب المعرفي؛ بحيث يمكن القول: إن الطريق إلى وجدان المتعلم هو عقله»[٢].

ويعرف الوجدان بأنه «إحساس دافعي نفسي مرتبط بالانفعالات والعواطف ويؤثر في عمليات التصور والتفكير». ويقصد بالأهداف الوجدانية: «الأهداف المرتبطة بالقيم المستمدة من العقائد والتقاليد، والتي تجعل المتعلم يسلك سلوكا وجدانيا تجاه الأشخاص والموضوعات من خلال ما يتعلمه من معلومات ومعارف»[٣].

ومن أهم الوسائل المعينة على تحقيق الأهداف الوجدانية في حجرة الصف:

- قراءة الأهداف العامة للمادة التعليمية بتمعن، ثم تدوينها واستخراج الأهداف الوجدانية منها، وتصنيف الدروس بناء عليها.

- جمع النصوص في المادة ومحاولة فهمها ومعرفة تفسيرها مع ربطها بالواقع: لدعم الهدف الوجداني المراد شرحه. ولا يمنع أن يقتبس المعلم نصوصا أخرى غير موجودة بالمرجع المدرسي ليدعم بها الأهداف الوجدانية مع مراعاة المرحلة التي يدرها المتعلم؛ ولا يتأتى ذلك إلا بالقراءة والاطلاع.

- ضرورة الاهتمام بالأهداف الوجدانية كيفا لا كما. أي عدم الإكثار منها أو المبالغة في صياغتها عند تحضير كل درس، بل يكتفي بهدفين أو ثلاثة؛ كي يتمكن المعلم من إعدادها ذهنيا ومن ثم دعمها مع الإشارة إليها داخل حجرة الصف.

- الاستعانة بالوسائل التعليمية المختلفة.

- عمل بنوك معلومات وتجميع المادة العلمية من جميع المصادر لتستخدم في دعم الأهداف الوجدانية.

- التنويع في طرق عرض الدروس واستخدام التشويق، باعتماد الأساليب التي تدعم الأهداف الوجدانية[٤].

وفي هذا المجال، نريد من المدرسة أن تكون صاحبة تأثير في تهذيب أخلاق الطلاب، وإيقاظ ضمائرهم.. أو كما ينقل عن شاعر الإسلام محمد إقبال: نريد معرفة تعلم القلب الخشوع، والعين الدموع!

وللأسف، انحصر دور المدرسة في «التعليم» وغابت عنها «التربية»؛ حتى رأينا انفصاما أو عدم ارتباط بالضرورة بين مستوى التعليم وارتفاع درجاته الأكاديمية وبين المستويين الوجداني والأخلاقي والتمتع بالصفات الحميدة.. مع أن العكس هو الأساس، كما تشير الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨)؛ فالعمل والخشية، أي المعرفة والوجدان، أمران مترابطان؛ وانفصامهما يدل على وضع معكوس.

الهدف المهاري

ونقصد بالهدف المهاري معنيين:

الأول: أن يكتسب الطالب القدرة على تحويل ما يتلقاه من معلومات إلى مهارات عملية تطبيقية.

الثاني: أن يكون من أهداف التعليم عموما تخريج شباب لديهم مهارات عملية في المجتمع يمكن أن يبدأوا بها حياتهم؛ أي تطوير التعليم الفني. فمن المهم أن نهتم بهذا النوع من التعليم؛ لأنه يمثل عماد النهوض والتقدم.

بجانب ذلك، هناك معنى آخر للمقصود من الهدف المهاري، وهو أن يتعلم الطالب مهارات تتعلق بتعامله مع المجتمع؛ سواء فيما يتعلق بالسلوك الفردي للطالب، مثل كيفية إنشاء علاقات، وإدارة الحوار، وتنظيم الاختلاف.. أو تعريف الطالب بدوره في المجتمع، وواجبه نحوه؛ بما يشمل الخدمة العامة، وترسيخ قيم التطوع وعمل الخير.

وفي هذا الصدد، يأتي دور المدرسة في الاهتمام بالأنشطة العملية، والاجتماعية، والكشافة، والفرق الصحية.. ويمكن أن تنظم المدرسة رحلات لدور الأيتام والملاجئ والمستشفيات، أو تنظم حملات تنظيف عامة للشوارع المحيطة بالمدرسة.. أو تحث الطلاب على التبرع بالدم للمستشفيات.. أو التبرع لمؤسسات الرعاية الاجتماعية.

فلاشك أن «المدرسة مؤسسة من المؤسسات التي أقامها المجتمع بهدف أن تكون بيئة منتقاة يتلقى فيها أبناؤه الصغار كل ما يعينهم على أن يكونوا أعضاء فاعلين في الجماعة البشرية الذين هم جزء منها، وأن يكتسبوا الكفاءة الشخصية التي تجعل منهم ذوي شخصية تتميز بالسواء والتكامل. والمدرسة، بهذا الاعتبار، لابد أن تكون على درجة عالية من الحساسية الاجتماعية؛ تتأثر بما يوجد في المجتمع من مشكلات ووجهات نظر وتيارات، وتتطلع إلى ما يرنو إليه من آمال وطموحات»[٥].

فهذه رؤية واسعة للهدف المهاري، الذي نريد من المدرسة أن تشارك في ترسيخه لدى الطلاب، خاصة منذ الصغر.. بجانب دورها في إكسابهم القدرات المعرفية، والوجدانية.

مؤسسة مستقبلية

وبهذا نرى أن المدرسة لها دور فاعل وتأسيسي، ليس فيما يتصل بالحاضر فحسب، وإنما بالدرجة الكبرى فيما يتعلق بالمستقبل؛ من حيث تكوين وتشكيل الأجيال التي يقع عليها العبء في الغد.

وعندما نصحح نظرتنا للمدرسة، في ضوء ما سبق، سنعمل وبكل طاقاتنا على أن نوفر لها ما تحتاجه من إمكانات بشرية ومادية.. خاصة أن الإحصاءات تشير إلى ضعف الإنفاق على التعليم في العام العربي بوجه عام؛ مما أدى إلى تراجع مستوى جامعاتنا في التصنيف العالمي.

ولعل الأوان قد آن لنتدارك هذا، وننتبه بجد إلى تلك المؤسسة التي هي «مؤسسة مستقبلية» بامتياز..

الهوامش

١- «صياغة الأهداف التربوية والتعليمية في جميع المواد الدراسية»، د. جودت أحمد سعادة، ص:١٤٨، دار الشروق- عمان، ط١، ٢٠٠١م.

٢- انظر دراسة بعنوان: «الأهداف الوجدانية.. الغائب الأكبر في التدريس»، د. عبدالله صحراوي ود. شبوح نجاة، نسخة pdf على الإنترنت.

٣- المصدر نفسه.

٤- المصدر نفسه.

٥- «أهداف المدارس الإسلامية»، دراسة للدكتور سعيد إسماعيل علي، على الرابط: http://montdatarbawy.com/show/١٢٢٤٧٨.

سعيد امختاري
باحث تربوي

الدخلاء آفة العلم والتعليم

كثيرا ما تكلم علماء التربية والتعليم في آفات التعلم والتعليم، والعوائق التي تعترض العمل التعليمي التعلمي، فلا تكون له نتيجة تقر بها العين.

ولقد ضرب كثير من فقهائنا وعلمائنا بأسهمهم في هذه القضية الصعبة، فبينوا تلك الآفات بيانا شافيا كافيا لكل عصر من تلك العصور التي عاشوها ومارسوا فيها التدريس. وبما أن كثيرا من الأفكار المتعلقة بالتربية والتعليم، يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والعوائد وغير ذلك، فإن منها ما لا يمكن أن يتغير، وخير مثال على ذلك آفة الدخلاء على المعارف والعلوم، فإنها آفة قديمة حديثة، بل صارت في عصرنا أشد ضراوة وشراسة، نظرا لانعدام الموازين العلمية الدقيقة في ضبط المتصدين للعلم والتعليم، وهذا الضبط قد حث عليه العلماء منذ القديم، فنجد الراغب الأصفهاني، رحمه الله، يحث ولاة الأمر على التيقظ لهذا الأمر الخطير لما له من عواقب سيئة على المجتمع، فقال: «لا شيء أوجب على السلطان من مراعاة المتصدين للرياسة بالعلم، فمن الإخلال بها ينتشر الشر ويكثر الأشرار، ويقع بين الناس التباغض والتنافر.. ولما تركت مراعاة المتصدي للحكمة والوعظ، وترشح قوم للزعامة في العلم من غير استحقاق منهم لها فأحدثوا بجهلهم بدعا استغروا بها العامة، واستجلبوا بها منفعة ورياسة، ووجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم لهم، وقرب جوهرهم منهم، فكل قرين إلى شكله كأنس الخنافس بالعقرب، وفتحوا بذلك طرقا منسدة، ورفعوا بها ستورا مسبلة، وطلبوا منزلة الخاصة فوصلوا إليها بالوقاحة وبما فيهم من الشرة» [1].

ومن أفضل طرق ضبط الدخلاء على العلوم وأهلها، والتي يمكن أن نضيف إليها اليوم الدخلاء على المواد المدرسة في المؤسسات التعليمية،

ما نقله ابن الأزرق عن الشاطبي، رحمه الله، أنه سئل عن مسائل تتعلق بالمنتصب للإفادة من جملتها: من الذي يعتبر في نصبه إن افتقر إلى ذلك؟

فأجاب عما يخص ذلك: «بأن كل ولاية الأصل في النصب لها أهل الحل والعقد فيها، وهم العارفون بمصلحتها، لأن غيرهم كثيرا ما يقدم من لا يجوز تقديمه، ويترك من يجب عليه تقديمه، إذ ليس بعارف بتلك المصلحة وما تقوم به، ولا بمن توافرت فيه أدواتها.

قال: فإذن الفقهاء هم الذين ينصبون الفقيه، والنحاة هم الذين ينصبون النحوي، والأصوليون هم المعتبرون في نصب الأصولي»[٢].

قال: وكذلك غير هذا من أنواع العلوم.

وظاهرة الدخلاء على العلوم وأهلها لها مظهران:

المظهر الأول متعلق بإقدام طوعي من بعض هؤلاء الدخلاء، فيرون من أنفسهم أهلية وقابلية للتكلم في علوم ليسوا من أهلها، ولم يسبق لهم أن درسوها، ولا عرفوا أساليبها ولا قواعدها ولا أي شيء مما يتعلق بها، وهم إنما يفعلون هذا لدواع لا يمكن حصرها ولا الجزم ببعضها، ولكن يمكن التمثيل لها بحب الرياسة والظهور، أو كسب المال، أو الحصول على وظيفة ومنصب مهما كانت الأحوال، وهذا من أكثر الدخلاء خطورة على العلم وأهله.

المظهر الثاني: أن هؤلاء الدخلاء يتم تنصيبهم عشوائيا، وأحيانا قسرا عليهم، حتى يجدوا أنفسهم قد تم اختيارهم للتكلم في علوم لا تربطهم بها أي صلة، كما هو الحال عند بعض المدرسين في عصرنا، حيث قضى العبث في العلم والتعليم أن يتم توظيف كثير من المدرسين في تدريس مواد لم يسبق لهم أن تلقوا فيها تكوينا علميا، فلم يشعروا حتى وجدوا أنفسهم مدرسين لما لا يعرفون، سواء في الجامعات أو المدارس الأخرى مهما كانت.

ولقد حذر من هذا كثير من فقهائنا وعلمائنا؛ منهم الإمام ابن حزم الذي قال: «لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها وهم من غير أهلها، فإنهم يجهلون ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون ويقدرون أنهم يصلحون»[٣]، فهنا نراه يتحدث عن إلحاق الضرر بالعلوم وأهلها في نفس الوقت، وهي التفاتة عجيبة منه، فعندما يتسلل الدخلاء إلى بعض العلوم الغريبة عنهم فإنهم يلحقون الضرر بتلك العلوم وبأهلها الذين نسميهم أهل الاختصاص.

فمشكلة الدخلاء عند ابن حزم وغيره، أنهم يجهلون كثيرا من أسرار تلك العلوم، لكن الآفة الكبرى أنهم يظنون ويعتقدون أنهم يعلمون، وباستطاعتهم مجاراة أهل تلك العلوم فيها، وكذلك يفسدون ويقدرون أنهم يصلحون، وتلك هي قاصمة ظهر العلم، وسبب تعاسة المختصين في ذلك العلم، حينما يختلط المفسدون بالمصلحين، حينئذ يختلط الباني بالهادم والمصلح بالمفسد، حتى لا يعرف الهادي من الهاذي، ويصبح لسان حاله كما قال الشاعر:

من يبغ عندي نحوا أو يرد لغة
فما يساعف من هذا ولا هاذي
يكفيك شرا من الدنيا ومنقصة
ألا يبين لك الهادي من الهاذي

وكذلك الشأن بالنسبة إلى التنظير للتربية والتعليم في زماننا، فكثير ممن يتكلمون في علوم التربية ونظريات التعلم، ويشغلون مناصب كبيرة في الدولة تتعلق بالتخطيط والتنظير، نراهم ينتقلون من علم إلى علم، من دون أسس منهجية، وبلا تكوين علمي متراكم عبر السنوات الخوالي من أعمارهم، فمنهم من جرب البحث في الفقه والأصول، أو في علوم الحديث أو علوم القرآن والتفسير أو غيرها من العلوم، فلم يجد لنفسه فيها مكانا يرضيه، إذا به فجأة يتحول إلى منظر في علوم التربية والتعليم، ليصير من الدخلاء الذين يضرون بعلوم التربية وأهلها.

وما يقال في مشكلة الدخلاء المنتصبين للتدريس والتعليم والمنظرين والمخططين لها، يقال كذلك في المنصبين لهم، فما لم يكن المنصب للمدرسين والمعلمين والأساتذة والباحثين من أهل الشأن والخبرة، فسوف ينصب للتدريس كثيرا من الدخلاء الذين يفسدون أكثر مما يصلحون، حينئذ لا نجد في الحياة العلمية والفكرية إلا الضعف والهزال، كما قال الشاعر:

تصدر للتدريس كل مهوّس
بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا
ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها
كلاها وحتى سامها كل مفلس

الهوامش

١- الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ت: د.أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، ٢٠٠٧م، الطبعة الأولى، ص١٨٢.

٢- نقلا عن كتاب الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، لابن الأزرق، ت: سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ج١/٥٢١.

٣- ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ج١/٣٤٥.

د. محمد عطيه متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف

ينابيع الخير

تعد المدرسة أحد الروافد المهمة لتنمية المجتمع وصقل مواهب أفراده وإمدادهم بالمعارف اللازمة والتوجيهات السديدة لتكوين جيل يدرك دوره في الحياة ويغالب العقبات، بل يغلبها.

ولاشك أن القيم التي تغرسها المؤسسات التعليمية في نفوس طلابها تبقى راسخة في كيانهم العقلي والروحي طالما صاحبها إخلاص المعلم وإدراكه لطبيعة الحياة وطبيعة النفس الإنسانية.

والمدرك للدور الذي تقوم به مؤسسات التعليم يعلم تمام العلم أن مهمتها تتجاوز تلقين الطلاب مجموعة من العلوم يختبرون فيها ثم ينسونها مع أول خطوة لهم خارج لجان الاختبارات، بل لابد أن يكون للمؤسسات التعليمية دور في تنمية مجتمعها ومحاولة التغلب على الصعوبات التي يجدها أبناء المجتمع.

يقول جون ديوي: «بإمكان المدرسة أن تغير نظام المجتمع إلى حد معين وهو عمل تعجز عنه سائر المؤسسات الاجتماعية»[1].

ومشاركة المسلم -أيا كان موقعه في السلم الاجتماعي- آمال الآخرين وآلامهم دليل على كمال إنسانيته وتمام عبوديته لله رب العالمين، أما أن هذه المشاركة دليل على كمال الإنسانية فقد خلق الإنسان ليأنس بغيره ويؤنس غيره، وكل إنسان منعزل عن المجتمع رهبة من تجربة مشاركة الآخرين آلامهم وآمالهم أو بخلا عن معاونة الآخرين لابد أن يراجع نفسه ويعلم واجبه كفرد في أمة وجزء من جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

ومن تقدير الإسلام لمشاركة الإنسان في خدمة مجتمعه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد -أو شابا- ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: ماتت. فقال: «أفلا كنتم آذنتموني». فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال: «دلوني على قبرها» فدلوه فصلى عليها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم»[2].

هذا الإنسان الذي كان يؤدي دورا مهما في حياة مجتمعه -وهو تنظيف المسجد والمسجد محور حياة المسلم- يموت ويدفنه الصحابة دون أن يعلموا رسول الله ﷺ، فيلومهم ﷺ على عدم إخباره بموت هذه الشخصية الفاعلة في مجتمعها النافعة لغيرها ثم يكرمها رسول الله ﷺ بالصلاة عليها بعد دفنها تسجيلا لتقديره عليه الصلاة والسلام لكل من نفع غيره وقصد بذلك وجه الله، وقد ذكر الإمام ابن حجر ضمن فوائد هذا الحديث (وفيه المكافأة بالدعاء)[3].

ومن أوجه المشاركة المجتمعية التي يمكن أن تقوم بها المؤسسات التعليمية:

١- إدماج ذوي الاحتياجات الخاصة: بعض المدارس تدرك دورها في القيام بواجب تعليم فئات المجتمع المختلفة فتضم بين طلابها من أصيبوا بمرض ما يحتاجون معه إلى رعاية خاصة، وهي بذلك تعيد إدماجهم في الحياة وتعزز من قدراتهم وتكتشف مواهبهم وتحولهم من عبء على أسرهم إلى شخصيات فعالة ومساهمة في خطط التنمية.

٢- عقد شراكة مع مؤسسات المجتمع المدني التي تعتني بالبيئة والثقافة.

٣- تحقيق التواصل بين شباب المنطقة عن طريق استغلال ملاعب المدارس في ممارسة الرياضة في جو يسوده الاحترام المتبادل والالتزام بالقيم الحميدة.

٤- إثراء الوعي الثقافي لسكان المنطقة المحيطة بالمدرسة عن طريق عقد ندوات ثقافية تقرب الناس من المعرفة وتبسط لهم القضايا الكبرى. ويمكن معالجة القضايا الاجتماعية الملحة عن طريق إثارتها في حلقات نقاشية يساهم فيها أهل العلم وأصحاب التجربة.

كما يمكن ترتيب زيارات لمكتبة المدرسة يغرس فيها حب الاطلاع ويتعلم الزائر اختيار الكتاب، وكم من

أديب ومفكر كانت بداياته الأولى في مكتبة المدرسة! كما يمكن فتح باب التبرع بالكتب والمجلات للمكتبة المدرسية، وفي ذلك تحقيق للتواصل بين أبناء المنطقة الواحدة وإثراء للوعي بين الأفراد.

٥- يمكن للمؤسسات التعليمية أن توفر فرصة رائعة للتعايش بين طلابها المختلفين في الدين أو المذهب أو العرق يسعى الجميع من خلالها إلى تحقيق المشترك الإنساني التي تنادي به الفطرة السليمة والعقول المستقيمة. وهذه البذرة تنمو وتكبر من مؤسسة تعليمية إلى أخرى حتى تعم المجتمع.

٦- يمكن لمعلمي وطلبة لتعليم الفني الزراعي والصناعي والتجاري أن يساهموا في مشروعات التنمية وبذلك نوفر لهم -من ناحية- فرص التدريب العملي التي يلتقون فيها بأصحاب الخبرات ومن ناحية أخرى يؤدون واجبهم نحو مجتمعهم.

٧- كما يمكن لمعلمي التعليم الفني أن يقيموا دورات تدريبية لعدد من الأسر يتعلمون فيها حرفا يحتاج إليها المجتمع، وبذلك نحقق عدة أهداف منها:

- قضاء وقت الفراغ فيما يفيد.
- توفير قدر من نفقات الأسرة.
- تجهيز حرفيين مدربين تدريبا عاليا يجمعون بين العلم والخبرة.

وقد دعا جون ديوي إلى النظر إلى الموضوعات النظرية والمهنية على قدم المساواة مؤكدا على ضرورة إدخال أنواع مختلفة من المهن إلى المدرسة، حيث إن هذه المهن تجدد روح المدرسة وتربطها بالحياة وتجعل المدرسة بيئة صادقة للطفل يتعلم منها العيش المباشر، بدلا من أن تكون مجرد محل لتعلم دروس ذات صلة بعيدة ومجردة بحياة قد تقع بالمستقبل، وليكن معلوما أن الهدف من إدخال المهن إلى المدرسة ليس من أجل القيمة الاقتصادية، ولكن من أجل تنمية القوة الاجتماعية وبعد النظر فالمهنة تجهز التلميذ بدافع حقيقي وتعطيه خبرة مباشرة وتمنحه الفرصة للاتصال بالأمور الواقعية[٤].

٨- يمكن للمؤسسات التعليمية أن ترعى وتشارك في المشروعات البيئية كمشاريع التشجير وإعادة التدوير والمحافظة على البيئة البرية والبحرية وغير ذلك مما يقوي صلة الطالب ببيئته وينمي روح التعاون المثمر بين أفراد المجتمع ويحقق الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة مما ينعكس إيجابيا على الوطن والمواطن.

٩- يمكن للمجتمع أن يساهم في تنمية المؤسسات التعليمية عن طريق مجالس الآباء وما تضمه من نخبة تمثل أفراد المجتمع على اختلاف طبقاته العلمية والمهنية وما يمكن أن تضيفه هذه المجالس للعملية العلمية والتربوية من خلال خبرة أعضائه المتنوعة على أن تلقى آرائهم الآذان الصاغية والمبادرة إلى تنفيذ الاقتراحات المفيدة.

١٠- رعاية الطلاب الموهوبين من الفقراء رعاية نفسية وعقلية بحيث تحافظ المدرسة على كرامتهم وتقيهم شر الصراعات النفسية المدمرة مما يضيف للمجتمع أفرادا ولائهم الكامل لمن أحسن إليهم.

١١- تلمس المؤسسات التعليمية لحاجات سوق العمل ووضع الخطط والبرامج الدراسية بما يلبي حاجات السوق ويعمل على التقليص من خطر البطالة النفسي والاجتماعي وآثارها السيئة.

(ينظر المجتمع إلى المدرسة كأداة قادرة على الإصلاح والتوجيه وكجهاز قادر على البناء والإنشاء، فالمدرسة في نظر المجتمع مصدر للإصلاح الاجتماعي بما تبثه في النفوس من مُثُل، وما تنشره بين الناس من مهارات، وما تسديه للبيئة من خدمات، كما أنها مصدر للنمو الاقتصادي بما تعده من قوى بشرية عاملة فهي على هذا النحو الصورة التي تتكامل فيها اهداف المجتمع وآماله)[٥].

ولا يمكن لأي مجتمع أن يقوم بدوره ويحتل المكانة اللائقة حتى تتعاون مؤسساته المدنية والحكومية لبلوغ غاياته المشروعة، وتعد المشاركة المجتمعية أحد أهم الدعائم الرئيسية لعملية التنمية، كما تعد من أبرز المفاهيم التي أثرت على أهداف تنفيذ المشروعات والبرامج التنموية وأساليبها.. ولا تتحقق التنمية المتوازنة المستدامة إلا من خلال الشراكة بين الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني، فمشاركة الجمعيات الأهلية للمدرسة المجتمعية إنما هي عملية تنموية بشرية رفيعة المستوى[٦].

الهوامش

١- قال ذلك بناء على ثقافته، لكن للمسجد أيضا دوره المهم في التوجيه، وقد أشرت إلى ذلك في مقال منشور بمجلة «الوعي الإسلامي» بعنوان «تنمية الوعي في بيوت الله» ع/٦٤٩ رمضان ١٤٤٠هـ، مايو ٢٠١٩م.

٢- الجمع بين الصحيحين (١٩٠/٣)، وهذا لفظ حديث مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل، وهو أتم.

٣- فتح الباري لابن حجر (٥٥٣/١).

٤- العلاقة بين المدرسة والمجتمع، معاوية أحمد حسين.

٥- العلاقة بين المدرسة والمجتمع، معاوية أحمد حسين، نقلا عن ستاوت ولانجدون.

٦- دور المدرسة في خدمة المجتمع المحلي وتطويره د. نادية الزعبي.

مياسة النخلاني
باحثة وقاصة

نقطة انطلاق لمجتمع فعال

إن المجتمع الذي نتشاركه مع الآخرين يؤثر ويتأثر بمؤسساته وجهاته الرسمية وغير الرسمية والتي تشكل مجتمعة ركائزه ودعائمه الأساسية والثانوية، كما أن هذه المؤسسات تربطها علاقة تكاملية عكسية تساعدها على أن تكمل وتدعم بعضها البعض بما فيه مصلحة المجتمع وأفراده، فكل مؤسسة مهما بدت صغيرة أو ثانوية فهي تؤثر على المجتمع ككل كما أنها تتأثر بالمؤسسات الأخرى في إطار النسيج المجتمعي المتكامل.

ومن هذا المنطلق تبرز أهمية المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدرسة، كونها الجهة التي تهتم بتنشئة وتعليم وتربية وتهذيب الجيل القادم، فالمدرسة هي الجهة التي تتلقى الطفل من حضن والديه وبيته الآمن، فيها يخرج من حمايتهما ورعايتهما الدائمة له ليصبح تحت رعايتها، ينضم مع غيره من الأطفال إلى هذا الصرح التربوي التعليمي متكئا على نفسه وعلى ما غرسه أبواه فيه من قيم ومبادئ خلال فترة تنشئته في البيت ومحاولا اكتساب ما يعينه على أن يكون فردا صالحا ومؤثرا في المجتمع الذي ينتمي إليه.

فالمدرسة تمثل الحاضن الأول للجيل الصاعد والتي تستوعبه وتحتويه صغيرا، لينا، وطيعا للتشكيل، وخلال فترة تواجده فيها والتي تمتد لأكثر من عقد من الزمن في أهم مرحلة عمرية من حياته يتم خلالها تأسيس وتشكيل شخصيته التي سيواجه بها المجتمع، تعمل المدرسة خلال هذه السنوات الطويلة على صقل شخصيته وتهذيب صفاته وتوسيع آفاقه ومعلوماته ليغادرها شابا قويا مستعدا لأخذ مكانه الذي يليق به في مجتمعه، مستعينا بكل ما تعلمه والأفكار والرؤى التي اكتسبها أثناء فترة تحصيله العلمي ودراسته، فيتشارك مع الآخرين مسيرة تطوير المجتمع الذي ينتمي إليه، آخذا على عاتقه الارتقاء بهذا المجتمع لمراكز الصفوة والتميز.

لهذه الأسباب وغيرها يمكن القول: إن المدرسة تعتبر إحدى الركائز الأساسية التي تشارك دعائمها في بناء وتطوير مجتمع فعال.

فكلما كانت الدعائم قوية أصبح البناء أقوى وأمتن بل أتت الفرصة أمامه ليعلو أكثر وأكثر، فإما أن يتساوى مع مجتمعات متقدمة أو يتجاوز مجتمعات أخرى دون أدنى خوف من السقوط أو التشقق أو

الانهيار في لحظة غفلة، لأن الأساس متين ومتماسك.

أما الدعائم المهزوزة فلا يمكن أن تستوعب فوقها إلا بناء بسيطا يفتقر لأي فرصة ليتعالى وينمو، بل هو عرضة لخطر الانهيار والسقوط أمام عوامل الزمن والتعرية التي تعمل على تآكل البناء من الداخل.

مجالات التأثير

تستقبل المدرسة الأطفال وهم صفحات بيضاء لا يحملون في عقولهم وقلوبهم الصغيرة والنقية إلا حب والديهم ولا يرون العالم إلا بهما، فهما بداية ونهاية العالم بالنسبة لهم. وخلال سنوات الدارسة الطويلة والمتعاقبة تقوم المدرسة بملء هذه الصفحات البيضاء، وتعمل على تنمية القدرات الفكرية والتعليمية والتحصيلية لدى الأطفال، فسنوات التحصيل في المدرسة تعمل على تحسين وتطوير القدرات الفكرية والعقلية للأطفال، كما تعمل على إرشادهم إلى أصلح الطرق التي تساعدهم على تطوير هذه القدرات والتي ستعود لاحقا على المجتمع بالنفع من خلال توظيفها الأمثل في المشاريع والأعمال التي سيلتحقون بها بمجرد أن يصبحوا أعضاء عاملين وفاعلين في المجتمع الذي ينتمون إليه. وعليه فإن رفد المجتمع بمثل هذه العقول المفكرة والواعية بقدرتها التفكرية والابتكارية العالية يساهم في تحسين بيئات العمل، وفتح أسواق عمل جديدة، وخلق فرص استثمارية جديدة والتي تؤدي بدورها إلى إنعاش وتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد، مما ينعكس إيجابا على الوضع المعيشي لأفراد المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته.

وتعمل المدرسة على تطوير المهارات الفكرية للأطفال وبالتالي تتعزز ثقتهم بأنفسهم فيصبحوا أكثر قدرة على اتخاذ القرارات التي تصب في المسار الصحيح، يميزون الصواب من الخطأ وبالتالي لا يكونون عرضة للانجرار بسهولة وراء أفكار ومعتقدات تضليلية أو مدمرة لهم ولمن حولهم، وبالمحصلة يستقبل المجتمع جيلا واعيا وقويا بما فيه الكفاية ليؤثر أكثر مما يتأثر، ويصحح أكثر مما يرتكب الأخطاء فتتاح الفرصة أمام المجتمع وقاداته بالانشغال التام بالتطوير والعمل الجاد والارتقاء للمعالي بدلا من الانشغال بإصلاح أخطاء أفراده وملاحقتهم ومحاولة تقويمهم الأمر الذي يستهلك ويضيع موارد البلاد والجهد والوقت.

ولأن المدرسة تعمل على تحسين القدرات الفكرية والحسية للأطفال خلال سنوات دراستهم ابتداء من الحضانة وحتى مرحلة التخرج، فكل ما يفعلونه خلال هذه السنوات هو التفرغ للتزود بالمعلومات على مختلف الأصعدة الثقافية: أدبية، دينية، تاريخية، علمية وحتى رياضية، فتصبح ذاكرة الأطفال وعقولهم عامرة بالأفكار والتي يعملون على ترسيخها من خلال التحصيل المستمر للمعلومات وتطوير أنماط شخصياتهم التي تشكلت خلال سنوات الدراسة وبدأت تكتسب ملامحها الخاصة بها، هذه الأفكار هي ما ستتحول لاحقا إلى رؤى قوية وهادفة بمجرد أن يصبحوا ناضجين وجاهزين لخوض غمار العمل في مجتمعاتهم، وبطبيعة الحال فإن هذه الرؤى والأفكار الخلاقة هي ما ستصبح جزءا لا يتجزأ من المجتمع وهي ما ستساهم بتشكيل معالمه وآفاقه وتمهد له الطريق ليصبح أكثر تميزا في مختلف مجالات العمل.

كما تمثل المدرسة المساحة التي تتيح للأطفال أن يكتشفوا أنفسهم ويتعرفوا على مهاراتهم ومواهبهم التي تميزهم عمن سواهم وبمجرد أن يعرف الطفل المهارات والمواهب التي تجعل منه شخصا مميزا فإنه وبمساعدة معلميه يعمل على صقل هذه الموهبة وتحسين أدائها بالشكل الأمثل، وحين ينهي سنوات دراسته ويصبح فردا عاملا في المجتمع سيقوم حتما باستغلال هذه المواهب وتوظيفها بشكل أكثر فاعلية أولا ليثبت نفسه وكفاءته في مكان عمله وثانيا -وهو الأهم لتطوير بيئة العمل التي ينتمي إليها مما يعود بالنفع على المجتمع ككل.

ويتعلم الطفل في المدرسة وفي الوقت نفسه يتدرب على التعايش مع غيره من الأطفال من مختلف الفئات والطبائع من خلال الأنشطة الجماعية والثقافية التي يمارسها خلال أعوام دراسته، تلك الأنشطة التي تعزز فيه حب العمل، التعاون، الإيثار، الرحمة، البذل والعطاء.. إلخ مما يقلص المسافات بينه وبين الآخرين ويتعلم كيف يعيش ويعمل معهم بمشاعر الود والإخاء والتفاني، لنحصل على مجتمع قادر على التعايش وتقبل الآخر، مجتمع على قدر عال من الترابط والتآخي والانسجام، والمجتمع المترابط والمتماسك مجتمع ناجح لا محالة.

باختصار المدرسة هي إحدى الركائز والدعائم الأساسية والتي عليها يرتكز تطور وتنمية ونجاح المجتمعات، فهي تلعب دورا بارزا وفعالا ومؤثرا في بناء وتطوير المجتمع والصعود به إلى أعلى درجات النجاح والتفوق على مختلف الأصعدة التعليمية، الثقافية، الصناعية، التجارية، الاقتصادية والتكنولوجية.

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

تتعهد المدرسة النشء منذ نعومة أظافرهم، فتحتضنهم في أول خروج لهم من كنف الأسرة، لتنمي مداركهم وخبراتهم القليلة التي استمدوها من والديهم.. ولا يتوقف دور المدرسة على التعليم وتعزيز المعرفة، إنما يتكامل دورها مع الأسرة في زرع القيم وصونها، والحفز على الإيجابية، والتصدي للسلبية والانعزال والانهزامية، فتتفوق المدرسة على الوالدين في إحداث التغيير المأمول، والذي ينعكس صداه المثمر على المجتمع ككل.

المدرسة.. تنمية وبناء

بداية، يقول د. محمد عبدالعزيز أستاذ علم الاجتماع بجامعة المنيا، إن المدرسة إحدى أهم أساسات بناء المجتمعات، فهي ضمن أسباب نمو الطفل ليصبح مواطنا سويا في مجتمعه، يعرف حقوقه وواجباته، ويصبح بالعلم مهيئا للتطور الحياتي البناء.

وأضاف: إن «إعداد أجيال الغد» أصبح من الأمور الصعبة والحساسة، التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، فلم تعد المدرسة الوسيلة الوحيدة لمعرفة الطفل وتنشئته، بل أصبح العالم كله يؤثر فيه بعد انتشار الإنترنت.

ولكي نبني الطفل على حسن الخلق لابد أن نوفر أساتذة أكفاء، همهم الأول الارتقاء بالمجتمع وكيفية إخراج جيل قائم على القيم والأخلاق الحميدة، يساعد الكبير ويمشي في الأرض بالأخلاق وحسن المعاملة، والعمل بما تعلمه من مكارم، لا أن تخرج أطفالا غير أسوياء يقلدون ما يرونه في شاشات الهواتف والأفلام غير المنضبطة، ولا تخرج أجيالا كل طموحهم الهجرة إلى البلاد الأكثر ثراء.

اكتشاف وتحليل وتنمية

وأكد أن أول أهداف المدرسة اكتشاف الطلاب وتحليل مهاراتهم وكيفية استثمارها لمعرفة الهوايات والطموحات والعمل على تنميتها لخدمة المجتمع، والذي يجب أن يكون أساسا لكل شيء، فالدين أوصى بحماية الوطن وبناء المجتمعات، لذا لابد من تعزيز حب الوطن والحفاظ على الأرض والعرض والأخلاق في نفوس الطلاب منذ الصغر.

وعلى المدرسة أن تحث طلابها على المبادرة والتفاعل والإقدام على الطرح، فبمثل هذه الأمور يصبح

التلميذ إيجابيا مبادرا، ولا تزرع بداخله الأمراض النفسية والعقد.

وتابع: من أهم ما ينبغي أن تراقبه المدرسة وتعمل على تنميته الصداقات بين الطلاب، ويجب عليها التدخل بشكل مباشر لحماية الطيب من الفاسد، فالمدرسة مجتمع مصغر للوطن، يفسد الطالح فيه الصالح، ومراقبة المدرسة تكون بالأخذ على يد المسيء وضبط سلوكه، وتنمية الصالح وتكريمه وحثه على بذل المزيد من الخير، وزرع حب التعاون في كل ما يرضي الله، والصداقات قد تستمر لفترات طويلة، لذلك مراقبتها في الصغر وتنظيمها يساعد على خروج أجيال من الطامحين.

وأضاف: الإدارة لابد أن تكون صالحة ومتفاعلة، فكيف يتفاعل الطالب مع إدارة صامتة، لذلك أقول إن الطالب يرى المدرسين ويقلدهم ويحب منهم ويبغض، لذلك لابد من «زراعة القدوة» في كل شيء، فلا تأمر الطلاب بتجنب التدخين والسيجارة في فمك، قس

د. محمد عبدالعزيز: تأهيل مواطن سوي يعرف حقوقه وواجباته

على ذلك المجتمع، ويكتسب الطلاب من القدوة أسلوب الحديث والتفكير والفعل.

وأكد أن شخصية الطالب تتكون في هذه الفترة ويخرج إلى المجتمع بها، لذلك يجب على إدارة المدرسة والمختصين فيها الانتباه إلى الأمراض التي تضرب الطلاب كالانطوائية والعنف والتنمر، فكلها سلبيات تضر المجتمع في المستقبل، وبمرور الوقت تجد مواطنا غير قادر على الإنتاج أو العمل بأريحية.

واختتم قائلا: نستطيع القول إن المدرسة هي مرآة المجتمع، وكل ما يحدث فيها ويتراكم ينعكس على المجتمع.

الرأي وحق الاختلاف

في السياق ذاته، قال د.محمد عبدالباسط، أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة: إن العصر الحالي يتطلب أدوات مختلفة لتعامل المدرسة مع الطالب حتى تلاحق تطوره الفكري، فالطالب أصبح سابقا للمدرسة في أمور كثيرة كاستخدام الوسائل والأدوات التكنولوجية الحديثة، والتي أثرت على مستوى الذكاء والتفكير والرغبات والأولويات، فمثلا لا يصح أن يقف المدرس أمام الطالب ويحدثه عن عنوان «كيف نستخدم الحاسب الآلي؟» وبينما الطالب في الواقع سبق هذه المرحلة بخطوات.

أيضا، «التنظيم» كلمة بسيطة لكنها قادرة على تغيير حياة الطالب في المدرسة والمجتمع، ويجب أن تكون الأولوية الكبرى لخروج إنسان سوي، على الطالب منذ الصغر أن يقسم وقته ويعلم أن هناك ساعات للعلم وأخرى للترفيه والراحة، إذا تعود الطالب على تنظيم وقته وتقسيمه لتلبية كل احتياجاته صلحت كل أموره.

وأكد ضرورة أن تعمل المدرسة على تعويد طلابها على إبداء الرأي

بضوابطه، وطريقة الاعتراض على الشيء، والبعد تماما عن التطرف والعصبية والتعصب، لأنها تضر المجتمع في المستقبل، وتؤدي إلى التحزب وخدمة مجموعة معينة عن غيرها، موضحا: نجد تجمعات في المدارس تتعصب لفريق كروي ما، فعندما يخرجون للمجتمع يتعصبون أيضا وتحدث مشكلات كبيرة، ويجب على المدرسة التدخل حينها وتدريب الطلاب على نبذ التعصب، والتأكيد أن الرياضة لعبة جماعية تتميز بالأخلاق الحسنة.

وأشار إلى أن الدور الذي تؤديه المدرسة ينعكس بالتأكيد على مستوى الوطن من كل النواحي، فنسبة التعلم الجيد تقي من الفقر وتخفض معدلاته، والعكس تماما، فالجهل والأمية يؤديان إلى الفقر وانحدار الأوطان للهاوية، والتعصب والكره يوقدان الفتنة التي تدمر المجتمع، مشيرا إلى أن التعليم الجيد يسهم أيضا في خروج العلماء والأساتذة الذين يطوفون الدنيا لنشر العلم والأخلاق، ودائما ما ترى العالم ترفعه أخلاقه، فلا ترى عالما في مجال إلا تميز بالأخلاق.

علاقة تكاملية

أما د. فؤاد الناظر، أستاذ التربية بجامعة عين شمس، فأكد على أن العلاقة بين المدرسة والمجتمع علاقة تكاملية، فدعم المجتمع للمدرسة وتطورها يخرج طلابا يهتمون بالمجتمع وتطوره، فلا نستطيع القول إن المدرسة تؤثر وحدها في المجتمع، أو المجتمع يؤثر وحده في المدرسة، لكنها علاقة يكمل فيها كل

د. محمد عبدالباسط: احترام الرأي وحق الاختلاف والبعد عن التعصب

طرف الآخر.

وأضاف: إن المجتمع هو نتاج لكل ما تقوم به المدرسة خاصة في جوانب التنشئة الأخلاقية والفكرية والعملية.

وتابع: من أهم أدوار المدرسة نقل تاريخ الأمم وتقديمه بصدق، فالتراث الثقافي للأجيال التي سبقتنا، وزرعه في المنهج الدراسي يساهم في التعلم وخلق القدوة وإنارة الطريق، فمن الماضي نتعلم الأخطاء ونرسم طريقنا للمستقبل، لذلك على الوزارات وهيئات التعليم التركيز على دور المدرسة، وتعليم الطلاب تاريخ وطنهم، فيخرج جيلا مثقفا واعيا بما حدث في الماضي، عالما بما يجب فعله في المستقبل، وسبب تعلمه.

واعتبر «الأنشطة الإنسانية» من أهم أدوار المدرسة، يدخل الطلاب إليها من طبقات وثقافات مختلفة، فعليها أن تعمل على تأهيل هذا المزيج دون تفرقة أو عنصرية، فيخرج جيل وسيطي متكامل، مختلف في الأفكار والأنشطة

د. الناظر: المجتمع نتاج لما تقوم به المدرسة من تنشئة أخلاقية وعملية

متمسك بثقافته، فتكييف هذه الفئات والطبقات من أفضل الأدوار التي تقوم بها المدرسة بإتقان، فلا يعاير الغني الفقير، بل يساعده ويدعمه، ولا يتفاخر أحد على أحد بنسبه أو عصبيته.

وعدد الناظر بعض الأمور التي يجب على المدرسة إدراكها والعمل بها لتكوين مجتمع سوي نفسيا، منها أن تكون المناهج مناسبة للطلاب ولقدراتهم، وكذا استخدام نموذج التعاون والشورى وليس فرضه على الطلاب بالأمر، الاهتمام بألوان المدارس وأشكالها وتوفير سبل الراحة من الداخل للطلاب، فالمدارس المنظمة تخلق طالبا منظما، أيضا محو كل الأفكار التي تؤدي إلى الخجل أو الخوف والانطوائية، ومواجهة الطالب بها ونزعها من داخله من خلال تكرار تنظيم جلسات اجتماعية ونفسية معه.

وتابع: على المدرسة أن تعلم طلابها ضبط الانفعالات والبحث عن حلول للمشكلات بأساليب متقدمة قائمة على الحوار، وعليها أيضا دعم مواهبهم وقدراتهم واستثمارها، وتعديل أفكارهم غير السوية، وتنظيم العلاقات في المدرسة بين الطالب وزميله وأستاذه وإدارته.

غياب الرسالة

بدوره، أوضح د. أحمد عبدالواحد أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، أن كلام الله تعالى في القرآن الكريم وحديث نبينا محمد ﷺ حث المسلمين على العلم والقراءة، فمن

ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤) وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩) وكذا قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١)، ومن الأحاديث ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» (أخرجه مسلم).

وأضاف: إن القرآن والسنة أساس التعليم، وأسلوب القصص من أبرز الأساليب التي تعين على ثبات المعلومة وأخذ العظة والعبرة لما لها من تأثير واضح على الطلاب.

وأشار إلى أن من أبرز الأمور التي يجب أن يعيها الطالب قبل أي شيء أحكام وتعاليم دينه، والأسس التي يقوم عليها الشرع، وقصة الإسلام من بدايته حتى الآن وربطه بالواقع، على أن يكون معاملته في حياته مع أصدقائه وأساتذته قائمة على أساس ديني، فيعتدل سلوكه، لأن تعاليم الدين كلها خير وتبني إنسانا سويا، ورسول الله ﷺ هو المعلم الأول وخير قدوة، علمه ربه سبحانه وتعالى فكان خلقه القرآن، لذا طابت سيرته في العالم أجمع هاديا ونبيا ومعلما للبشرية كلها بحسن أخلاقه.

وشدد على ضرورة أن يعي الطالب سيرة النبي الكريم ﷺ ومواقفه في حياته، وماذا حدث بعد وفاته، وكيف كان يعفو ويصفح؟ ومتى يعاقب؟ وكيف كان يقول ويصمت.

د. عبدالواحد: خروج مؤسسات التعليم عن رسالتها سبب انهيار المجتمع

وتابع: إن المدرسة الأولى للمسلمين كانت «دار الأرقم بن أبي الأرقم»، ثم أصبح المسجد هو الدار الأولى للعلم، ففي عهد رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الراشدين كانوا يدرسون القرآن والحديث والفقه واللغة، ثم بتتابع العصور ظهرت الكتاتيب التي ساهمت في خلق أجيال قوية حملت تاريخ الأمة وساهمت في نشره، موضحا أن كل علماء الأمة قديما خرجوا من المساجد والكتاتيب.

تأهيل نفسي

وقال د. خالد محمد، استشاري علم النفس بجامعة عين شمس: إن وجود مختص نفسي في أي مدرسة ضروري، وعليه أن يكون متمكنا قادرا على المساعدة عند الحاجة، ولا يكون دوره شرفيا.

وأضاف: يختلف علم النفس في المجتمع والأمراض التي يواجهها الطبيب النفسي ويعمل على معالجتها عما يراه داخل المدرسة، فالعمل داخل المدرسة استباقي، لا

د. خالد محمد: التأهيل النفسي للطلاب يجنبهم السلوكيات المدمرة للمجتمع

يجب أن ينتظر الطبيب حتى تعرض عليه الحالة، بل عليه أن يتابع الطلاب وتصرفاتهم وسلوكياتهم، يحضر الحصص معهم ويوجه المعلم لأسلوب أفضل إذا رأى منه شيئا غير سوي، وأن يحتوي الطلاب ويستمع إليهم.

وأشار إلى أن عمل أخصائي علم النفس أن يراجع المناهج ويعطي رأيه فيها فلا ينبغي مثلا عرض صور غير مناسبة للأطفال.

وأكد أن المشكلات النفسية تبدأ مبكرا عندما يذهب الطالب للمدرسة أول مرة، يشعر بخوف شديد، وهذا الأمر وإن قل كثيرا عن السنوات الماضية بسبب انفتاح التكنولوجيا على الجميع، إلا أنه يظل موجودا ويسبب أضرارا كبيرة، فيجب حينها التدخل لمساعدة الأسرة على تحبيب المدرسة للطلاب، وإظهارها بشكل جيد، ويجب أن تهيئ المدرسة نفسها لاستقبال هذا الجيل الجديد.

وأشار إلى مشاكل عديدة تنتشر بين الطلاب في المدارس، أصلها نفسي وأولها أخذ الشيء دون استئذان، والتشابك بالأيدي، والكذب، والهروب من المواجهة أو من الأخطاء وعدم الاعتراف بالذنب، التأخر اليومي، رفض تنفيذ الأوامر، التدخين، الغش، الاكتئاب والخوف.

وأوضح أن كل هذه الأمراض تحتاج إلى تدخل نفسي تربوي، فالغشاش إذا خرج من المدرسة دون علاج سيكون غاشا لمجتمعه، ولن يتغير سلوكه مهما حدث، وقس على ذلك كل الأمور.

د. الطيب رحماني
دكتوراه في النقد الأدبي

شعر المديح النبوي عند حسان بن ثابت

حسان بن ثابت أو شاعر الرسول كما لقبه رواة الشعر ودارسوه لما ثبت في السير من ملازمته للنبي عليه الصلاة والسلام، ودفاعه عن الإسلام والمسلمين في مواجهة الشرك والمشركين، فحاز بذلك شرف الثناء النبوي عليه..

حسان من شعراء المديح في الجاهلية قبل الإسلام، فقد اتصل بالملوك الغساسنة والمناذرة وطاب له العيش بمدحهم فكانوا يغدقون عليه العطاء، وبعد الهجرة النبوية أفرد الدعوة الإسلامية بشعره، فخلص مدحه للنبي وصحبه بعيدا عن التكسب والشهرة وغيرهما من مطالب الدنيا.

والمديح النبوي عند حسان وإخوانه من شعراء صدر الإسلام ضرب من الجهاد بالكلمة، إذ يزاوج بين ذكر المناقب والفضائل النبوية، وهجاء أعداء الرسول ﷺ من المشركين والمنافقين.

وقد تبين بعد تتبع المديح النبوي في ديوان حسان أنه لا يتجاوز ٢٠ موضعا من أصل ما يزيد على ٢٢٠ مقطعا وقصيدة ضمها الديوان، وذلك راجع إلى أن حسان شاعر مخضرم أنشأ قسطا كبيرا من شعره في الجاهلية، وبعد الإسلام انشغل بموضوعات إسلامية كثيرة ضمن عنوان الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وعلى محدودية المديح النبوي ضمن مجموع شعر حسان، فهو يكتسي أهمية بالغة من حيث المضامين وطرائق التعبير، كيف لا وصاحبه شاعر ماهر حاذق بالكلمة يختار منها الأصلح حسب الحال والمقال، حتى كان أشد وقعا على المشركين من غيره من شعراء الإسلام، فقد كانوا يعيرونهم بالشرك لأنه المثلبة الكبرى في التصور الإسلامي، بينما كان حسان يهجوهم بأنسابهم وأحسابهم فكان ذلك أشد وقعا عليهم، فدل على ذكائه وفطنته أن القوم لا يزالون على عاداتهم الجاهلية من التفاخر بالأحساب والأنساب وحطام الدنيا. ولا غرو أن يكون مدحه لخير الورى أبعد شأوا، وأنقى سريرة، وأكثر أثرا، بما ضمه من ذكر وتمجيد للفضائل والشمائل النبوية، وتفنن في التعبير عن الحب النبوي الخالص هياما بخير الورى، فيكثر تعداد الصفات الخلقية الدالة على النبوة في مقابل الصفات الجسدية، إذ المديح النبوي عند شعراء الإسلام ضرب من المنافحة عن الدعوة الإسلامية كما ذكرنا.

الاصطفاء الرباني

أول حقيقة يدافع عنها حسان هي مقام النبوة الذي ثبت باصطفاء الله تعالى لمحمد بن عبدالله ليكون مبلغ رسالته للعالمين، فهو لا يذكره مدحا إلا بعد تقرير هذه الحقيقة الربانية وما ارتبط بها من نور الهداية بالوحي والدلالة على الله، وما ترتب عليها من تكريم إلهي:

أغر عليه للنبوة خاتم
من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد[1]

فسر عظمة الممدوح نابع من ميزة النبوة وهي اصطفاء إلهي دلت عليه إشارات جسدية ولغوية: فمحمد ﷺ يحمل خاتم النبوة بين كتفيه، والأذان والتشهد لا يتمان إلا بالتلفظ باسم الله واسم رسوله، ووجود علاقة اشتقاقية: فالله تعالى محمود، وهو محمد.

وهذه الحقيقة لا تقبل إلا التصديق والتسليم بما جاء به من الوحي من رب العالمين:

رسول نصدق ما جاءه
من الوحي كان سراجا منيرا[2]

فهو لا ينطق عن الهوى ولا يختلف عن السنن الإلهي، لا يرى إلا حقا ولا يقول إلا صدقا:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب
فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد[3]

اكتمال الخلق والخلقة

ومن دلائل الاصطفاء التي استوقفت حسان الأخلاق والشمائل النبوية مثل التقوى والصبر والإقدام واليقين والشجاعة والكرم والجود:

مستشعري حلق الماذي يقدمهم
جلد النجيزة ماض غير رعديد
أعني الرسول فإن الله فضله
على البرية بالتقوى وبالجود[4]

وعلو الهمة والسماحة والوفاء:

وذكرت منا ماجدا ذا همة
سمح الخلائق ماجد الإقدام
أعني النبي أخا التكرم والندى
وأبر من يولي على الأقسام[5]

ومحمد ﷺ مؤيد كذلك بجمال خلقته المجردة من كل عيب حتى لا ترى له العين مثيلا في الحسن:

وأحسن منك لم ترقط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء[6]

وحين يعمد الشاعر إلى الصورة البيانية يكون للمشبه به الشرف لتقريب الوصف النبوي، وإلا فلا مجال للمقارنة بين خير خلق الله وغيره:

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند[7]

فالنور النبوي لا يضاهيه نور سراج وإن اشتد توهجه حتى كان كثير من ناظريه يتقونه ولا يطيلون فيه النظر، أما لمعان السيف الحاد فأنى له أن يدرك التمكين النبوي في الفصل بين الحق والباطل، وإنما هي اللغة تقرب المعنى وتحصيه... ولا يحيط به إلا كلام الله عزوجل الذي اتخذه الشاعر منهلا يقتبس منه، قال الحق جلا وعلا في وصف حبيبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦﴾ (الأحزاب:٤٥-٤٦) وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة:١٢٩)، فقال حسان:

عزيز عليه أن يحيدوا عن الهدى
حريص على أن يستقيموا ويهتدوا[8]

ومن كان هذا هو وصفه كيف لا يكون محل محبة وتقدير وتعظيم وتفضيل واتباع في المنشط والمكره؟

ذاكم أحمد الذي لا سواه
ذاك حزني معا له وسروري[9]

الافتخار بنصرة النبي ﷺ

وكيف لا يكون لحسان وإخوانه من الأنصار أن يفتخروا بنصرتهم لمن هذه شمائله؟

الله أكرمنا بنصر نبيه
وبنا أقام دعائم الإسلام[10]

وهم الذين نصروه بما يملكون من الأنفس والأموال، قتالا في ساحات الوغى أو دفاعا في محافل الكلمة:

وقال الله قد يسرت جندا
هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد
سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء[11]

والقصة النبوية كلها مضمرة في هجرة ونصرة:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مؤاتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا

فلما أتانا واطمأن به النوى
فأصبح مسرورا بطيبة راضيا[12]

المدح في سياق الرثاء

لما توفي النبي ﷺ رثاه شعراء الإسلام رثاء حارا صادقا نابعا من عمق الحب الخالص من شوائب النفس والهوى ومآرب الدنيا، وكان لحسان نصيب أوفى فأطال الرثاء، وأفاض مشاعر الحزن والشوق إلى الجناب النبوي الشريف وقوفا على قبر النبي ﷺ وتذكرا للمشهد الأليم مشهد الدفن واستحضارا لهول المصاب بعد ذلك:

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
تهيل عليه الترب أيد وأعين
عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد[13]

كيف لا يبكي حسان وإخوانه وقد غيب الموت نبيهم فذهب ومعه نور الهداية والدلالة على الله لا مثيل له إلى يوم القيامة؟

وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يفقد[14]

ولجلال الموقف وعظمة المفقود يتمنى الشاعر أن لو لم يشهد وفاة النبي ﷺ، وأن لو سبقه إلى ذلك، ويستعظم الإقامة، ويفضل أن يهلك بلدغة، أو تقوم قيامته هو وصحبه، حتى يلحقوا بحبيبهم:

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم
يا ليتني صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا
في روحه من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا
محضا ضرائبه كريم المحتد[15]

ثم يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يجمعهم به في جنات الفردوس:

يا رب فاجمعنا معا ونبينا
في جنة تثني عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا
يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد[16]

وفي موضع آخر يتجلى الإيمان الراسخ والرضا التام بالقضاء والقدر في مثل هذه المواقف، على خلاف الرثاء الجاهلي المرتبط بلطم الخدود وشق الجيوب، نعم إن المصاب جلل ولكن إرادة الله ماضية نافذة:

فليتنا يوم واروه بملحده
وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحدا
ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم
وكان أمرا من أمر الله قد قدرا[17]

هذا الرثاء من حسان هو ضرب من المديح النبوي بما يكثر فيه من ذكر للشمائل المحمدية في سياق تصوير لوعة الشوق وجلال الموقف (المراثي السابقة كلها تأتي بين يدي الشمائل).

هكذا إذن يبدو المديح النبوي في شعر حسان هائما في شمائل سيد الخلق ذاك الذي يشد إليه العقول فيأسر الألباب بما حباه الله به من جمال المظهر والمخبر، لكنه مدح يسير في ركاب الجهاد ولا يحيد عنه، ينبع من ساحات المعارك غير متوار وراء جدر القصور، يتطلع إلى رفعة أبدية في جنات الخلد، ولا يلتفت إلى مجد زائف في الحياة الدنيا، إنه جهاد الكلمة الذي باركه النبي ﷺ ودعا له، لأنه تخليد للأمر الذي شاءت إرادة الله أن يكون نافذا إلى يوم الدين، ومنافحة عنه في وجه الكفر والشرك والنفاق.

الهوامش

١- ديوان حسان بن ثابت، ت: الأستاذ عبدالله أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٥٤.
٢- المصدر نفسه، ص١٢٨.
٣- نفسه، ص٦٠.
٤- نفسه، ص٥٥.
٥- نفسه، ص٢٢٧.
٦- نفسه، ص٢١.
٧- نفسه، ص٥٤.
٨- ديوان حسان، ص٦٢.
٩- نفسه، ص١١٠.
١٠- نفسه، ص٢٣٠.
١١- نفسه، ص٢٠.
١٢- نفسه، ص٢٥٤.
١٣- نفسه، ص٦١.
١٤- نفسه، ص٦٣.
١٥- نفسه، ص٦٥.
١٦- نفسه، ص٦٥-٦٦.
١٧- نفسه، ص١٠٢.

محمود عقاب
كاتب وشاعر

زخارف على بردة الهدى

أزخرف قلبي فوق بردة أحمدا ... قصيدا من البشرى يزمل من شدا
وألقي إلى نهر الجمال بمهجة ... يوضئها نور على ضفة الهدى
وزين محراب الفؤاد سراجه ... ليسري في زيت العروق توقدا
أطوف.. سهام الضوء ينقش خاطري ... كأن دمي من رميها شفق بدا
تودع شعري في حياء «سعاده» ... ليسكن في الأبيات ذكرك مفردا
فؤادي بغزل العنكبوت نسيجه ... عليه هديل النبض يشدو محمدا
وغار بثوب النور دثر أمة ... يشرع أفلاكا بها الشمس تهتدى
شراع على فلك الكمال مرفرف ... يطوف بحار الناظرين لتنفدا
وبدر توارى حين جئت متمما ... وكل تمام كان منك مقلدا
سجايا بها الأشجار تغزل ظلها ... لتدمل جرحا للهجير وتبردا
على خطوك الإسراء أثمر جنة ... وبين سماء الروح يصعد فرقدا
من المنتهى بدء، وميلاد أمة، ... رسول إمام مهد الأرض مسجدا
نخيل يزف البدر في درب هجرة ... غدا في يد الأنصار بالتمر أجودا
وفي قلعة التوحيد بهو من السما ... على سيفها لا تعرف الشمس مغمدا
بـ«يثربه» عرش النبوة شامخ ... وهادى لواء الفتح «مكة» مقلدا
ومئذنة بالحق يشدو بلالها ... وبالرحمة المهداة منبرها ارتدى
ملائك حفت حول جندك نصرة ... وكنت بإمداد الإله مؤيدا
وما ضاع للإيمان نصر لقلة ... وكم ضاع إشراك بكثرته سدى
هديل حمام الغار يطرق خافقي ... وبين نسيج الروح نجم توقدا
شعاع كرمي السهم يغزو جوانحي ... فأدمى سحاب القلب وهجا مسددا
وأطلقت فلك الهدي تبحر في دم ... ودمع بشط العارفين تسهدا
وهز نسيم البشر أغصان أضلعي ... وفيها ابتهال القلب في الأفق غردا
لسان كعود الطيب فاح عروبة ... وقول يراه الحق سيفا مهندا
عليك خيوط الفجر تنسج بردة ... لينقش فيها الطير للمدح مشهدا
وذوبت روحي في مداد قصيدتي ... ولفظي لدى معنى جمالك أنفدا
تسابق مدحي نحو بابك قاصدا ... وإن ضل شعري لا أرى الباب موصدا
أزكي بك الأشعار.. أجري بحورها ... وفوزي متى ألقى على الحوض أحمدا

عادل حماد سليم
شاعر مصري

المصباح

همت القلوب، وهامت الأرواح
الأسودان طعامه، لكنما

غرقى الصبابة نورهم سباح
يده بحار للسخا ورياح

لهم على الوجد المبارك لحظة
حاز الجمال الفذ، إلا أنه

سيان فيها الصمت والإفصاح
فوق الجمال جلاله يتداح

سرا وجهرا.. بكرة وعشية
كاللؤلؤ المكنون في قطراته

بي، راغب -للقائهم- طماح
عرق النبي على الشذى فواح

وردوا رحيق الحوض باسم حبيبهم
للجذع عذر إن جرت عبراته

لشفاههم قد سارت الأقداح
أو جاء يلتحف الحنين نواح

فتح هو الحب الذي أسرى بهم
يشتاق للنور المصفى فوقه

ودعاؤهم... سبحانك الفتاح
شوق المحب، أنينه لماح

حب به تحيا النفوس، ثماره
أهدى إليه الله خير شريعة

سعد مقيم، لا جوى وجراح
لا جائع فيها، ولا ملتاح

جنات عدن هيأت فردوسها
دين به العمل الشريف عبادة

ومحمد بيمينه المفتاح
عقبى كفاح الكادحين نجاح

لما صعدت إلى رحاب مديحه
لو أن بئرك في الحياة تعطلت

عطر تدفق في دمي، وصباح
أقم الصلاة، يهرول الإصلاح

خجلى تجيء إلي، حسناء النهى
أمن يضم السالكين سبيله

فيمن له رب السما مداح
لا الخوف يدركهم ولا الأتراح

أخلاقه القرآن، فيها أسوة
بالعز مخصوص، كفيل، قيم

منها الفضائل كلها تمتاح
في روضه ريحاننا والراح

للأنبياء هو الأمير، مسخر
منه الدعابة للعجوز، بشارة

لعطائه الإحسان والإسجاح
في الحق من لطف الضحوك مزاح

بشرى المسيح وللخليل دعاؤه
المجتبى، المتوكل، المحمود ما

وبعين «آمنة» السنا الوضاح
ليل غشى، وتنفس الإصباح

في محكم التنزيل يتلى ذكره
قالوا وقد جعلوا الظلام هوية:

وترتل الأقلام والألواح
موج الكروب مع الردى يجتاح

الصادق، الماحي ظلام الكفر من
قالوا: استقر الضيم في أحداقنا

مضغ الصدور المصطفى، المصباح
ضاقت علينا الأرض وهي فساح

خير الورى، الأمي، صاحب حجة
قلت: المجير، هدى البشير، ومن به

آياتها في العالمين فصاح
غمي، وهمي كله ينزاح

من يوم مولده السعادة أشرقت
إن ضاق صدري في أمور معيشة

وتجلت الأعياد والأفراح
عند المكمل للفؤاد مراح

أرخى له سرب الغمام ظلاله
ضمن النجاة من استقل سفينة

وتقدمت بسلامها الأدواح
منهاجه الأسمى لها الملاح

في الأرض من فمه الكريم تحية
صلوا عليه لتسعدوا بجواره

أدنى نداها، رحمة، وسماح
إن الصلاة على الحبيب فلاح

محمد ثابت توفيق
قاص وكاتب

لقاء عابر

ظننت أن محدثي يمزح فقلت بصوت بين الخافت والصارخ:

– أنت تمزح، عمي «إسماعيل» لم يمت!

قال الشاب في ابتسام ولطف:

– كلنا سنموت وزميلي «إسماعيل» لقي الله تعالى منذ قرابة أربعة أشهر.

– كيف وأين؟!

– عاد إلى محافظته البعيدة وهناك صدمته سيارة في حادث سير مريع.

لم أكن عرفت عمي «إسماعيل» إلا لدقائق قليلة في ثلاث مرات ذهبت فيها إلى محل الحلاقة الذي يعمل فيه؛ وفي المرة الثالثة والأخيرة استوقفني، وقال لي في لطف:

– لا تحزن.. ولا تغادر المحل تعال ولسوف أفعل ما تود في شعرك وزيادة.

كنت قد طلبت من الشاب الذي يحلق أن يوقف خصلات شعري الأمامية، وأن يأخذ كثيرا من شعر خلفية رأسي وفي المنتصف أن يرسم لي رسما معينا في الشعر الباقي.

أبدى الحلاق الشاب غضبه وقال في شيء من الحدة:

– لا أعرف كيف أحلق بتلك الطريقة!

– مالها الطريقة؟

– إنني لا أعرف فحسب فعافني من فضلك.

علا صوتي وثرت وغادرت المحل في عصبية واضحة؛ فما راعني إلا كهل متوسط القامة، يميل إلى اللون الأسمر يهرول ورائي مبتسما؛ هدأني وربت على كتفي وقادني من يدي إلى المحل مجددا، أجلسني بلطف وسط تعجب زملائه؛ انتهى من الجزء الأول من الحلاقة.. مرحلة عادية لا تؤثر على صورة شعري الذي أريده؛ ثم استأذنني فذهب وأحضر علبتي عصير أهداني واحدة وقال:

– اسمح لي أن نشرب هاتين العلبتين ثم نواصل العمل.

قلت باستحياء:

– تفضل.

بعد حين قال بلطف:

– هل تريد قصة مميزة لشعرك لحضور مناسبة مهمة بالنسبة إليك؟

– نعم حفل زفاف أخي الأكبر.

– أنت شاب وسيم.. هل تريد أن تصير «نجم الحفل» كما يقولون؟

قلت في حياء:

– نعم شيء أشبه بذلك!

قال في عذوبة بعد أن تمتم بدعاء لم أتبين كلماته:

– مستقبلك عريض ومشرق بإذن الله؛ وأنت اليوم لا تحتاج إلى زينة مبالغ فيها فقد حباك ووهبك الله نورا في الوجه وجمالا لافتا للنظر في الشعر، فلو أنك حافظت على نعم الله بشكرها لحفظها الله لك؛ وما من داع لتلك الطريقة –عفوا– المنفرة في الحلاقة.

وقعت كلماته في قلبي موقعا حسنا بخاصة لما ظهر فيها من تأثره وحرصه وصدقه أثناء قولها؛ فقلت بعد لحظات:

– احلق لي كما تحب وتريد يا عمي.

فرح بشدة وواصل الحلاقة بلطف وتأن وهدوء.. ثم حاول ألا يجعلني أدفع أجرا، ولدى باب المحل سألته عن اسمه فقال في حياء:

– اسمي إسماعيل يا بني.

التقينا هنا منذ قرابة ثلاثة أشهر ونصف الشهر لقاء طويلا بعض الشيء –لكنه كان عابرا– وكنا نلتقي على عجل شديد قبله؛ واليوم اخترت المحل نفسه لأحلق فيه مدخرا سؤالا لماذا يعاملني كأني ابنه؟ فلم أجده.

غفلة سألت الشاب الذي يحلق لي نفس السؤال:

– لماذا كان الراحل «إسماعيل» يعاملني كأنني –بالضبط– ابنه؟

– هو يا بني كان يحب أن يكون داعية إلى الله يهدي الله به القلوب ويجمعها على يديه.

لحظتها قررت أن أسير على درب وطريق الراحل «إسماعيل» في الدعوة إلى الله تعالى.. فمن يعرف كم بقي له من العمر؟ وكم أعيش في هذه الدنيا؟

محمد عبدالحميد توفيق
شاعر وناقد

قراءة نقدية لقصيدة «القدس»

للنقد دور كاشف في بيان النصوص، الإبداعية فهو يلقي الضوء على ماتفرد به الكاتب/الكاتبة من أسلوب فضلا عن تطوره، كذلك يشير النقد إلى الهنات التي يتعثر فيها النص، منبها إلى ضرورة تجاوزها في المرات المقبلة.

ومن هنا استحدثت «الوعي الإسلامي» زاوية نقدية في بابها «لغة وأدب» لعل بعض المتلقين والمبدعين على السواء يستفيدون منها سواء، في فك رموز الكتابة الإبداعية أو تطور النصوص ذاتها.

قراءة في قصيدة «القدس» للشاعر محمود عقاب

مثل الموج الهادر والنور الساطع ينطلق الشاعر محمود عقاب، مبتدئا نصه الشعري برشة ملح في عيون الحياة، علها تفيق على أنين القدس الموار، لكنه الملح المشاكس المتمرد الثائر، والذي ينتج من تبخر الدمع وتكثف الإحساس بالرمز المقدس.

تبخر الدمع في أجوائها سحبا
والقلب في يدها من مغمدي سحبا

إن بناء القصيدة التصاعدي، والرمزية العالية والتصوير المدهش الموغل في المعرفة والعرفان بفضل القدس ومكانتها ورمزيتها على امتداد الأزمنة، لهو دليل ساطع على الحس الشعري الذي يتحول من مجرد كلام على الورق إلى نور مبين يضيء الأرواح الباحثة عن قدسها، ويصبح يدا تزيح الغبار عن وجه مدينة المدائن وقدس الأقداس التي غالتها يد الغدر الصهيوني، وأدمت قلبها جحافل التخاذل والخذلان على امتداد الحقب، لكن الشاعر هنا يفتح نافذة واسعة على دمعة القدس وأحزانها، بيد أنه الحزن الإيجابي الذي سرعان ما يتحول إلى زفة كبيرة لعروس تنتظر فارسها المخلص النبيل، ومن ثم يضحي القلب سيفا في يدها بعد أن سحب من مغمده.

وإذا كان النص يكشف عن شاعر كبير بأدواته وصوره المحلقة ورؤيته الممتدة، وعبقرية بنائه، وروعة تضفيراته اللغوية، فإن الشعرية الموغلة في الوجع، تنم عن قدرة استثنائية على هضم الحزن المسيطر وإعادة إنتاجه وتدويره إلى طاقة هائلة من الحلم والتشظي الذي يفضح القبح والظلم والتخاذل، إنه إذن شاعر لا يشبه إلا نفسه، إذ يلاحظ أن الكثير من القصائد التي اتخذت من القدس وقضية فلسطين موضوعا، جاءت بروح بكاءة لا تملك إلا التوجع من دون تقديم بدائل، لكن الشاعر محمود عقاب مبدع مدهش حتى في حزنه وتألمه، وبليغ مؤثر حين يحول الكلمات إلى وطن بديل وعالم أرحب ونور أكثر سطوعا.

وتتجلى الروعة والتوحد مع القدس قلبا وقالبا ولغة وموضوعا أثرا في قوله:

حتى استعارت ورود من أناملها لونا
ومسرى دمي في العشق ما انسحبا

وهذا البيت برأيي يشبه اللوحة الفريدة، لكنها ليست مرسومة بريشة بل بنبض الروح العارفة الملهمة العاشقة المتألمة المتألمة، فالورود استعارت اللون من أنامل القدس، غير أن مسرى الدم في العشق أبدا لم ولن ينسحب.

وتتجلى الفرادة والتميز في النسيج الشعري الهادئ الهادر، حين يموسق الشاعر رفض الخنوع ويجعل التمرد والنضال من أجل الحق أيقونة حياة:

فالحب ربي الفدا لا خوف يجهضه
عمامة القلب ليست بالخنوع أبا

وجاءت بائية الشاعر أشبه بأنشودة وجع بهي طازج وألم عفي راسخ، لكن الوجع والألم يفتحان شهية الأرواح للإبحار أكثر وأكثر في سيرة القدس التي ألهمت الذات الشاعرة كل هذه الطاقة الوجودية، حتى أنه تجلى وتملى وانصهر وشف وسرى في دروبها ونورها، وانحدر من سفوحها إلى دروبها فعانق تينها وزيتونها، فاخضوضرت روحه وكان الشعر معادلا موضوعيا لاحتضان الوطن الجريح:

هرولت في دربها كالسيل من جبل
وكل من غاص في بحر النعاس حبا
قدسية في ربى قديسة نبتت..
في الدير أو في المصلى تنجب العربا

إنها القدس في المساجد والأديرة حاضرة، وفي القلوب ماثلة عامرة، وفي روح الوجود الإنساني راسخة باقية، كما أن الوجود يستمد منها النسب:

كالشمعدان بدت منها الأهلة تعطي للصبا نسبا

ويختتم الشاعر نصه ببيت يشبه الميثاق الغليظ، حيث المسافة بين الذات الثائرة المناضلة العارفة الكاشفة وتحقيق الحلم ماثلة رغم البعاد، وحاضرة رغم الألم والجراح، فالمسافة تقيسها الريح أنى تشهد الغضبا:

مسافة قربت أرضا لرايتها
تقيسها الريح أنى تشهد الغضبا.

وأخيرا بقي أن نقول: إن الشاعر محمود عقاب متمكن في توظيف الدلالات، وماهر في بناء الصور الممتدة التي تفتح أفق التأمل أمام المتلقي، إنه أشبه برسام حين يبتكر ألوانا ويمزج بين الحسي والواقعي بقدرة فريدة، وفي بلاغة مدهشة يكثف الكلمات ليختصر سيرة القدس وجراحها، وتاريخ نضالها، لذا جاءت الصور متلاحقة متضافرة تكشف عن شاعر يقبض على الحسنيين المعنى والمبنى والصورة والرؤية .. «تبخر الدمع في أجوائها سحبا، حتى استعارت ورود من أناملها، وكل من غاص في بحر النعاس حبا، تطوف والتين والزيتون في يدها، تعطي للصبا نسبا، يتم أصاب الهوى، مسافة قربت أرضا لرايتها ...» إنها تصويرات بديعة ملهِمة وملهَمة، تفتح طاقة حب وعرفان رغم الجراح.

أوبة وتساؤلات

قراءة في قصيدة «يوما ما» للشاعر كريم بلال

إن الشعر الذي يتخذ من القضايا الدينية موضوعا في الغالب يأتي سطحيا إلى حد ما، وتكون المباشرة مقصودة أحيانا أو مفروضة على الشاعر أحيانا أخرى، وهو ما يمكن أن نلتمسه مبررا للمباشرة في قصيدة «يوما ما» للشاعر كريم بلال، والتي على قصرها خلت من الصور الشعرية المدهشة إلا قليلا، فقد بدأها بمشهد معلوم بالضرورة حيث ينتهي مصير كل البشر إلى أنه سيحمل إلى مثواه الأخير:

ويوما ما سيحملني أناس
لمقبرة ويعلوني التراب
وتسألني ملائكة شداد
ترى هل سوف يحضرني الجواب؟!

والبيت الأول يذكرنا ببيت كعب بن زهير:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

وجاء نص الشاعر كريم بلال قصيرا مكثفا معبرا عن توبة الذات وألمها على الذنوب وأملها في رحمة الخالق العظيم الرحمن الرحيم، ولعل أبرع ما في هذه البكائية القصيرة هو الاعتراف بالذنب والإقرار به برقة وعذوبة:

فلا قدمت خيرا للبرايا
وفي ليل الخَطا ضاع الشباب

ولا أدري لماذا آثر الشاعر خنق أفق النص القصير بتلك الجمل السطحية، مع أن الفضاء الشعري يحتمل التحليق بمناجاة الخالق العظيم وفرش مساحة ممتدة للبوح والحب والعشق الإلهي، لكن الشاعر هنا اكتفى بالقول:

عزائي أن لي ربا رحيما
ويغفر للعباد إذا أنابوا

بيد أن شاعرنا يحسب له الوزن المستقيم، والبناء الشعري المتماسك من أول النص إلى آخره، كما أنه قابض على المعنى في أبياته التسعة، ولغته رائقة صافية، ومعانيه على بساطتها تتكأ جراحا خافية في الروح الباحثة عن ملاذ أخير.

وليد عبدالماجد كساب
عضو اتحاد كتاب مصر

قراءة نقدية في قصة« نداء الأرض»

في قصته القصيرة التي وصفها كاتبها في بدايتها بأنها حقيقية ترصد وقائع رجوع شاب من فرنسا إلى وطنه مصر سيرا على الأقدام في معاناة لا مثيل لها، يقص علينا أحمد أبو رحاب جانبا من ويلات الحروب التي تجري بين الإنسان وأخيه الإنسان، لاسيما الحرب العالمية التي أفنت ملايين البشر وآذت حتى الشجر والحجر، فما أغنى الإنسانية عن الحروب والويلات!

● نطالع أول ما نطالع عنوان القصة المركب «نداء الأرض»، وهو عنوان مجازي مشوق للقارئ ومحفز لذهنه وكاشف عن مدى الحنين للوطن وعشق ترابه، فللأرض نداء مسموع يسمعه أبناؤها البررة الذين أحبوها عظيم الحب؛ فيلبون مهما واجهتهم الصعاب وحالت بينهم الحوائل.

● اتخذ الكاتب لقصته تقنية الراوي العليم الذي يحكي القصة ويصف شخوصها؛ فاستهلت القصة على لسان الراوي على هذا النحو: «لطالما حلمت بالسفر إليها وسعيت بكل السبل.. ها هو الحلم تحقق.. حالة من الذهول والشرود تملكتني.. هل تكون صدمة اختلاف الحضارات؟!»، ثم يواصل القاص حكايته الواقعية لكن على لسان حفيد البطل (رضا)، يقول: «بريق عيني جدي كان يخيفني وأنا طفل، كان يتنقل كأرنب بري بين الحقول»، ثم يأخذ الخيط البطل ذاته (محمد أحمد مرسال)، وهو الشاب الذي أخذه الإنجليز عنوة للعمل في معسكراتهم بأوروبا فعمل في حفر الخنادق وتعبيد الطرق من الفجر حتى انتصاف الليل بلا هوادة، يقول في بداية قصته: «انتقلت من بلدتي إسنا في الصعيد إلى الإسكندرية باحثا عن الرزق؛ فقبض علي الإنجليز بها...»، وهكذا انتقل القاص في نصه بين ثلاثة من الرواة: الراوي العليم/ الحفيد/ البطل.

● كما استخدم أبو رحاب تقنية التذكر في الحكاية كما في تذكر الحفيد للجد ووصفه، وكما في تذكر الجد للأهوال التي واجهها، وعند استدعاء ذكرى صديقه (متولي) الذي قضى نحبه في صحراء سيناء مع مجموعة من الشبان بسبب الظروف القاسية التي تعرضوا لها.

● اعتمدت القصة على وصف الأحداث منذ بدايتها، كما اعتمدت في كثير من أجزائها على الحوار بين البطل (محمد أحمد مرسال) وحفيده (رضا)، وجاءت اللغة متوسطة لا تستعصي على القارئ محدود الثقافة.

● تتخلل القصة عبارات حكيمة تؤكد أن النص ليس سردا فحسب؛ لكنه يقدم بعض الخبرات الحياتية في قالب من الحكمة، من ذلك قول الجد لحفيده أثناء حديثه عن المعاملة القاسية التي واجهها أثناء عمله: «الإنسان وحش يا ولدي يقتل أخاه الإنسان لأسباب تافهة». وكذلك وصفه لحرقة الشوق إلى الوطن بأنها «أشد إيلاما من وقع السياط».

● على أنه يلاحظ على القصة اضطراب عباراتها بين القصر تارة والطول تارة أخرى، ولو وازن الكاتب بين عباراته لجاءت القصة في قالب سردي أكثر إحكاما، ولوحظ أيضا غلبة الجانب الوعظي في بعض مواطن من القصة، كما في الخاتمة: «ثم عقب رضا: حب الوطن يسكن قلوب البعض فيستوطنها ويسيطر عليها.. أنا أيضا لن أنسى وطني.. سأسعى للرجوع مهما طالت بي الغربة؛ فتراب بلدي عندي أغلى من كل كنوز الدنيا».

عبدالهادي شعلان
عضو اتحاد كتاب مصر

تراب الوطن (قراءة نقدية)

من منا لا يحب وطنه ويعشق ترابه، وخير ما يدلنا على تعلق القلوب بالأوطان ما رواه الترمذي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» فالوطن يتغلل في شغاف القلوب ولا يستطيع المرء أن ينسى تراب وطنه، ويروى أن العرب كانت إذا غزت وسافرت حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه، وهذا مما يدل على الارتباط الشديد بالوطن.. وقصة «نداء الأرض» تطرق أرض هذا الشغف الذي يستشعره كل إنسان تجاه تراب وطنه وما يعانيه من يبتعد مرغما عن وطنه.

عنوان قصة «نداء الأرض» لأحمد محمد أبو رحاب مرتبط وملتصق بأصل الحكاية، وليس عنوانا جانبيا يمكن الاستغناء عنه، فالجد هنا في القصة والذي تم أخذه بالقوة وسافر لفرنسا تحت السياط أو القتل لمن حاول الهروب، حتى أنه عمل في حفر الخنادق، وتمهيد الطرق، لكن في نهاية الحرب قرر العودة للوطن الذي ناداه، وكأن هناك جاذبية بينه وبين الوطن، حتى كأن الوطن يناديه (سرت نحو الشرق أياما يا ولدي، بل سنين، لا أعرف كم مشيت فوق تلك الأرض، افترشت التراب، والتحفت السماء، بظروف قاسية أخافني أخي الإنسان أكثر من وحوش الغابات)

يستخدم الكاتب تقنية البوح في قصته وهي تقنية تساعد الكاتب كثيرا في أن ينتقل عبر أزمنة القصة وشخصياتها في يسر وسهولة، فعلى سبيل المثال نجده يفتتح قصته بجملة (لطالما حلمت بالسفر إليها وسعيت بكل السبل) ثم ينتقل من مخاطبة الذات عن زمن فائت إلى لحظة آنية (ها هو الحلم قد تحقق) ويدخل بنا بعد ذلك إلى حالته الشخصية ورغبته في حكي حكايته الخاصة.

يستخدم أيضا تقنية تدوير الحكاية بين الأشخاص، فهو يحكي حكايته الشخصية كراو للحدث وسفره إلى فرنسا ثم يدخل بنا لعمق حنينه لابن قريته الذي سبقه منذ مئة عام بالمجيء للمكان الذي هو فيه الآن (أشم عبق رائحته في المباني العتيقة المحتضنة لناطحات السحاب، الشامخ وألمح أثر خطاه في الشوارع النظيفة الواسعة وتحضر سيرته ذهني عندما ألمح رقي التعامل والحرص والتفاني في العمل).

في تلك اللحظة ينتقل بنا إلى حفيد هذه الشخصية المتفانية والتي شوقنا لمعرفة تاريخها ورغبنا في معرفة حكايتها، لكنه لا يحكي هو، بل يذهب للحفيد كي يحكي حكاية الجد، واختيار الحفيد للبوح بالحكاية اختيار جيد، فهو الأقرب للجد والأقدر على النقل عنه بأمانة، يقول الحفيد (بريق عين جدي كان يخيفني وأنا طفل، كان ينتقل كأرنب بري بين الحقول) وينتقل بنا الراوي مرة أخرى عن طريق شخصية الحفيد لنقابل شخصية الجد (ضحكت ورجوته أن يحدثني عن قصته فقال).

عند هذه النقطة التي وصل إليها الكاتب نستطيع أن نقول إنها هي الهدف، أن يروي الحكاية على لسان الجد، والتي سمعها الحفيد وسمعها هو من الحفيد، وكأنه يذكرنا بعلم الحديث بأسلوب الرواية ونقل سند الحكاية من مصادرها، للدخول في متن الحكاية.

وأثناء الحكاية كي لا ننسى أن الجد يحكي للحفيد الراوي الأول للقصة يقول (ثم أخرج من جيبه ورقة قديمة صفراء كان قد حفظها بعناية وقدمها لي وبصوته الأجش قال: (اقرأ)

هنا نتأكد أن أبطال القصة ثلاثة رواة: الراوي الأخير الذي يحكي لنا الحكاية منذ البداية، كحكاية لتاريخه الشخصي، والراوي الوسط وهو الحفيد الوسيط بين الراوي الأخير والجد أصل الحكاية، وراويها الأول وصاحب أحداثها.

ومن الملاحظات في القصة التي تدل على شقاء الجد في رحلته والتي تبرر مدى شوقه للوطن أن الجد ذهب لأماكن كثيرة وطاف بأشخاص في أماكن متفرقة، فنجد في القصة الفرنسي، والتركي الذي ضربه بالبندقية في عينه فأصابها، وأن الذي عالجه طبيب سوري، ودخل لبنان ووصل فلسطين، لقد قادتنا القصة عبر سياحة طويلة لتعطينا ملمحا ومبررا للشوق الجارف والحنين المؤكد للوطن.

في النهاية يستخدم الأسلوب الدائري في القص، فبعد أن يسرد كل حكايات الحفيد والجد، يدخل الراوي مرة أخرى للعمل ويظهر ليذكرنا بالمقدمة (أنا أيضا لن أنسى وطني، سأسعى للرجوع مهما طالت بي الغربة فتراب بلدي عندي أغلى من كنوز الدنيا) وهذه العودة الدائرية لبداية القصة تشير للاستفادة من القصص القرآني، خاصة في قصة يوسف عليه السلام.

د. أحمد تمام سليمان
أستاذ البلاغة والنقد

بلاغة السؤال في الاستعمال القرآني

العلم كنز خبيء مفتاحه السؤال، والعلم كالميزان إحدى كفتيه السؤال وكفته الأخرى الجواب، ولقد دفع القرآن الكريم أتباعه إلى العلم، وحث أسلوبه البليغ على السؤال، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٩)، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٤٣)، واختار القرآن الكريم للعلماء أدق الأوصاف؛ فـ(الخبير) هو الذي لا تنقصه التجارب، و(أهل الذكر) هم أهل الاختصاص.

وقد ورد في القرآن الكريم أسلوب (يسألونك)؛ وهو الفعل المضارع المرفوع بـ(ثبوت النون) لاتصاله بـ(واو الجماعة) فهو من الأفعال الخمسة، والمسند إلى ضمير النصب المتحرك (الكاف)، والذي يعود على النبي محمد ﷺ، ويبدأ الله تعالى بهذا التركيب كلاما مستأنفا أو موضوعا جديدا غير معطوف على ما سبقه، كقوله تعالى عن ظاهرة فلكية هي منازل القمر، فأجابهم عن فوائده فيما يعرف بـ«سؤال الحكيم»: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٨٩)، وقوله تعالى عن الجانب المالي في الإنفاق والصدقة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ

﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (البقرة:٢١٥)، وقوله تعالى عن الظرف الزمني للحرب: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ (البقرة:٢١٧)، وقوله تعالى عن الحلال والحرام: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ (المائدة:٤)، وعادة ما يتصدر فعل الأمر (قل) الجواب.

وتبدو بلاغة هذا التركيب القرآني الأخاذ، فيما جعله يمثل «براعة استهلال»، في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١).

كما ورد في القرآن الكريم أسلوب (يسألونك)، الفعل المضارع الذي يبدأ الله به كلاما مستأنفا أو موضوعا جديدا غير معطوف على ما سبقه، فالموضوع السابق كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:٢١٨)، عقبها يستأنف الله تعالى الكلام بموضوع جديد، هو التمهيد لقضية تحتاج إلى توجيه ثم حسم هي تحريم الخمر والميسر، فيقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ (البقرة:٢١٩)، وورد في القرآن الكريم أسلوب (ويسألونك)، بزيادة حرف العطف (الواو)، في تتمة هذه الآية حيث يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة:٢١٩)، والعطف في الآية التالية لها فيقول تعالى عن فئة اجتماعية تفتقر إلى التكافل، وهم اليتامى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ (البقرة:٢٢٠)، والعطف في السياق الذي يليه فيقول تعالى عن الجانب الصحي وما يتعلق به من أمور الطهارة والنظافة، وهو الحيض: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة:٢٢٢)؛ وتوالي العطف هنا لمعرفة الأحكام الشرعية وتفصيل الأوامر والنواهي.

وقد تستهل الآية القرآنية بالفعل المضارع مقترنا بواو العطف (ويسألونك)، دون أن يسبق بـ(يسألونك) -كما أوضحنا في سورة البقرة- وإنما يكون العطف على موضوعات سبق ذكرها في سياق السورة، مثل قوله تعالى عن أمر خالج أفهامه الالتباس، وأبهم آراءه الالتياث، هو الروح: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:٨٥)، والتي سبقت بحديث القرآن عن انتصار الحق واندحار الباطل، وتردد الإنسان بين الخير والشر، وتقلبه بين النعمة والنقمة، وكل يعمل على شاكلته، ثم أتى الحديث عن الروح. وقوله تعالى عن التاريخ السحيق وما خالجه من انتحال وأساطير: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف:٨٣)، والتي سبقت بحديث القرآن عن صحبة نبي الله موسى -عليه السلام- للخضر، وكشف الخضر له عن أسراره حول السفينة والغلام والجدار، لينتقل السرد القصصي إلى عظة أخرى في قصة ذي القرنين.

أما في قوله تعالى عن ظاهرة كونية تمتاز بالعظمة، هي الجبال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ (طه:١٠٥)، فقد اقترن في الجواب حرف العطف (الفاء) بالفعل (قل)؛ لإفادة السرعة، فسياق الآيات عن مشاهد يوم القيامة، حيث يحشر المؤمن والكافر، والبار والفاجر، فتظهر عجائب صنعة الله تعالى وطلاقة قدرته؛ لذلك نجد القرائن اللفظية تؤكد أن هذا هو مقام التحدي، والناجي من أذعن له، يقول تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ (طه:١٠٨-١١١).

كذلك ورد في القرآن الكريم أسلوب

(يسألونك) مكررا، دون دخول حرف العطف (الواو) على الفعل الثاني، في قوله تعالى عن الغيب: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:١٨٧)؛ وإسقاط العطف لأن الجهة غير منفكة، فالمسؤول عنه في التركيبين واحد هو (الساعة)، ولا يعطف الشيء على نفسه، أما التكرير فوارد لإفادته التأكيد.

وتبدو بلاغة هذا التركيب القرآني اللافت، فيما جعله يعد «حسن خاتمة»، في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ (النازعات:٤٢-٤٦)؛ ولأن (الساعة) غيب اختص الله تعالى ذاته العلية بمعرفته، فلم يأت فعل الأمر (قل) متصدرا الجواب، بل ظل التفصيل يتوالى من عالم الغيب وحده، مذكرا من آمن بها، ومنذرا من أعرض عنها.

كما يعد ما بين الموضعين -الأعراف والنازعات- تكرارا، والتكرار أحد عناصر تماسك النص، حيث اتفقا في الصدر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ (النازعات:٤٢)، واختلفا في العجز؛ لبيان أهمية الغيب الذي استأثر الخالق به، كما في تذييل قوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف:٨٥)، فتذييل الآية الكريمة مؤسس على التقديم والتأخير؛ بتقديم الخبر شبه الجملة (الظرف/ عنده)، على المبتدأ (المعرف بالإضافة/ علم الساعة)، ثم بتقديم شبه الجملة متعلق الفعل (الجار والمجرور/ إليه)، على المسند (الفعل المضارع/ ترجعون)، والتقديم في الحالين جائز، ودلالته الاختصاص.

كذلك استعمل القرآن الكريم ذلك التركيب البليغ: ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لتفصيل الغيب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:٣٤)، فيوم القيامة، ونزول المطر، ومحتوى الأرحام، ورزق الغد، ومكان الموت، هذه الغيوب على رأسها (الساعة) لجديرة بأن يصاغ لها السؤال، بل يكرر استعماله، فالعرب إذا اهتمت بأمر توسعت في التعبير عنه؛ كأسماء الساعة أو يوم القيامة، بوصفها علما مفردا أو مركبا إضافيا، وإذا نظرنا بعين الاستقراء إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لمسنا التوسع في الأسماء ولعل أشهرها: يوم الدين، ويوم البعث، ويوم الخروج، ويوم الميعاد، ويوم التناد، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم الحشر، ويوم الفصل، ويوم الحساب، ويوم الوعيد، ويوم الحسرة، ويوم التغابن، ويوم الخلود، والواقعة، والآزفة، والطامة، والصاخة، والقارعة، والحاقة... وغيرها.

ومن وسيع الأسلوب القرآني أن يعبر عن السؤال بتركيب مغاير، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة:١٨٦)، ولم يرد في جواب الشرط فعل الأمر (قل) أو (فقل)؛ لانتفاء الواسطة بين الداعي والمجيب، وإنما اقترن الجواب بـ(الفاء) مباشرة (فإني قريب)؛ لإفادة السرعة في استجابة الدعوة.

ولكي يثبت النبي ﷺ العقيدة الصحيحة وجوهرها التوحيد الخالص في قلوب خصومه، فإنه يناظرهم؛ بتبادل الأسئلة المنطقية، واستحضار الأدلة العقلية، التي قد تحملهم على الإقرار بما ينكرون، يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت:٦١)، ويقول تعالى عقبها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت:٦٣)، ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف:٨٧).

كما حث القرآن الكريم على العلم، وأقسم بطرائقه وأدواته، كقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١)، فالمتتبع للجذر الثلاثي (س- ء - ل)، وتقاليبه اللغوية وصيغه الصرفية، والحقل الدلالي للسؤال، فإنه يتوقف على التنويع الاشتقاقي وما يستتبعه من إنتاج القيم البلاغية، وفقا لسياقاتها النصية، وغير النصية كالاجتماعية خاصة والحضارية عامة، وما نلمس ظلاله في استنباط الأحكام الشرعية، وبناء القواعد المرعية، وما ينظم العلاقة بين الفرد والمجتمع، وما يحدد الحقوق والواجبات للراعي والرعية، فبالسؤال.. تعمر الأكوان، وترفع الأركان، وتصح العقائد، وتفتح المغالق، وتزكى النفوس، وتكشف الكنوز.

جديدنا

معلقة: (علم الجرح والتعديل)

معلقة علمية حديثية ضمن سلسلة معلقات مجلة "الوعي الإسلامي" تحمل رقم: (٤٢)، تُسلط الضوء على أئمة الجرح والتعديل، وطبقاتهم بين التشدد والتساهل، ومراتب ألفاظ الجرح والتعديل وحكم كل مرتبة، مع ذكر المصنفات التي صنفت في علم الجرح والتعديل.

د. فريدة أولمو
أستاذة جامعية

أسس الذوق الجمالي عند مالك بن نبي

يعبر مالك بن نبي عن الفرد ذي الثقافة التفاعلية في المجتمع بأنه (شخص)، يتسم بشرطين لابد من تحققهما:

أولا: أن يقتنع الإنسان بالفكرة الموجهة لمناهجه في الحياة.

ثانيا: أن يقنع الآخرين بهذه الفكرة.

فباقتناع الفرد بالفكرة التي تؤلف الطاقات، وتفعيلها نحو بناء الحضارة، وقيامه بدور المستقطب لها والداعي إليها، يتجه المجتمع نحو التغيير.. يقول: «كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت إلى حيز التنفيذ»[1].

إن الاعتراف بمشكلاتنا وبأنها نابعة من العقل والفكر، لهو مفتاح التغيير والعلاج لمشكلاتنا بمختلف أنواعها، يقول مالك بن نبي: «إن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب بل فيما يسودنا من عادات وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق وما فيها أيضا من نقائص تعتري كل شعب نائم. إن جوهر المسألة هو مشكلتنا العقلية»[2]. وعليه يرى مالك ابن نبي أن مصدر التخلف الحضاري الذي يعيشه الفرد العربي المسلم في الأساس داخلي حيث يعود إلى تشكيلة عقله وشخصيته الحالية.

ومالك بن نبي هو ابن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى، يعتبر أحد رواد وأعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين، ولد في الفاتح من

يناير عام ١٩٠٥م الموافق ٥ من ذي القعدة ١٣٢٣هـ بمدينة قسنطينة، نشأ في أسرة فقيرة في مجتمع جزائري محافظ، بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، حرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى الشيخ عبدالحميد بن باديس في الجامع الكبير إلى جانب دراسة الثقافة الغربية.

أحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته فكان مولعا بالشريط الوثائقي الأميركي «أسرار نيويورك» الذي كان يعرض في قسنطينة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن هنا تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية انبهارا وألما.

تخرج مالك بن نبي سنة ١٩٢٥م وسافر بعدها إلى فرنسا فأغلق الاستعمار الفرنسي أبواب العمل في وجهه فعاد إلى بلده وعمل في محكمة أفلو في مارس ١٩٢٧م.

تزوج فرنسية واختار الإقامة في فرنسا وشرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي كله فكان له سنة ١٩٤٦م كتاب «الظاهرة القرآنية»، ثم «شروط النهضة» ١٩٤٨م؛ الذي طرح فيه مفهوم القابلية للاستعمار وغيرهما من كتب، ومؤلفات، وانتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة بالجزائر ١٩٥٤م.

وهناك حظي بالاحترام فكتب «فكرة الإفريقية الآسيوية ١٩٥٦م»؛ وبعد الاستقلال الجزائري عاد إلى وطنه ليواصل مهمته الحضارية بعد أن عمل مديرا للتعليم العالي، واستقال سنة ١٩٦٧م وتفرغ للكتابة حيث بدأ في هذه المرحلة بكتابة مذكراته بعنوان شامل «مذكرات شاهد القرن» للبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية، ونتائجها السلبية وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وآثارها المختلفة وما خلفته من دمار في شتى المجالات بالجزائر. توفي مالك بن نبي في ٣١ أكتوبر ١٩٧٣م.

وقد ترك لنا مالك بن نبي إرثا عظيما شبيها بالمعدن النفيس لا يزيده مرور الزمن إلا نفاسة ولا تؤثر فيه السنون ولا النسيان ولا التجاهل فهو مثل قاع البحر، كلما خاض الإنسان في أعماقه تكشفت له ثرواته وتبدت له عجائبه[٣].

القاعدة الأخلاقية

كان الفتى ابن نبي شديد القرابة من جدته التي تعد بالنسبة إليه مدرسة أخلاقية رسخت في ذهنه وفي نفسيته معنى الخير والإحسان، وكل القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان الصالح[٤]، يروي لنا عن أقاصيصها: «وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري، فمنها عرفت أن الإحسان في مرتبة عليا من الخلق الإسلامي، وإحدى حكاياتها عن الإحسان جعلتني أنا ابن السادسة أو السابعة أقوم بعمل ربما كان على ما أعتقد أسمى ما قمت به في حياتي»[٥].

كما يعبر عن مواطن وأسس قيمه الأخلاقية في مواضع أخرى فيقول: «وفي ١٩٢٠م تلقيت مع الشيخ عبدالمجيد أول أسس الثقافة العربية، لقد تعلمت تصريف الأفعال والتمييز بينها، وحفظت شيئا من الشعر»[٦]، كما حاول مالك بن نبي الجمع بين الأخلاق السامية والذوق الجمالي في عديد مؤلفاته؛ فهو يرى أنه: «إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته، وهو شيء مطلوب فوق الضروريات والحاجيات، فالذوق الرفيع من العناصر الإيجابية في الثقافة، فالتناسب والتناسق في الأشكال والأشياء يعطي للإنسان راحة نفسية، والمنظر القبيح المتنافر لا يوحي بأي خيال جميل، وقد كان الرسول ﷺ من أزهد الناس ولكنه كان ينفر من ألوان معينة، ويشجع الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام الجمع والأعياد، إن تربية الذوق الحسن في الأمة جزء من ثقافتها ومؤشر على درجة ثقافتها».

اعتبر ابن نبي أن أسس الحضارة بالإضافة إلى الفكرة الدينية هي التي تضمن تفاعل العناصر الثلاثة تفاعلا حقيقيا؛ وعلى حد تعبيره: «فهذه العناصر الثلاثة التي هي (الإنسان، والتراب، والزمن) لا تمارس مفعولها وهي شتيتة، ولكن ضمن تركيب متآلف يحقق بواسطتها جميعا إرادة وقدرة المجتمع المتحضر»[٧]، كما يؤكد أن الإنسان هو الذي يحدد القيمة الحقيقية لهذه المعادلة. يعبر عن التوجه الثقافي السلبي فيقول: «فحين اتجهت الثقافة إلى امتداح الماضي أصبحت ثقافة أثرية، لا يتجه العمل الفكري فيها إلى الأمام بل ينتكس إلى الوراء، وكان هذا الاتجاه الناكص المسرف سببا في انطباع التعليم كله بطابع دارس لا يتفق ومقتضيات الحاضر والمستقبل، وبذلك أصيبت الأفكار بظاهرة التشبث بالماضي، كأمة قد أصبحت

متنفسا له»[٨]. «فالمشكلة هي مشكلة فرد يعيش في مجتمع، لا مشكلة دين، وهي مشكلة عامة في جميع البلاد الإسلامية فلكي تبدأ عجلة التغيير في الدوران لابد من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس، وكذلك معرفة ما ينبغي أن نغيره بالإضافة إلى معرفة الأشخاص الذين تجب محاولة تغييرهم باختلاف شخصياتهم وبيئاتهم لأنهم يشتركون في أصل البلاء»[٩].

الثقافة والذوق الجمالي

والسؤال الذي نطرحه في هذه الحالة: كيف يمكن للإنسان رفع مستوى الذوق الجمالي في المجتمع؟ يعتقد ابن نبي أن الإنسان يؤثر في مجتمعه بفكره، وعمله وماله: «فالعلم الذي لا يترجمه عمل يظل ترفا، ففي هذه المرحلة بالذات لابد للاهتمامات أن تتركز في البلاد الإسلامية حول مفهوم الفعالية...»[١٠] التي لن تتحقق؛ إلا بـ«اكتساب الجماعة الإنسانية صفة المجتمع، وهذا عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها للوصول إلى غايتها.

والخلاصة أن الطبيعة توجد النوع أما التاريخ فيصنع المجتمع،...»[١١]. وحسبه: «لا تكتمل ثقافة الإنسان إلا بتحقق أربعة أشياء: المبدأ الأخلاقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، والعلم أو الصناعة، وهي مبادئ كفيلة بجمع شروط الفعالية»[١٢].

يقول ابن نبي: «ولكن أوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدو الأمور ذات خطر كبير، فإذا ما حدث هذا الانقلاب انهار البناء الاجتماعي إذ هو الذي يقوى على البقاء بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب، إن الروح تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة وانحطت»[١٣]، ويمكن أن نربط نظرة المجتمع الجزائري للفن وللجمال في بعض جوانبها. وهذا يستقطبنا للتطرق إلى موقف ابن نبي من الجمال والذوق؛ فهو القائل: «مثلما تحتاج الثقافة الفعالة إلى نزعة أخلاقية تغذيها وتوجهها، فهي تحتاج أيضا إلى ذوق جمالي وحس فني وقدرة على الابتكار والإبداع، فالذوق هو الذي يبعث في الإنسان نزوعا إلى الإحسان في العمل وتوخيا للكريم من العادات»[١٤].

وفي حديثه عن محور الجمال وهو محور تتهذب به الأنفس، والطبائع، وتقوم به السلوكيات الراقية، وهو معيار مهم لتقدم الإنسان وفعله في محيطه، والذي يتجلى في علاقته بأخيه الإنسان والأشياء، والبيئة، يقول: «ولا شك أن للجمال أهمية اجتماعية ويجب إعداده حتى يصبح المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر عنه بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع، والواقع أن أزهد الأعمال لها صلة كبرى بالجمال، فالشيء الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق بالجمال، أو تنضح بالقبح، ونحن نرى أثر تلك الصورة في تفكير الإنسان وفي عمله وفي السياسة التي يرسمها لنفسه، بل حتى في الحقيبة التي يحمل فيها ملابس سفره، ولعل من الواضح أننا أصبحنا نفقد ذوق الجمال، ولو أنه كان موجودا في ثقافتنا، لسخرناه لحل مشكلات جزئية، تكون في مجموعها جانبا من الحياة»[١٥].

والذوق الجمالي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأ الأخلاقي من حيث إنه أيضا عنصر من العناصر المكونة والمحركة للثقافة؛ «ولأنه يحفز الهمم إلى ما هو أبعد من المصلحة»[١٦]، ولا يمكن للمبدأ الجمالي الانفصال عن المبدأ الأخلاقي إذا اجتمعت البنية السوية للثقافة العملية بعيدا عن التعصب والأفكار السلبية؛ وعليه فحين «يكون المبدأ الأخلاقي ضروريا للعمل من حيث دوافعه وغاياته يكون العنصر الجمالي لازما لصورته وفعاليته»، لذلك لابد للمجتمع الجزائري من ترقية ذوقه الجمالي في الحياة فكما تعمل الأمم الكبرى على تأسيس دستورها الأخلاقي لابد من تأسيس دستور ذوقي كما تكشفه معادلة ابن نبي: مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي = توجه حضاري.

التوجيه الجمالي عند مالك بن نبي في بناء الإنسان للسير في تحقيق نهضة، ويتجلى الجمال عنده في الألوان والأشكال والحركات التي يقبلها الذوق السليم وتنعكس إيجابا على أفكار الفرد فتوجهه للشعور بقيمته وكرامته فيرقى بسلوكه إلى الفضيلة وتنسق بنيته النفسية وتوافق المبدأ الأخلاقي السليم، فمهما كان المظهر الجمالي طبيعيا أم فنيا فإنه يوجه الكيان الإنساني إلى الرقي بفكره مما يعطي القابلية للإبداع[١٧].

ويشير ابن نبي إلى أن الذوق الجمالي مرهون بالنظافة والطهارة، والبيئة والمحيط واحترام الآخر والتعامل

بإيجابية مع الغير في: «جو من ألوان وأنغام، وعادات وتقاليد، وأشكال وأوزان، وحركات تطبع على حياة الإنسان اتجاها وأسلوبا خاصا يقوي تصوره ويلهم عبقريته ويغذي طاقاته الخلاقة، وإنها الرباط العضوي بين الإنسان والإطار الذي يربطه».

لأجل هذا دعا مالك بن نبي إلى تطبيق الإسلام الحقيقي في واقعنا: «إنه لكي يمكن التأثير في أسلوب الحياة في مجتمع ما، وفي سلوك نموذجه الذي يتكون منه، وبعبارة أخرى: لكي يمكن بناء نظام تربوي اجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكار جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية، في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع»[18].

وللأسف الشديد فقد تنبأ مالك ابن نبي لما نحن عليه اليوم حيث قال: «والذوق الجمالي اليوم أصبح مفقودا في عالمنا حتى وإن كان موجودا في ثقافتنا فقد سخرناه لحل مشكلات جزئية وأصبح لا ينطبع في فكر الفرد فإذا انطبع يستخدمه فيما لا يسمن ولا يغني من جوع، فالمنظر القبيح يوحي في النفس خيالا وفكرا أقبح والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره ومساعيه»[19].

نتائج الدراسة

- يؤكد مالك بن نبي أن عامل الدين أهم عامل لتأليف عناصر الحضارة.
- يعتبر ابن نبي أن الإطار الحضاري بكل محتوياته متصل بذوق الجمال، بل إن الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أي حضارة، فينبغي أن نلاحظ في نفوسنا، وأن نتمثل في شوارعنا وبيوتنا مسحة الجمال نفسها، التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي.

ويجب أن يثيرنا أقل نشاز في الأصوات والروائح والألوان، وذلك باعتبار أن الجمال هو وجه الوطن في العالم؛ فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا.

- من جهة العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والتوجيه الجمالي، يرى ابن نبي أن المبدأ الأخلاقي إذا كان يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات، فإن التوجيه الجمالي هو الذي يصوغ صورته.

وبهذا يعد الذوق الجمالي أحد أهم العناصر الديناميكية في الثقافة، لأنه يحرك الهمم إلى ما هو أبعد من مجرد المصلحة ويضيف إلى الواقع الأخلاقي عند الفرد دوافع إيجابية أخرى، من شأنها أحيانا أن تعدل من بعض الدوافع السلبية.

- وجد ابن نبي أن اتجاه الحضارة يتحدد في إطار العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والتوجيه الجمالي، فالحياة في مجتمع معين قبل أن تتأثر بالفنون والصناعات، أي بالجانب المادي والاقتصادي من الحضارة، تتخذ لها اتجاها عاما ولونا شاملا مما يجعل جميع تفاصيلها مرتبطة بالمبدأ الأخلاقي، وبذوق الجمال الشائعين في هذا المجتمع.

وعليه يمكن القول وبصورة عامة، إن هناك نموذجين من المجتمع، نموذجا يقوم فيه النشاط أساسا على الدوافع الجمالية، ونموذجا يقوم فيه النشاط على الدوافع الأخلاقية أولا.

الهوامش

١- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ط٤، دار دمشق،١٩٨٤م، ص١٠٠.
٢- شروط النهضة - مالك بن نبي، ص٣٧.
٣- رابح لونيسي: ملك بن نبي المفكر العقلاني، ط١، دار المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص(١٣-٢٥) بتصرف.
٤- فهمي جدعان: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، ط١، دار الشرق، الأردن، ١٩٩٨م، ص١٣٢.
٥- مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، ص١٩.
٦- يوسف حسين: نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، ط١، دار التنوير للتوزيع والنشر، ٢٠٠٤م، ص٣٦.
٧- مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط١، دار دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م، ص٥٣.
٨- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص١١٤.
٩- سيعدة جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، تقديم مالك بن نبي، دمشق: مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري، ط٦، ١٩٨٤م، ص٣٧.
١٠- مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، ط١، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م، ص٣٩.
١١- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ط٦، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠٦، ص١٨.
١٢- مالك بن نبي: تأملات، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠٩م، ص١٥١.
١٣- مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، سوريا، ص٣١.
١٤- مالك بن نبي: شروط النهضة، ط٩، دار الفكر سوريا، ٢٠٠٩م، ص٩٨.
١٥- مالك بن نبي: شروط النهضة، ط٩، دار الفكر سوريا، ٢٠٠٩م، ص٩٧.
١٦- مالك بن نبي: تأملات، مصدر سابق، ص١٤٦.
١٧- مالك بن نبي: تأملات، ص٢٠٠.
١٨- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص٧٢.
١٩- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ص٨١.

محمود أحمد حسانين
قاص وباحث

أهمية الألوان والرسم للأطفال

أثبتت بعض الدراسات فوائد وفاعلية الرسم والألوان، وأثرهما وطاقاتهما على عقل ونفسية الأطفال، ومدى تأثيرهما على حالتهم المزاجية، فمراكز الإحساس والشعور بالمخ تتأثر بانعكاس أشعة غير مرئية تصدرها الألوان على الإنسان.

فعندما يتأمل الإنسان الألوان من حوله ويشبع عينيه بلون السماء وخضرة الزرع، يمتزج مع الألوان الزاهية ليستمد منها طاقة الأمل، ولا يقف عند لون واحد، بل يمزج كل الألوان ويتشبع بها ويسبح في عالمها، وحينئذ يكتشف عظمة الخالق في أبسط مخلوقاته.

أهمية الرسم

ليس من الضرورة أن ينفذ الطفل الرسم بنفسه إن لم يكن يجيد، يكفي أن يمسك بأقلام الألوان، ويبدأ في التخطيط فيؤثر تمازج الألوان على نفسيته ويشعر بالبهجة والسعادة، ويمكنك مساعدة الطفل للاستمتاع بممارسة تلوين الرسومات الجاهزة التي أصبحت متداولة في كتب التلوين المتوافرة بالمكتبات، والتي تحفزه على ضبط الدقة، ورسم وتلوين المساحات الصغيرة المتاحة أمامه، فنجد اهتمام الطفل يتزايد كلما جلبنا له لعبة ملونة أو ملابس ملونة، وكذلك نجد انجذاب الأطفال نحو الأماكن التي توجد بها الزهور واللافتات والرسومات الملونة الزاهية، فنجد الأطفال يميلون إلى اللعب بجوارها.

كما يوجد هناك ما يطلق عليه «فن البهجة»، الذي يستخدم كوسيلة للتخلص من التوتر العصبي والضغوط، ومن أشهر هذه الرسومات التي يطلق عليها اسم «الماندالا» التي تجعلك تغرق في حالة من التأمل والهدوء النفسي، وأنت تتأمل هذه الأشكال المتناسقة، أو تقوم بتقليدها بنفسك باستخدام ألوانك الخاصة.

وأثبتت الدراسات أن هناك فوائد «نفسية» لممارسة هذا النوع من الفن، منها أنه يساعد على تفريغ وإخراج الطاقة السلبية من الذهن، كما أنه يساعد على تقوية التركيز.

لماذا الألوان؟

يقول د. رونالد لبارد في الموسوعة النفسية: «أدخل اللون ضمن إطار نهجك الجديد، واصطنعه في رؤية وتفكير، إن آثاره الطبية قد لا تلاحظ مباشرة، ولكنها قائمة تعمل عملها على كل حال».

وفي ورشة العمل التي أقيمت تحت

عنوان «أسرار الألوان» في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، أشارت إلى أن «ماكس لوتشر» قام بأبحاث عديدة وضع على أثرها بيانات تفصيلية عن مدى علاقة الألوان المفضلة لدى المرء بميوله وأهوائه ونشاطه وحالته النفسية ككل.

اختفاء مادة الرسم

أصبحت الكتابة والرسومات للطفل شيئا يجذب الانتباه، بعدما وجد الأبوان الحل في شاشات التلفاز والألعاب الرقمية، التي قضت على ملكة التأمل والإبداع لدى الأطفال، وأدت إلى تراجع حصص الرسم في كثير من المدارس، فالأمر يحتاج إلى وجود متخصصين في دراسة أدب الأطفال وعلم التربية وعلم النفس وفي الشؤون الفنية قادرين على تحويل الفكرة إلى واقع عملي ملموس جذاب ومقبول للأطفال، بعدما جذبت التكنولوجيا انتباه الأطفال.. فمثلا لم نعد نسمع عن مجلة الحائط في المدارس، التي كان يشارك الطفل في تحرير أجزاء منها والاستفادة من التوجيهات التربوية من المعلمين، بحيث تكون المجلة رافدا تربويا مهما للأطفال، بعد إغلاق كثير من المجلات، حتى إننا بالكاد نحصل على مجلة ترتقي إلى المستوى الذي نرتضيه لأبنائنا، كل ذلك أصبح شيئا بلا أهمية مع غزو التكنولوجيا.

وهناك سمات مختلفة لتوقع شخصية الطفل منذ الصغر، جدير بالذكر أنها سمات متغيرة وتنضج وتتحرك وتتغير بشكل مستمر حسب تفاعل الأم مع الطفل، وحسب انفعالات البيئة المحيطة والمؤثرات الخارجية، وتساعد الألوان وأدوات الرسم في تنمية السمات الشخصية لدى الطفل.

بلال أحمد حنفي
باحث تربوي

حق الطفل في التعليم

التعليم شيء أساسي لكل إنسان خلقه الله، كيف لا وأول شيء نزل في كتاب الله على نبيه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ (العلق:١-٤)، فأمتنا أمة اقرأ، لذا فإنه من حقوق الطفل السعي في تعليمه القراءة والكتابة والمعارف العلمية المختلفة والآداب والأخلاق، فمرحلة الطفولة من أفضل المراحل العمرية لتعليم الإنسان، فقد قالوا: (التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، والتعليم في الكبر كالنقش على الماء).

وقد قال ابن القيم: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارا، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: يا أبت إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا»[1].

وقال عبدالملك بن مروان موصيا بنيه: «يا بني، تعلموا العلم؛ فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم»[2].

وإذا أردت أن تعرف شرف العلم وتلمسه بنفسك فانظر إلى حال الخلفاء وحرصهم على تعليم أولادهم، فهذا سليمان بن عبدالملك، الذي يقول عنه المؤرخون: إنه خليفة المسلمين، وأعظم ملوك الأرض، كان يؤدي فريضة الحج ومعه ولداه، وهو في بيت الله الحرام، يريد أن يستفتي صاحب الفتيا في المسجد الحرام، ووارث عبدالله بن عباس في العلم، وهو عطاء بن أبي رباح، فيسأل عنه ويدل عليه بالمسجد، فيمضي إليه الخليفة، فوجده لا يزال في صلاته، غارقا في ركوعه وسجوده، والناس جلوس وراءه، وعن يمينه وشماله، فجلس الخليفة حيث انتهى به المجلس، وجلس معه ولداه، وطفق الفتيان القرشيان يتأملان ذلك الرجل الذي قصده أمير المؤمنين، وجلس مع عامة الناس ينتظر فراغه من صلاته، فإذا به شيخ حبشي، أسود البشرة، مفلفل الشعر، أفطس الأنف، إذا جلس بدا كالغراب الأسود، ولما انتهى الرجل من صلاته مال بشقه على الجهة التي فيها الخليفة، فحياه سليمان بن عبدالملك، فرد التحية بمثلها، وهنا أقبل عليه الخليفة، وجعل يسأله عن مناسك الحج، منسكا منسكا، وهو يفيض بالإجابة عن كل مسألة، ويفصل القول فيها تفصيلا، لا يدع سبيلا لمستزيد، ويسند كل قول يقوله إلى رسول الله ﷺ، ولما انتهى الخليفة من مساءلته جزاه خيرا؛ أي قال له: جزاك الله خيرا، وقال لولديه: قوما فقاما، وقام الثلاثة نحو المسعى، وفيما هم في طريقهم إلى المسعى بين الصفا والمروة سمع الفتيان من يقول: يا معشر المسلمين، لا يفتي الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يوجد فعبدالله بن أبي نجيح، فالتفت أحد الغلامين إلى

أبيه، وقال: كيف يأمر عامل أمير المؤمنين الناس بألا يستفتوا أحدا إلا عطاء بن أبي رباح وصاحبه، ثم جئنا نحن نستفتي هذا الرجل الذي لم يأبه للخليفة، ولم يوفه حقه من التعظيم؟ فقال سليمان لولده: هذا الذي رأيته يا بني، ورأيت ذلنا بين يديه هو عطاء بن أبي رباح، هو نفسه التابعي الجليل الذي أوتي فهما في القرآن الكريم، وكان موسوعة في كل العلوم، ثم أردف يقول: يا بني، تعلم العلم، فبالعلم يشرف الوضيع، وينبه الخامل، ويعلو الأرقاء على مراتب الملوك.

والعناية بتعليم الأبناء هي من تمام القيام بالأمانة التي وليها الوالدان، فقد روى ابن أبي شيبة أن النبي ﷺ كان يعلم الغلام من بني عبدالمطلب إذا أفصح قول الله تعالى: «الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك» سبع مرات. وكان علي بن الحسين يعلمهم: «قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»، وكان بعض السلف يعلم الصبيان قول «لا إله إلا الله»[٣].

كما أن السلف كانوا يقدمون الغالي والرخيص ليرغبوا الأطفال في العلم فقد روى النضر بن شميل قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: «قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث فكلما سمعت حديثا وحفظته فلك درهم فطلبت الحديث على هذا»[٤]، وقالت أم سفيان الثوري لسفيان: «يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي» وقالت أيضا: «يا بني إذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل ترى من نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك، فإن لم يزدك فاعلم أنه يضرك ولا ينفعك».

ومن أعظم ما حرص عليه السلف أن يتشرب الصغار السيرة النبوية لتكون نبراسا لهم ولتزيد محبتهم للصدر الأول، كما أن في معرفتهم للسيرة تكوينا للقدوات التي يولع بها كثير من الصغار، ومما ورد عن السلف في تحبيب الصغار في السيرة ما قاله علي بن الحسين: «كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن الكريم» وقال إسماعيل ابن محمد بن سعد: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه ويقول: يا بني: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

ولما كان الاختلاط بالأعاجم مظنة لفساد اللسان العربي، حرص السلف على تقويم ألسنة الصغار من اللحن فقد جاء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما «أنه كان يضرب بنيه على اللحن»[٥].

ولم يكن السلف غافلين عن العلوم الأخرى المفيدة كالأنساب والشعر فقد أرسل معاوية رضي الله عنه إلى دغفل فسأله عن العربية وعن أنساب العرب وسأله عن النجوم فإذا رجل عالم قال: «يا دغفل من أين حفظت هذا؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وإن آفة العلم النسيان، قال: انطلق بين يدي (يعني ابنه يزيد) فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم وأنساب الناس»[٦].

ولما دفع عبدالملك ولده إلى الشعبي يؤدبهم قال: «علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا وحسن شعورهم تشتد رقابهم وجالس بهم علية الرجال يناقضوهم الكلام»[٧].

لقد ذخر تاريخنا الإسلامي بالعديد من القصص التي تدل على عناية السلف بالعلم من الصغر وتنشئة الأطفال على العلم والأدب، فهذا الإمام الشافعي قد أتم حفظ القرآن وعمره سبع سنين، وبلغ من اجتهاده في طلب العلم أن أجازه شيخه مسلم بن خالد الزنجي بالفتيا وهو لا يزال صغيرا، وحفظ وهو ابن ثلاث عشرة سنة تقريبا كتاب الموطأ للإمام مالك.

وهذا زيد بن ثابت يتعلم وهو ابن إحدى عشرة سنة العبرية لغة اليهود في نصف شهر، والسريانية في سبعة عشر يوما، والفارسية في ثمانية عشر يوما.

الكتاتيب الوقفية

كما أنشأ المسلمون على مر تاريخهم كتاتيب وقفية لتعليم القرآن الكريم للأطفال الفقراء واليتامى، ومن تلك الكتاتيب كتاب الضحاك بن مزاحم[٨] الذي كان يتردد عليه ٣٠٠٠ طفل فقير في بلاد ما وراء النهر[٩]، وكانت خدمة الوقف للكتاتيب تشمل إلى جانب تدريس الطلاب القرآن الكريم ومبادئ العلوم، خدمات أخرى كالإعاشة، والصدقات، والنفقات في اللباس وأدوات الدراسة، وقد ذكر الرحالة ابن جبير (القرن ٦هـ) أنه شاهد كتاتيب موقوفة على الأيتام واللقطاء وأولاد الفقراء في القاهرة ودمشق، وقال بأنهم كانوا يسمونها في مصر (كتاب سبيل).

الهوامش

١- تحفة المودود بأحكام المولود، ص٢٠٠.
٢- أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي، ص٣٦.
٣- رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ج١، ص٣٤٨.
٤- اتحاف الخيرة المهرة في معرفة وسائل التربية المؤثرة، لأم عبدالرحمن الجودر، ص٦٨.
٥- رواه ابن أبي الدنيا في العيال، ج١، ص ٥٠٨
٦- رواه ابن أبي الدنيا في العيال، ج١، ص ٥٢٨.
٧- رواه ابن أبي الدنيا في العيال، ج١، ص ٥١٢.
٨- الضحاك بن مزاحم اسمه الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، ويقال أبو محمد، الخراساني، كان أصله من بلخ، وكان يقيم بها مدة، وبسمرقند مدة، وببخارى مدة، وكان معلم كتاب، يعلم الصبيان، ولا يأخذ منهم شيئا، توفي سنة ١٠٠هـ.
٩- تركستان حاليا.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي

تنمية ثقافة الحوار

إن نشأة الأبناء في جو أسري تسوده الألفة والمحبة والثقة والتفاهم، تحصنهم من المخاطر خاصة في عصرنا هذا، عصر المتغيرات المتلاحقة، ولن يتحقق ذلك إلا عن طريق التواصل والحوار الأسري؛ فللبيئة الاجتماعية دور مهم في إرساء ثقافة الحوار والتفاهم، وتعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية لقيامها بدور فاعل في تشريب الناشئة القيم الاجتماعية.

إن عملية بناء الحوار والمناقشة، وتنميتها في نفوس الأبناء من الأمور التي ينبغي على الأسرة أن توليها عناية فائقة، والمسؤولية الكبيرة التي تقع على عاتق الأسرة في هذا الجانب تتمثل في اتخاذ الحوار أسلوبا لتربية الأبناء تربية صالحة شاملة لجميع جوانب حياتهم بما يتناسب مع متطلبات واحتياجات مرحلة نموهم، والقناعة بأهمية الحوار وجدواه بوصفه وسيلة تربوية فعالة في الإقناع، تغير الاتجاه وتعدل السلوك وفق النسق القيمي المراد.

ولا شك أن اهتمام الأسرة بتربية الأبناء على الحوار ونشر ثقافته وآدابه من أهم مناهج التربية السليمة، لما له من ثمار تربوية عظيمة تجنيها الأجيال، وإن من أبرز الجوانب التي يمكن للأسرة القيام بها لتنمية ثقافة الحوار لدى الأبناء ما يلي:

- توفير المناخ الأسري الذي يسوده التفاهم والتواصل الإيجابي مع الأبناء والمبني على التقبل للذات بعيدا عن التسلط أو التسيب.

- توفير القدوة الحسنة من داخل الأسرة (الوالدان - الإخوة) بحيث يتمثلها الأبناء في ممارستهم لسلوكيات الحوار.
- تهيئة سبل المناقشة والحوار والاستفسار للأبناء في مختلف الموضوعات ذات الجوانب المتعددة صحيا واجتماعيا وأخلاقيا وعقليا وعاطفيا.
- التعامل مع الأبناء على أنهم أشخاص لهم آراؤهم وقدراتهم وميولهم، وليسوا صغارا نملي عليهم ما نشاء دون الاستماع لهم واحترام وجهات نظرهم.
- تعويد الأبناء على فضيلة الشورى واستشارة الآخرين من خلال مشاورة الأبناء بصورة أخوية ودائمة في مختلف القضايا التي تشغل اهتمامهم، والاستماع لآرائهم باحترام وتقدير، وعدم الانفعال تجاه المخطئ منهم.
- أن تفتح الأسرة قنوات تواصل مع المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والإعلامية؛ لتستفيد من التجارب الناجحة والآراء المدروسة لتوعية الأبناء بأساليب ممارسة الحوار ومعرفة ضوابطه، وعدم تجاوزها.
- تشجيع الأبناء على الإدلاء بآرائهم ومقترحاتهم في مختلف القضايا، واحترام تلك الآراء وتقديرها، وعدم انتقاصها لحساسية الأبناء الشديدة من النقد، فهذا يساعد على غرس الشجاعة الأدبية في نفوسهم، ويقضي على القلق والمخاوف في نفوسهم.
- الاهتمام بإقامة مكتبة منزلية مهما كان حجمها، وإثراؤها بالكتب المتنوعة والمفيدة، بما يتناسب مع مرحلة الأبناء العمرية، ومشاركة الأبناء في اختيار مواضيع معينة وقراءتها، ووضعها على طاولة النقد؛ لتكوين منهجية فكرية تمكنهم من الحكم على الأشياء دون فرض الآراء عليهم أو إجبارهم على قبول فكرة ما.
- الاهتمام والعناية برواية القصص ذات المضمون الحواري، وتدارسها مع الأبناء، وتدريبهم على استخلاص الدروس والفوائد منها، وأخذ العبرة والعظة.
- تشجيع الأبناء على المشاركة بالأنشطة والبرامج الثقافية التربوية غير الصفية كالإذاعة المدرسية، والصحافة المدرسية، والمسرح المدرسي مما يعزز الجانب الحواري لدى الأبناء.
- المشاركة في المعارض الثقافية والأدبية والاجتماعية التي من شأنها أن تساعد على اكتساب مهارات الحوار لدى الأبناء، الأمر الذي يدعو الأسرة إلى زيادة الاهتمام بهذا الجانب، ومتابعة الصحف والمجلات والإعلانات ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة حول الأنشطة الحوارية التي تقام في المنطقة، وحفز الأبناء على الحضور والمشاركة فيها.
- الاستفادة مما يعرض في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة من حوارات إيجابية، وتوظيفها توظيفا تربويا في التواصل مع الأبناء، وإكسابهم مهارات الحوار.
- العناية بالحوار مع الأبناء حول فائدة المشاركة في المناسبات الاجتماعية المختلفة، ودورها في إكسابهم الجرأة والثقة في النفس والقضاء على الخوف والتردد.
- السماح للأبناء عن طريق الحوار الأسري الشفاف للتعبير عن احتياجاتهم واهتمامهم وميولهم ومواهبهم، ومحاولة إشباعها بما لا يتعارض مع القيم الدينية، وعادات المجتمع وتقاليده.
- العناية والاهتمام بالتحاور مع الأبناء حول أصدقائهم، ومناقشة إيجابيات الصداقة، وسلبياتها والصفات التي يجب أن تتوافر في الصديق دون فرض الرأي عليهم برفض صديق ما، أو قبول آخر.
- مواكبة الأسرة التقدم العلمي والتكنولوجي في اختيار أنشطة وبرامج تنمية مهارات الحوار لدى الأبناء وتصميمها، وعدم الوقوف عند نمط تفكيري قديم، على أن يكون ذلك في حدود المعايير الشرعية والاجتماعية.
- الاهتمام بالحوار مع الأبناء في ضرورة التقنية الحديثة في العصر الحالي كالإنترنت والكمبيوتر والطرق الإيجابية والسلبية في استخدامها.
- مشاركة الأبناء في تصفح المنتديات الحوارية الإيجابية على شبكة الإنترنت، وتدريبهم على الحوار الإلكتروني الفعال، وتحذيرهم من الاستخدام السلبي لها.
- تنظيم الأسرة المسابقات بين الأبناء أو مع أبناء الجيران أو الأقارب لتحقيق التنافس في التميز في إتقان مهارات الحوار.
- أن تلاحظ الأسرة ما يقوم به الأبناء من مهارات حوارية عن طريق زيادة التواصل معهم، وتكثيف الحوارات والمناقشات، وتحديد نقاط القوة وتعزيزها، ونقاط الضعف لمعالجتها.

إن قيام الأسرة بتنمية ثقافة الحوار لدى الأبناء له دوره في ترسيخ ثقافة الحوار في المجتمع، الأمر الذي يكون له انعكاساته الإيجابية كتعميق الحس الحواري بين أفراده، وتبادل الأفكار والخبرات والمعارف، وتقوية الروابط الاجتماعية، وإيجاد الحلول للمشكلات المختلفة، وتنمية المجتمع.

أميرة الشناوي كيوان
باحثة تربوية

سرقة الأطفال
بين الفهم الصحيح والعلاج التربوي

يجب أن ننتبه من البداية إلى أن السرقة عند الطفل لها مدلول يختلف عن المدلول الذي لدينا نحن الكبار؛ فالسرقة لدينا عمل مشين، يتنافى بطبيعة الحال مع القيم والمعايير الأخلاقية، ولذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الآباء عندما تبعث إليهم المدرسة مشيرة إلى أن أطفالهم قد ضبطوا متلبسين بالسرقة، إنهم يضطربون اضطرابا شديدا، قد لا يحدث لهم هذا الاضطراب إذا قيل لهم إن أطفالكم كسالى أو متخلفون دراسيا، ذلك لأن الآباء لا يعتبرون أنفسهم قد فشلوا في تعليم أطفالهم قواعد العلم وأسس المعرفة والثقافة فحسب، بل أخفقوا أيضا في تهذيبهم وتقويمهم، وأن هؤلاء الأطفال قد صاروا يواجهون مستقبلا مترديا يؤكده هذا الانحراف الخلقي.

وحقيقة الأمر، الذي تؤكده معظم الدراسات السيكولوجية، أن هناك أنواعا من السرقة يأتيها الطفل بدوافع بعيدة كل البعد عن دوافع السرقة في مدلولها السالب المهين الذي لدينا نحن الكبار، فقد يسرق الطفل لأنه لا يدرك معنى الملكية، والأجدر بنا والأصوب أن نهتم ببحث واستقصاء الدوافع والأسباب التي أدت إلى سلوك السرقة قدر الاهتمام بالواقعة نفسها.

دوافع السرقة وأسبابها

أولا- الجهل بمعنى الملكية

عندما يمد الطفل يده ليستولي على ممتلكات غيره، إنما يمدها لأنه يرغب في استخدام تلك الممتلكات لا ليسرقها كما نتصور، فهو يجهل تماما معنى أن نحترم ملكية الآخرين، فنموه لم يمكنه بعد من التمييز بين ممتلكاته وممتلكات غيره، وهو أيضا لا يدرك أن احترام

ملكية الآخرين يعني ألا يحصل عليها، أو يستخدمها إلا بإذن من أصحابها، وإلا عد الأمر اعتداء على حقوقهم.

وقد ينبه الأب أو الأم إلى ذلك بالزجر تارة وبالعقاب أخرى، ولكن لا يفتأ الطفل أن يعاود الفعلة مرة أخرى، ذلك لأن المعنى لم يرسخ بعد في ذهنه، إنه بالقطع لا يتصور أنه فعل أمرا مذموما.

ومثل هذا الطفل لا يمكننا أن نعده سارقا، يكفي لكي نعوده على سلوك الأمانة أن ننمي فكرته عن الملكية الخاصة والملكية العامة، وذلك بأن نخصص له أدوات خاصة يتناول بها طعامه، وأخرى يستخدمها في الاعتناء بأمور نظافته الشخصية، وأن نخصص له كذلك اللعب والكتب والأدوات التي يحتفظ بها في مكان يخصه وحده، في الوقت الذي نطالبه بضرورة الحفاظ عليها من التلف والعناية بها، وعدم إهدارها أو فقدها.

ثانيا- الغيرة والانتقام

الطفل قد يسرق في المواطن التي تثار فيها غيرته الشديدة، فقد يسرق من والديه إذا وجد أنهما انصرفا عنه وأهملا شؤونه، والسرقة هنا انتقامية كرد فعل لتجاهل الوالدين له هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تكون السرقة نوعا من التنفيس عن الغضب، ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من ممتلكات الوالدين، وقد لا تكون، فقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يشعر تجاهه بالضيق أو الغيرة، لا يستطيع مواجهته أو مصارحته، فيسرق أدواته، وقد يحطمها لأنه يسرق بدافع الانتقام والتشفي.

ثالثا- الرغبة في الامتلاك

قد يسرق الطفل شيئا لأن لديه رغبة ملحة في استخدام أو امتلاك الشيء المسروق. إذا وجد الطفل بحوزة صديقه لعبة أعجبته، في الوقت الذي لا يمتلك مثلها، فقد يفكر مليا في سرقتها واستخدامها في خفية تامة ليستمتع بلذة ملكيتها، ونشوة استعمالها، وفي هذه الحالة لا يسرق الطفل إلا ما يروق له من أشياء، وفي بعض الحالات يعيد الطفل الشيء المسروق خفية أيضا، بعد أن يكون قد استخدمه وحقق رغبته، ولم يعد لهذا الشيء المسروق الجاذبية بالنسبة إليه، ومن هنا يتحتم على الآباء أو الأمهات توفير الأدوات أو المقتنيات أو اللعب التي تروق لأطفالهم قدر الإمكان حتى لا يلجأون إلى السرقة بدافع الرغبة في الامتلاك.

رابعا- الخوف من العقاب

يحدث أن نجد طفلا قد أضاع مثلا علبة ألوانه بالمدرسة، فيذهب إلى المنزل يشكو لأبويه، حتى يمكنه الحصول على النقود ليبتاع أخرى، فيأبى والداه أن يأتياه بمثلها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنهما يهددانه بالعقاب الصارم إذا لم يجد علبة ألوانه المفقودة، فيفكر الطفل في سرقة النقود اللازمة لشراء علبة الألوان اتقاء العقاب المزمع تنفيذه، وبعد أن يبتاع مثلها يهم الصغير إلى والديه، ويخبرهما أنه قد وجد علبة ألوانه مختبئة في صوانه الخاص، وعندما يقتنع الأبوان بذلك، يزول بذلك خطر التهديد والعقاب، ويستنشق الطفل عبير الأمن والاطمئنان، ولكن بعد أن يتعلم أن السرقة قد تقي من العقاب أحيانا.

خامسا- التفاخر والمباهاة

يعاني بعض الأطفال الحرمان من امتلاك الأدوات واللعب التي تروق لهم، إما لضيق ذات اليد، وإما لسوء تقدير الأبوين بشأن توفير ما يحتاج إليه أبناؤهم من أدوات ولعب، ثم يذهب الطفل إلى المدرسة أو النادي فيروعه الأمر، لأنه يرى بحوزة أقرانه أصنافا منها، ومما يزيد الأمر سوءا أن يجد من رفاقه التفاخر والمباهاة بما يملكون، والسعادة الغامرة بما ينعمون، فتدب الغيرة في قلبه، ويترسخ بداخله الشعور بالنقص لفقده الأمل في اقتناء مثل هذه الأدوات واللعب.

والنتيجة المتوقعة هي أن الطفل يفكر مليا في الأمر فلا يجد مفرا ومخرجا سوى السرقة، فيهم بسرقة مثل هذه الأشياء من أصدقائه ليلهو بها ويتمتع بصحبتها، وعندما يسأله أبواه عن مصدر هذه اللعب والأدوات، يدعي أن أصدقاءه أهدوه إياها، وقد يجنح فيدعي أنه فاز في إحدى المسابقات المدرسية فكافأته إدارتها بأن أعطته هذه الهدايا.

أو لعل الطفل قد يسرق النقود، ويشتري هذه اللعب ويحتفظ بها بعيدا

عن الأنظار، حتى يحين موعد ذهابه إلى المدرسة، فيضع هذه اللعب أو بعضها في حقيبته المدرسية، ليتمكن من التباهي أو التفاخر بها أمام أقرانه، مدعيا أن والديه قد ابتاعاها له.

سادسا- التقليد والمحاكاة

يتابع معظم الأطفال باهتمام شديد ما يجري في عالم الكبار، فنجد الطفل يستمع إلى أقوال والده ويحاول فهمها وترديدها، والفتاة تبدأ بالاهتمام بما تردده الأم فتتابع أحاديثها بإنصات شديد، هذه السمات من شأنها أن تؤثر على الطفل، فهو على استعداد دائم للوقوع تحت تأثير الآخرين، وهو ما يطلق عليه علماء النفس «القابلية الشديدة للاستهواء» بحيث يكون الطفل على استعداد للتأثر بما يسمعه أو يشاهده، خصوصا ممن يكبرونه سنا، ويشغلون أدوارا مهمة بالنسبة إليه، مثل الأب أو الأم، ويتضح أن الطفل في تلك المواقف إنما يقوم بعملية توحد مع أنموذج معين، وبهذا يميل إلى التقليد والمحاكاة، وقد يحدث أن تمتد يد الأم إلى حافظة نقود زوجها، لتستولي في تكتم وسرية على بعض النقود، فيراها الطفل من دون أن تشعر بوجوده، ثم يأتي الأب ليكتشف الأمر فيثور، والأم بالقطع تتنصل من المسؤولية، أما الطفل فإن عقله يذهب ويجيء، وغالبا ما يسأل نفسه: هل أظل صامتا محتفظا بالحقيقة لنفسي، أم أروي ما رأيت فأكشف أمر أمي فيدب الصدام بينهما؟ ومهما يكن موقف الطفل فقد تأثر تأثرا سيئا بفعلة أمه، النموذج والقدوة، والأرجح أن هذا الطفل سيغير من قيمه التي اكتسبها، ويعدل من اتجاهاته التي سبق له أن تبناها، وبمرور الوقت لا يسأل الطفل والده عما يريده من نقود، بل ستمتد يداه إلى حافظته ليأخذ منها ما يريده.

سابعا- أصدقاء السوء

الطفل تتسع دائرته الاجتماعية، يتمثل ذلك في وجود أصدقاء له يذهب ويجيء معهم، من وإلى المدرسة، يقضي بصحبتهم فترات الراحة والاسترخاء، والطفل يجد نفسه مشدودا إلى أصدقائه يبدي ولاءه وإخلاصه لهم، وحينما لا يتدخل الأب أو الأم في انتقاء الأصدقاء، فقد ينحرف الطفل ويسوء الاختيار، فهذا طفل تعرف إلى صديق يقطن بجواره في المسكن، يكبره بعدة سنوات، كان يرافقه في رحلات قصيرة في أيام العطلات الأسبوعية، ولسوء الحظ كان هذا الصديق منحرفا سلوكيا، فقد اعتاد السرقة، ولما كان الطفل يقع تحت تأثيره، وكان الأبوان في غفلة عن ابنهما، فقد انتهت هذه الصداقة باشتراكهما في سرقة النقود، وبعض الأشياء الأخرى.

تنمية سلوك الأمانة

يجب أن يدرك الآباء أنه قبل تكوين اتجاه الأمانة لابد من حدوث اعتداءات من الطفل على ملكية غيره، وهذا أمر طبيعي يجب أن يقابله الآباء بالمرونة إلى أن يتعلم الطفل أساليب التعاون من أخذ وعطاء، كما يجب عليهم عدم التهويل، فيقابل الآباء ذلك بالضرب والإهانة، كما أنه من الخطأ الدفاع عن هذا السلوك، فكلا الأسلوبين لا يساعد على تكوين اتجاه الأمانة.

- خلق شعور الملكية لدى الطفل بأن تخصص له مقتنياته الخاصة، وإعطاء الطفل مصروفا يوميا يتناسب مع عمره ووسطه الاجتماعي الذي يعيش فيه.
- التسامح قدر الإمكان في حالات السرقة العابرة، التي تحدث بلا دوافع نفسية، كذلك عدم دفع الطفل إلى الاعتراف بالسرقة حتى لا يعتاد الكذب.
- عدم معايرة الطفل أمام الآخرين في حالة السرقة حتى لا يشعر بالمهانة والنقص، علما بأن الطفل لو أحس بمشاعر المحبة والحنو والعطف والرعاية، فإنه لن يلجأ إلى السرقة.

كيفية العلاج

مما لاشك فيه أن الوسط الأسري أو المدرسي أو البيئي، الذي يتوافر فيه الدفء العاطفي والحب والأمن والتوازن في المعاملات والمرونة في التربية، يساعد على وقاية الطفل من الانحراف السلوكي، الذي يجد له متنفسا عن طريق السرقة كمثال.

ينبغي توفير ضروريات الأطفال من ملابس خاصة وأدوات ولعب وغيرها، حتى لا يشعروا أنهم أقل من الآخرين فيلجأون إلى السرقة لتعويض النقص.

احترام ملكية الطفل الخاصة شيء ضروري، ومن هذا المنطلق لابد أن نعلمه كيف يحترم ملكية الآخرين، فإذا حدث أن اعتدى الطفل على ملكية أخيه، فلنأخذ منه أحد مقتنياته ونعطيه لأخيه، فإذا ثار واعترض علمناه أنه كما يثور لأننا اعتدينا على ملكيته، فإن أخاه سيثور أيضا لأننا اعتدينا على ملكيته، وبهذا الدرس العملي سيتيقن أنه من غير المستحب الاعتداء على ملكية الآخرين.

لابد من دراسة الدوافع التي دفعت الطفل دفعا إلى السرقة، فهل السرقة عابرة أم متكررة؟ وهل السرقة تؤدي وظيفة نفسية في حياة الطفل كتعويض فقدانه للحب أو الحنان أو الرعاية، أم لها وظيفة اجتماعية كالتباهي أو التفاخر أو إثبات الذات؟ فإذا ما وضعنا أيدينا على مواضع الداء الحقيقي، أمكننا وضع العلاج المفيد.

إعداد
محمود نصر الدين المعلاوي

«معالم الأمن الفكري» في لبنان

تستضيف جمهورية لبنان الشقيقة في الفترة من ١-٣ ديسمبر ٢٠١٩ مؤتمرا دوليا بعنوان: «معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه»، تحت رعاية مفتي عام الجمهورية اللبنانية، وتنظيم مشترك بين أكاديمية الإمام البخاري الدولية، وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الإسطرلاب الدولية.

ويأتي اختيار عنوان المؤتمر نظرا لاعتبار صحيح الإمام البخاري من أصح الكتب المصنفة في السنة النبوية، والتشكيك فيه يعد إسقاطا لأهم مصدر من مصادر استمداد مناهج الأمن الفكري ومعالم الوسطية والاعتدال.

ويناقش المؤتمر سبعة محاور رئيسية هي: منزلة صحيح البخاري في السنة النبوية ودحض شبه المشككين وأثره في الأمن الفكري، وتأصيل مفهوم الإيمان في صحيح الإمام البخاري وأثره في الأمن الفكري، وتأصيل محددات الأمن الفكري ومهددات الأمن الفكري في صحيح الإمام البخاري، وجهود الإمام البخاري في الرد على الخوارج والمعتزلة، وجهود الإمام البخاري في الرد على المرجئة، وجهود الإمام البخاري في التحذير من الابتداع في الدين المخل بالأمن الفكري، ومعالم الوسطية والاعتدال عند الإمام البخاري في صحيحه.

يأتي هذا المؤتمر في سياق الاهتمام بصحيح الإمام البخاري، ومدارسة أحاديثه، وفقه أبوابه وتراجمه، وتظهير المعالم المنهجية، والمفاهيم العقدية المنقولة فيه، باعتباره من أهم الأعمال العلمية لتأصيل ورسم معالم المنهج العلمي لأهل السنة.

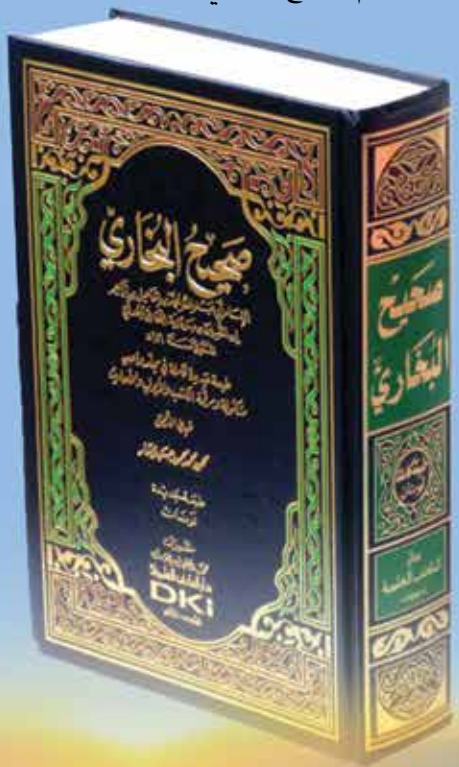

ويجيب مؤتمر معالم الأمن الفكري عند الإمام البخاري في صحيحه، عن إشكاليات عديدة، من أهمها:

- منزلة صحيح الإمام البخاري في السنة النبوية، وهل يصح التشكيك فيه؟ وما أثر ذلك على الأمن الفكري؟
- هل أصّل الإمام البخاري في صحيحه مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة؟
- هل رد على الخوارج المكفرة الذين لا يزالون يظهرون إلى آخر الزمان؟
- ما مفهوم الإرجاء، والفكر الاعتزالي من خلال الأحاديث والآثار المخرجة في صحيح الإمام البخاري؟
- هل يمكن التوصل إلى رسم محددات ومهددات الأمن الفكري من صحيح الإمام البخاري؟
- ما جهود الإمام البخاري في الحفاظ على الأمن الفكري، والمنهج العلمي لأهل السنة والجماعة؟
- هل يمكن أن نستمد معالم الوسطية والاعتدال من أصح الكتب المصنفة في السنة النبوية؟

فهد الشمري

الأدوار الحضارية للزكاة في مؤتمر «البحرين»

إستثمار البحث العلمي في تفعيل الأدوار الحضارية للزكاة كان من أهم أهداف المؤتمر الدولي السابع للزكاة والتنمية، الذي أقيم أخيرا تحت رعاية وزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بالبحرين الشيخ خالد بن علي آل خليفة.

المؤتمر نظمه صندوق الزكاة والصدقات بالوزارة، بالتعاون مع مركزي كمبريدج ولندن للاستشارات والبحوث والتدريب، ومجموعة الرقابة للاستشارات الشرعية والمالية بالمملكة الأردنية الهاشمية، بفندق ذا غروف بجزر أمواج، وبمشاركة ما يقارب ٨٠ باحثا وباحثة من ١٩ دولة، موزعين على عشرين جلسة علمية.

رئيس صندوق الزكاة والصدقات الأمين العام للمؤتمر الشيخ صلاح حيدر حسين، أكد حرص المنظمين على تحقيق أهداف المؤتمر التنفيذية؛ مثل تشخيص وتحليل واقع الزكاة في المجتمعات الإسلامية بهدف تحديد نقاط القوة والتحسين، فضلا عن تكوين رؤية استشرافية ومقاصدية للأهداف الشاملة لفريضة الزكاة وتطبيقاتها التنموية وإبراز الإيجابيات والمنافع الشاملة التي تحققها الزكاة في المجتمعات المعاصرة ودراسة المشاريع العملية والابتكارات التطبيقية المتعلقة بتطوير واقع الزكاة المعاصرة، لافتا إلى أن إقامة مثل هذا المؤتمر الدولي تأتي رغبة في تحقيق الرؤية الاقتصادية لمملكة البحرين، التي ترتكز على مبادئ الاستدامة والتنافسية والعدالة، وبهدف تشخيص وتحليل واقع الزكاة في المجتمعات الإسلامية لتحديد نقاط القوة والضعف، وتكوين رؤية استشرافية ومقاصدية في ضوء الأهداف الشاملة لفريضة الزكاة، فضلا عن إبراز الإيجابيات والمنافع الشاملة التي تحققها الزكاة في مجتمعاتنا

المعاصرة، مع التركيز على دراسة المشاريع العملية والابتكارات التطبيقية المتعلقة بتطوير واقع الزكاة المعاصر، لاسيما أن مملكة البحرين تعد من أهم رواد تنمية قطاع الصيرفة الإسلامية عالميا، إلى جانب كونها موطنا لأكثر من ٤٠٠ مؤسسة مالية، تشكل مزيجا ثريا من أسماء المؤسسات الدولية والإقليمية والمحلية، ما يمنح المؤتمر المقام في هذه الحاضنة قيمة كبيرة، خصوصا أن القطاع المالي في المملكة يعد أهم القطاعات.

من جهتها، أشادت رئيسة مركز كمبريدج للتدريب الرئيسة التنفيذية للمؤتمر الدكتورة حفصة الغريب، بالتعاون الإيجابي مع صندوق الزكاة والصدقات، مثمنة الدور التوعوي والخيري للصندوق وإسهامه الفاعل في تحقيق التكافل الاجتماعي تأصيلا لمعاني التلاحم والتراحم والوحدة.

جدير بالذكر أنه منذ الإعلان عن إقامة المؤتمر شكل الوكيل المساعد للشؤون الإسلامية بوزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف الدكتور محمد طاهر القطان، لجان العمل لمتابعة حيثيات المؤتمر ومراحل تنفيذها على الأرض، وترأس اللجنة رئيس صندوق الزكاة والصدقات الأمين العام للمؤتمر الشيخ صلاح حيدر، بالتعاون مع الرئيسة التنفيذية للمؤتمر الدكتورة حفصة الغريب، بدعم ومساندة عدد من مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص، وذلك تعزيزا لمبدأ الشراكة المجتمعية.

وقد أكد وزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف الشيخ خالد بن علي آل خليفة، حرص الوزارة الدائم على مواصلة تحقيق كل ما من شأنه أن يرفد المسيرة الوطنية ويحقق رؤى وتطلعات جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البحرين، مستندين في ذلك إلى الثوابت الوطنية، وإلى مبادئ رؤية البحرين الاقتصادية ٢٠٣٠، وكل المبادرات والخطط الاستراتيجية التي تسهم في بناء اقتصاد قوي مستدام يعزز العملية التنموية في المملكة.

وزير الأوقاف البحريني مصافحاً أحد الإعلاميين

وأشار إلى الاهتمام البالغ الذي تحظى به الزكاة لما لها من دور محوري في خدمة المجتمع وتحقيق تكافله، ودعم مسيرة تنميته وتحقيق ازدهاره ورخائه، حيث كانت مملكة البحرين من أولى الدول العربية التي سنت التشريعات المنظمة للعمل الزكوي المؤسسي.

وفي كلمته قال نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف الدكتور محمد أبو زيد الأمير، إن الزكاة تشكل دعامة كبرى من دعائم الإسلام الاقتصادية، كما أنها من الموارد المالية التي لا تنضب على مر السنين، ووسيلة ناجحة لتحقيق التضامن الاجتماعي والتكافل الإجباري بين أفراده، ورحمة من رحماته تعالى إلى عباده المؤمنين، وهي لون من ألوان العبادات التي فرضها الله تعالى ورتب عليها آثارا اجتماعية كبيرة من عطف ورحمة ومحبة ومودة وإخاء وتعاون وتآلف بين أفراد المجتمع المسلم.

كما ألقى سماحة العلامة السيد علي الأمين عضو مجلس حكماء المسلمين كلمة أشاد فيها بالقائمين على هذا المؤتمر بجعلهم الزكاة موضوعا للبحث عن التنمية المستدامة والشاملة، موضحا أن تشريع الزكاة في الإسلام من أهم الدعائم لقيام المجتمع المتضامن بعضه مع البعض الآخر في السراء والضراء، وهو من أهم التشريعات التي تكافح آفة الفقر.

وكذلك ألقى رئيس المؤتمر ورئيس مجموعة الرقابة للاستشارات الشرعية بدولة الكويت الدكتور رياض الخليفي، كلمة أشار فيها الى أن هذا المؤتمر يأتي في سياق التجديد والتطوير لقضايا الزكاة المعاصرة، مؤكدا الحرص على أن يكون مؤتمرا دوليا متميزا يليق بالإسهامات القيادية العالمية للبحرين في مؤسسات البنية التحتية للصناعة المالية الإسلامية في العالم.

فيلم وثائقي حول إنجازات صندوق الزكاة

عُرض فيلم وثائقي حول إنجازات صندوق الزكاة والصدقات منذ إنشائه وحتى يومنا هذا، بعدها تفضل وزير العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف بتكريم الرعاة والداعمين لمؤتمر الزكاة والتنمية الشاملة: صندوق العمل (تمكين)، شركة سداد، بنك الإثمار، مبرة عبدالرحيم الكوهجي، معهد كامبريدج للاستشارات والبحوث، مجموعة الرقابة للاستشارات الشرعية والمالية، شركة بدايات ومركز لندن للبحوث والاستشارات.

محمد جباري
باحث في التاريخ

فلسطين ومتلازمة النكبات

بات من الواضح يا سادة، أن الولايات المتحدة الأميركية تحترم مواعيدها ووعودها. فبعد قرار نقل سفارتها إلى القدس قبل شهور معدودة، ها هي تنفذ وعدها المشؤوم وتفتتح السفارة في مدينة القدس. ضاربة عرض الحائط بكل المخرجات والتحذيرات والصرخات التي أطلقتها الدول العربية والإسلامية والمنظمات الإقليمية والأممية حيال هذا القرار، ولم يصل الأمر إلى هذا الحد فحسب بل تم نقل بعض السفارات لدول أخرى مثل: غواتيمالا وباراغواي، وبعض الدول تبحث في الموضوع وكأنه أصبح عاديا مثل رومانيا والتشيك وكذلك أستراليا أخيرا، وهنا نقف لنتساءل: ما محل مجلس الأمن من هذا القرار الأحادي؟ وما موقع المجتمع الدولي من هذه الخروقات التي لا تستند إلى مشاورة بقية الأعضاء؟ وماذا عن الشرعية التي لطالما رددتها أميركا كلما تعلق الأمر بقضية من القضايا؟

النكبة والوعد المشؤوم

لقد تابعنا بكثير من الألم والحسرة، ما يتعرض له الفلسطينيون من عدوان سافر، وهدر للدم الفلسطيني، الذي صار رخيصا عند حماة السلام والقيم الكونية! في سبيل الدفاع عن أرضهم وحقوقهم التاريخية فيها، غداة افتتاح السفارة الأميركية بالقدس وبعض الدول الأخرى. والملاحظ، أن أميركا نقلت سفارتها إلى القدس بما صاحب ذلك من احتفالات إسرائيلية، بالتزامن مع ذكرى النكبة، التي تخلدها الذاكرة الفلسطينية، بمذاق الألم والدم وبمشاعر المعاناة والشتات والضياع والتيه بين المخيمات وبلدان الجوار، إنها نكبة الجيوش العربية المنكسرة حينها، ونكبة الذات العربية المهزومة، ونكبة فلسطين المسلوبة، إنها النكبة التي لا تزال تداعياتها تنهش في الجسد الفلسطيني، الذي ما انفك صامدا يقاوم عوادي التاريخ، وشره الإمبريالية الصهيونية وصديقتها الأميركية، نعم، تلكم هي سقطات التاريخ المؤلمة، لا تختفي ارتداداتها بسهولة كما يحصل عند بني البشر، حينما يموت شخص ما حيث سرعان ما يلفه النسيان ويعود الأحياء إلى حالهم الطبيعي، أما عند التاريخ، فلكل حدث كيفما كان، سالبا أم موجبا، ثمن يجزى به أطرافه حسب مواقعهم ضمنه. طبعا، لا نريد من هذا الكلام، تأنيبا أو توبيخا لذاتنا العربية، بقدر ما ننبه لحركة الميكانيكا التاريخية إن صح التعبير.

فلسطين وحقوق الإنسان!

لطالما تشدق الغرب بمقولة حقوق الإنسان، التي لا ننكر مصداقيتها الذاتية وضرورتها لكل شخص أينما وجد. بيد أنه عندما تتحول هذه الورقة إلى آلية أيديولوجية، يشهرها الغرب في وجه كثير من الدول، كلما تطلب الحال ذلك من أجل الضغط

عليها ومساومتها، وبما يضمن ديمومة المصالح الغربية بها، وعندها

تغيب هذه المقولة أثناء تكالب الآلة الصهيونية على الرقاب الفلسطينية، واستباحة دماء الفلسطينيين وحرماتهم، والمس بمقدساتهم الدينية، وهضم حقوقهم التاريخية حول قضية أرض وهوية، حين ذاك تنتفي الموضوعية في خطاب حقوق الإنسان لتحضر الانتقائية. فأينك يا غرب يا مدافعا عن حقوق الإنسان؟ أين الشعب الفلسطيني من مفاهيم الحرية والعدل وحق تقرير المصير؟ لماذا يسود صمت رهيب وردود «باردة» تجاه ما يلحق الشعب الفلسطيني من سطو على ترابه، وتهويد لمقدساته وقصف لصدور شبابه؟ هل مات ضمير العالم يا ترى؟! بأي معنى نتحدث عن حوار الحضارات وإشاعة الأمن والسلم العالميين، وهناك شعب لا يزال يذبح على مرأى ومسمع من العالم، وهناك أرض لا يزال الاستعمار الغاشم جاثما عليها؟ هكذا يبدو أنه كلما ارتبط الموضوع بإسرائيل، غيب خطاب الديموقراطية وحقوق الإنسان، وحل خطاب الدفاع عن النفس! فحسب هذه المعادلة التي تختار أرقامها من البيت الأبيض، يصبح المظلوم ظالما والمعتدي بريئا.

بين الحب والفعل

لا أحد يشكك في التضامن العربي مع الشعب والقضية الفلسطينية، فمن أجلهما خاض العرب حروبا ضد إسرائيل بدءا من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٧٣، ومن أجل فلسطين قدمت، ولا تزال، هبات ومساعدات، كما تعقد بين الفينة والأخرى، اجتماعات وقمم عربية وأحيانا إسلامية، لمناقشة آخر التطورات التي أفرزها الشأن الفسطيني، فضلا عن الجماهير العربية والإسلامية، التي تهب للشوارع للتنديد والاحتجاج كلما اشتد أوار العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. لكننا نتساءل: هل حالت كل الأشكال والتحركات التضامنية المذكورة، دون تمكين إسرائيل من التقدم الميداني في قضم المزيد من المستوطنات؟ المتتبع للشأن الفلسطيني وتطوراته سيجيب بلا. نعم كلنا نحب فلسطين، لكن فلسطين اليوم وفي ظل المتغيرات الدولية، والمآلات الخطيرة التي آلت إليها القضية الفلسطينية، خصوصا مع انتقال السفارة الأميركية إلى القدس الشريف، وتغيير العاصمة الإسرائيلية من تل أبيب إلى القدس، لتصبح بعد هنيهة مدينة القدس ذات المكانة الروحية والدلالة الدينية والحضارية العميقة للمسلمين خاصة، في خبر كان. لذلك، ففلسطين لم تعد بحاجة ولا تكفيها، البيانات التنديدية، ولا الشعارات والعبارات التمجيدية الرنانة، فلسطين اليوم بحاجة، أكثر من أي وقت مضى، إلى قليل من الحب، وكثير من العمل والفعل، لأن عجلة التاريخ لا تنتظر من يتخلف عن الموعد، فبمستطاع العرب والمسلمين عامة، نجدة القدس إذا اتحدوا ككتلة واحدة من أجل نصرة القدس والمقدسات، التي تعتبر أمانة تركها الفاتحون الأسلاف، فواجبنا صيانة الأمانة وإدامتها ضمن السجل العقاري لبلاد الإسلام، وإلا ضاعت وضعنا غرباء في هويتنا وذاتنا وذاكرتنا، فنقع على عتبة التاريخ، مرضى بمتلازمة جلد الذات والبكاء على الأطلال وإنشاد قصائد الرثاء، فنلقى سخط الأجيال، كما لقيه عبدالله الصغير عشية سقوط غرناطة، الذي خلدته أمه ممرغا في تراب التاريخ، في بيت شعر شهير:

«ابك مثل النساء ملكا مضاعا

لم تحافظ عليه مثل الرجال».

هشام الصباغ
باحث لغوي

محدِّث عصره

العلامة الألباني

في البدء كانت «اقرأ»..

أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ سيرته أرض خصبة لمن أراد أن يترجم لأحد أعلام الأمة، المجتهدين، المصلحين، الصالحين، الزاهدين، المجاهدين، المصنفين، العصاميين، الفقهاء.. لكن مثله يتعسر عليك أن تكتب عنه؛ وتعاني الأمرين في اختيار ولو جزء من حياته تستطيع أن تغطيه، فضلا عن أن تفيه ما بذله في حياته في مقال.

■ كان يتكسب رزقه من إصلاح الساعات، تلك المهنة التي ورثها عن أبيه، فكانت إليه مثل «الجليس الصالح»، وأكسبته صفاتها من قوة الملاحظة وسرعة التفكير والدقة المطلقة، مما انعكس على حياته العملية وشخصيته وإنتاجه الفكري.

■ عندما يذكر اسمه، يقفز إلى ذهنك سؤالان عجيبان: كيف لأعجمي الأصل أن يصبح محدث عصره ومرجع وقته في معرفة صحيح الحديث من ضعيفه؟! وكيف سلم له العاربة والمستعربة بالتصحيح والتضعيف؟!

■ حجة في مصطلح الحديث، ومتفرد في علم الجرح والتعديل، ومن أبرز علماء العصر الحديث بسنة النبي ﷺ، حتى قيل عنه: «أعاد عصر ابن حجر العسقلاني والحافظ ابن كثير وغيرهما من علماء الجرح والتعديل».

■ نشأ في زمن كثرت فيه البدع والفرق الباطنية والتعصب للمذهب، ما حال بين الناس وأنوار السنة؛ فحارب البدعة، وحمل لواء السنة وأخذ يدعو ويناظر ويجادل من أجلها؛ حتى اتهموه بـ«الجامد»، وأخرج من بلاد إلى بلاد، لكن ذلك لم يفت في عضده؛ بل بقي قوالا بالحق غير هياب حتى وفاته.

■ حياته تشبه حياة الإمام البخاري من جهتين: الأولى الاهتمام بالحديث.. والثانية من جهة الأصل، فكلاهما من منشأين غير عربيين.. الأول من بخارى، أما عالمنا فمن ألبانيا.. إنه الإمام العلامة محمد بن نوح نجاتي، الشهير بمحمد ناصر الدين الألباني، المكنى بأبي عبدالرحمن.

المولد.. والنشأة.. والتعليم

■ الألباني ولد في مدينة أشقودرة عاصمة ألبانيا (يومئذ)، عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، لأسرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي، فوالده تخرج في المعاهد الشرعية في العاصمة العثمانية «أستانة» قديما (إسطنبول اليوم)، وكان أحد علماء المذهب الحنفي في ألبانيا، ولما رأى بلاده تسير في طريق التحول إلى تقليد الغرب، وألزمت المرأة الألبانية المسلمة بنزع الحجاب قهرا، والرجل بلبس اللباس الأوروبي؛ خاف من سوء العاقبة وهاجر بأهله قاصدا الشام وتحديدا دمشق؛ فارا بدينه، خائفا على أولاده من الفتن.

■ لم يفت الشيخ أمر هجرة أبيه، فشكر إلى الله فعله قائلا: «(...) فجنيت، بفضل الله ورحمته، بسبب هجرته هذه إلى دمشق الشام ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره ولو عشت عمر نوح عليه الصلاة والسلام (....) ثم وفقني الله بفضله وكرمه (....) إلى دراسة الحديث والسنة أصولا وفقها، بعد أن

درست على والدي وغيره من المشايخ شيئًا من الفقه الحنفي وما يعرف بعلوم الآلة؛ كالنحو والصرف والبلاغة».

■ أتم دراسته الابتدائية في مدرسة الإسعاف الخيري في دمشق بتفوق، لكن والده كان له رأي في المدارس النظامية من الناحية الدينية، فقرر عدم إكماله الدراسة النظامية ووضع له منهجا علميا مركزا قام من خلاله بتعليمه القرآن الكريم، والتجويد، والنحو والصرف، وفقه المذهب الحنفي. وقد ختم الألباني على يد والده حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، كما درس على الشيخ سعيد البرهاني «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي وبعض كتب اللغة والبلاغة.

«المنار».. وعلم الحديث

■ جذبه علم الحديث جذبا، رغم تحذير أبيه له من الانشغال به ورغبته في تقليده المذهب الحنفي، لكن أبحاث مجلة «المنار»، التي كان يصدرها محمد رشيد رضا، أثرت فيه وتأثر بها، فأصبح وهو في سن العشرين شديد الاهتمام بالحديث وعلومه فصار شغله الشاغل، وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب «المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» للحافظ العراقي مع التعليق عليه، وأصبح معروفا في أوساط دمشق العلمية لدرجة أن المكتبة الظاهرية بدمشق خصصت له غرفة ليقوم فيها بأبحاثه، بالإضافة إلى منحه نسخة من مفتاح المكتبة يدخلها وقتما شاء.

التآليف والدعوة

■ في العقد الثاني من عمره، بدأ الألباني التأليف والتصنيف، وكان من أول مؤلفاته «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» ومن أوائل تخاريجه الحديثية المنهجية «الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير».

■ وباكرا بدأ في إعطاء درسين أسبوعيا في العقيدة والفقه والأصول وعلم الحديث، وفي تنظم رحلات شهرية للدعوة في مختلف مدن سوريا والأردن، وجاب دولا عدة (منها قطر والكويت ومصر والإمارات وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا) داعيا ومحاضرا ومدرسا (درس علوم الحديث لثلاث سنوات في الجامعة الإسلامية في المدينة).

■ ترك الألباني مؤلفات عظيمة وتحقيقات قيمة وتعليقات ماتعة، ربت على المئة، وترجم كثير منها إلى لغات مختلفة من أبرزها: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» و«سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» و«إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل».. وغيرها كثير.

مشايخه.. وأقوال أهل العلم فيه

■ حفظ الألباني القرآن على يد والده حتى ختمه عليه برواية حفص عن عاصم، كما درسه والده بعض كتب الصرف العربية، وكتاب «مختصر القدوري» في فقه الأحناف. وعلى يد محمد سعيد البرهاني (صديق والده) درس كتابي «مراقي الفلاح» في الفقه الحنفي و«شذور الذهب» في النحو وبعض كتب البلاغة، وكان يحضر دروس محمد بهجة البيطار (عالم الشام وقتذاك).

■ قال فيه الشيخ ابن باز: «ما رأيت تحت أديم السماء عالما بالحديث في العصر الحديث مثل العلامة محمد ناصر الدين الألباني». كما وصفه ابن العثيمين قائلا: «ذو علم جم في الحديث؛ رواية ودراية، وإن الله تعالى قد نفع بما كتبه كثيرا من الناس؛ من حيث العلم، ومن حيث المنهاج والاتجاه إلى علم الحديث، وهذه ثمرة كثيرة للمسلمين، ولله الحمد».

إسهاماته في «الوعي»

■ كانت للشيخ مساهمة واحدة فقط في المجلة، جاءت تحت عنوان: «الأحاديث الضعيفة والقوية» (ع:٧١، ذو القعدة ١٣٩٠هـ/ديسمبر ١٩٧٠م).

وفاته ووصيته

■ توفي العلامة الألباني ٢٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢ أكتوبر ١٩٩٩م، ودفن بعد صلاة العشاء. وكان أوصى قبل وفاته بمكتبته كلها «سواء ما كان منها مطبوعا، أو تصويرا، أو مخطوطا -بخطي أو بخط غيري- لمكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة (....) راجيا من الله تعالى أن ينفع بها روادها، كما نفع بصاحبها -يومئذ- طلابها، وأن ينفعني بهم وبإخلاصهم ودعواتهم».

المصادر والمراجع

١- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».

٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٣- رابطة العلماء السوريين.

٤- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، تأليف محمد بن إبراهيم الشيباني.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الإكليل

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الإكليل» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بـ«الإكليل»

وهي مجلة يمنية دورية، تعنى بتاريخ اليمن الفكري والحضاري، تصدر عن وزارة الإعلام والثقافة اليمنية بصنعاء، وقد صدر العدد الأول منها في شهر صفر، سنة: (١٤٠٠هـ)، الموافق لشهر يناير، سنة: (١٩٨٠م).

ولقد كان لإصدار هذه المجلة عدة أهداف منها:

- أن تكون هذه المجلة مجلة متخصصة ثقافية تراثية، حيث تكون وعاء لكل الباحثين والدارسين والمهتمين بشؤون الحضارات والتراث والثقافة اليمنية.
- أن تكون هذه المجلة حلقة وصل بين علماء التاريخ من غير اليمنيين.
- تسهيل الصعوبات التي تواجه الدارسين في هذا الميدان من أجل طرح ما لديهم من دراسات ومناقشات وتحاليل ونشرها.
- الاستفادة من كل ما هو جديد من معلومات في مصادر علمية جديدة ومتخصصة.

محتويات المجلة

بما أن هذه المجلة متخصصة في تاريخ وحضارة اليمن فمواضيعها لم تخرج عن هذا التخصص، فكانت مواضيعها من عددها الأول تبحث في تاريخ اليمن وثقافته.

فكان من أول مواضيعها في عددها الأول حوار مع العلامة: جواد علي، بعدها جاء موضوع بعنوان: اليمن والفلاحة العربية قبل الإسلام، بقلم الدكتور: محمد زهير البابا، ثم الفن العربي قبل الإسلام في اليمن، بقلم: د. عفيف بهنسي، بعده منازل اليمنيين وبيئاتهم في بلاد الأندلس، بقلم: د. محمد رضوان الداية، بعده كتب مطاع الطرابيشي موضوعا ماتعا بعنوان: عمرو بن معد يكرب بين الحقيقة والأسطورة، ثم جاء موضوع بعنوان: الكلمات اليمنية الخاصة، بقلم: مطهر علي الأرياني... وهكذا تتابعت مواضيع المجلة بين حديث عن الحضارات اليمنية واختلاف ثقافاتها وبعض عظمائها عبر التاريخ، إلى آخر عدد منها، وهو عدد يناير- يونيو، سنة: (٢٠١٢م). وستبقى هذه المجلة منبرا للباحثين العرب وغيرهم الذين عشقوا حضارة العرب وبخاصة الحضارة اليمنية.

نسخة «الوعي»

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه المجلة القيمة، حيث جمعت أعدادها في عشرين مجلدا، يحتوي كل مجلد منها على عددين، وهي في متناول قرائها الكرام والمهتمين بالتاريخ والحضارة العربية.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٣٧)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (النووي):

١- محيي الدين النووي (ت:٦٧٦هـ):

هو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الشافعي، علامة في الفقه والحديث.

ولد في نوى من قرى حوران، بسورية سنة: (٦٣٠هـ)، وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، قرأ الفقه وأصوله والحديث ومصطلحه والنحو وأصول الدين، وولي مشيخة دار الحديث.

من مصنفاته: (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، و(تهذيب الأسماء واللغات)، و(الأربعون النووية)، و(منهاج الطالبين)، و(الأذكار النووية)، و(التبيان في آداب حملة القرآن)، و(شرح صحيح مسلم)، و(المجموع شرح المهذب) وغيرها من المصنفات.

توفي بنوى، ودفن فيها[1].

٢- محمد نووي (ت:١٣١٦هـ):

هو أبو عبدالمعطي محمد بن عمر بن علي نووي الجاوي الشافعي، البنتني إقليما، التناري بلدا، مفسر، متصوف، فقيه، متكلم.

هاجر إلى مكة، وتوفي بها، عرف بعالم الحجاز.

من مصنفاته: (مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد)، (مراقي

العبودية شرح بداية الهداية للغزالي)، و(نهاية الزين بشرح قرة العين)، و(نور الظلام شرح عقيدة العوام)، و(كاشفة السجا في شرح سفينة النجا)، و(عقود اللجين في بيان حقوق الزوجين). توفي بمكة[٢].

المتفق والمفترق في اسم (الغماري):

١- أبو الفيض الغماري (ت:١٣٨٠هـ):

هو شهاب الدين أبو الفيض أحمد ابن محمد بن الصديق بن أحمد الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي، من نزلاء طنجة.

ولد سنة: (١٣٢٠هـ) تعلم في الأزهر.

من مصنفاته: (رياض التنزيه في فضل القرآن وحامليه)، و(مطالع البدور في جوامع أخبار البرور) بطنجة، و(إقامة الدليل في تحريم تمثيل الأنبياء والأولياء على المسارح)، و(توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار)، و(المعجم الوجيز للمستجيز) رسالة في شيوخه ولمحة من تراجمهم، و(إبراز الوهم المكنون في الأحاديث الواردة في المهدي)، و(المداوي لعلل المناوي). توفي بالقاهرة[٣].

٢- محمد الزمزمي الغماري (ت:١٤٠٨هـ):

هو محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق بن أحمد الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي.

ولد سنة: (١٣٣٠هـ) نشأ في طنجة وأخذ عن علمائها، وارتحل إلى القاهرة، فقرأ على شيوخه كالشيخ محمد بخيت المطيعي والشيخ عبدالسلام غنيم وغيرهما.

له نحو ستين مصنفا، توفي يوم الجمعة في طنجة[٤].

٣- عبدالحي الغماري (ت:١٤١٥هـ):

هو أبو الإسعاد عبدالحي بن محمد ابن الصديق بن أحمد الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي، من نزلاء طنجة.

ولد في طنجة سنة: (١٣٣٧هـ)، وأخذ عن والده، وشقيقه أحمد، ورحل إلى المشرق فتعلم في الأزهر، واختص في أصول الفقه.

من مصنفاته: (نقد مقال)، و(حكم اللحم المستورد)، و(الحجة الدامغة)، وغيرها، توفي بالقاهرة[٥].

٤- أبو الفضل الغماري (ت بعد:١٤١٣هـ):

هو أبو الفضل عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي.

ولد بمدينة طنجة سنة: (١٣٢٨هـ)، أخذ العلوم الشرعية عن والده الشيخ محمد بن الصديق، وعن شقيقه أحمد، وعن خاله أحمد بن عجيبة.

من مصنفاته: (بدع التفاسير)، و(جواهر البيان في تناسب القرآن)، و(تشييد المباني ما حوته المقدمة الآجرومية من الحقائق والمعاني)، و(كمال الإيمان في التداوي بالقرآن)، وغيرها من المصنفات. توفي بطنجة، ودفن بالزاوية الصديقية[٦].

٥- عبدالعزيز الغماري (ت:١٤١٨هـ):

هو أبو اليسر جمال الدين عبدالعزيز ابن محمد بن الصديق الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي، من نزلاء طنجة.

ولد بمدينة طنجة سنة: (١٣٣٨هـ)، أخذ العلوم الشرعية عن والده الشيخ محمد بن الصديق، وعن شقيقه أحمد، وعن خاله أحمد بن عجيبة.

من مصنفاته: (تنزيه الرسول عن افتراء الغبي الجهول)، و(التأنيس بشرح منظومة الذهبي في أهل التدليس)، و(بلوغ الأماني من موضوعات الصاغاني)، و(التهاني في التعقب على موضوعات الصاغاني)، وغيرها من المصنفات.

توفي بطنجة، ودفن بالزاوية الصديقية[٧].

الهوامش

١- انظر: شذرات الذهب (٣٥٦/٥) والأعلام للزركلي (١٤٩/٨) ومعجم المؤلفين (٢٠٢/١٣).

٢- انظر: الأعلام للزركلي (٣١٨/٦) ومعجم المؤلفين (٨٧/١١).

٣- انظر: الأعلام للزركلي (٢٥٣/١).

٤- انظر: تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف (١٥٩/٢) وتكملة معجم المؤلفين له (٤٨٦/١).

٥- انظر: نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ليوسف المرعشلي (ص: ١٩١١).

٦- انظر: تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف (٢٣/٢) وتكملة معجم المؤلفين له أيضا (٣٤٩/١).

٧- انظر: تتمة الأعلام لمحمد خير رمضان يوسف (٢٣/٢).

إعداد: التحرير

احذروا النميمة

ديننا الحنيف يدعو إلى تهذيب النفس والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والتخلي عما يشين الإنسان ويحط من قدره، والنميمة بلا شك تحط من قدر الإنسان، وتجعل المجتمع ينظر إليه نظرة احتقار؛ لأنه يفسد العلاقات بين الناس، ويثير الفتن في المجتمع؛ فالنميمة تنشر الحقد والكراهية، وتشعل الخصام بين الناس، بل قد يكون ضررها أكبر من ذلك، فتؤدي إلى أن يقتل الناس بعضهم بعضا.

والمجتمع المؤمن يجب أن تسود فيه قيم الحب والخير والتسامح، ولا مكان فيه لمن ينشرون الأحقاد والشر في المجتمع.

قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم.

ولذلك قال الله عزوجل في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ (القلم:١٠-١١)، فالله سبحانه وتعالى ينهانا عن طاعة كل حلاف مهين، وعن طاعة من يمشي بالنميمة بين الناس.

ويجب على الإنسان المؤمن ألا يطيع من يعيب الناس أو يمشي بينهم بالنميمة ولا يصدقه حتى يتبين الصواب، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، وانظر إلى القرآن الكريم الذي سمى النمام فاسقا، وحذرنا من طاعته أو تصديقه حتى نتبين الصواب ونتحرى الحقيقة حتى نتجنب الأسف والندم في وقت قد لا ينفع فيه الندم.

وقال الله تعالى في كتابه الكريم عن زوجة أبي لهب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ (المسد:٤)، وفي تفسير هذه الآية قال القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: «كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب: فلان يحطب على فلان إذا ورش عليه». والتوريش: التحريش والحض على الشر. وقال القرطبي وهو بصدد تفسير هذه الآية: قال عطاء بن السائب: ذكرت للشعبي قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة سافك دم، ولا مشاء بنميمة، ولا تاجر يربي»، فقلت: يا أبا عمرو قرن النمام بالقاتل وآكل الربا؟ فقال: وهل تسفك الدماء، وتنتهب الأموال، وتهيج الأمور العظام إلا من أجل النميمة؟! فالنميمة أساس كل الشرور.

وقد عد الإمام الذهبي النميمة من الكبائر وقال: «وأما أحكامها فهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة».

وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ (الحجرات:٦)، وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ (القلم:١١) وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدا.

حسن عثمان حسن
باحث دراسات إسلامية

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

لا للضيق من الصغار

من الظواهر المتفشية في مجتمعاتنا من المحيط إلى الخليج ظاهرة الضيق والتبرم من اصطحاب بعض الآباء لأبنائهم الصغار لتأدية الصلوات المفروضة والنافلة كالتراويح في المسجد!! وانزعاج بعض رواد المساجد من أقل همس يصدر من هؤلاء الصغار، ويكال اللوم والعتاب للأب، بل وإحراجه أمام جمهور كبير من المصلين لاصطحابه لطفله الصغير للمسجد، وينقسم المصلون لفريقين: فريق يصمم على طرد هؤلاء الصغار من المسجد، وفريق يطالب بضرورة توعيه هؤلاء الصغار بالتزام الهدوء عند دخول المسجد، وهناك كثير من الحلول والمقترحات لعلاج ظاهرة الإزعاج الذي قد يصدر عفويا من الصغار في المسجد، وإني أرى أن من الاقتراحات الممتازة؛ الاقتراح الذي قدمته لنا القصة القصيرة التي نشرت على صفحات مجلة «الوعي الإسلامي» عدد (ذو القعدة ١٤٤٠هـ) والتي تناولت حل وعلاج المشكلة بطريقة عملية، فشكرا للكاتب، وشكرا لمجلتنا الرائدة، وهي دعوة لمن ينزعج من براءة أطفالنا للاقتداء بهذه القصة في حل المشكلة من خلال تطوع أحد الفضلاء مرتادي المسجد شريطة أن يكون محبا للأطفال ومتفهما لطبيعة فرط نشاطهم البريء، ومتفهما لخصائص نموهم وذلك لتنظيم أطفالنا -وهم ليس بكثر- أثناء الصلاة وستظل ذكراه باقية في ذاكرة هؤلاء البراعم عقودا طويلة، وله من الأجر والمثوبة ما لا يعلمه إلا الله.

د. محمد عباس عرابي
باحث تربوي

العود شجرة لها تاريخ

من المعروف أن دهن العود من العطور العتيقة التي لها مكانة خاصة عند العرب قديما وحديثا، حتى إنه يقال «العود عطر الملوك والأمراء»، وذلك لأن رائحته فضلا عن أنها طيبة، إلا أنها قوية وتدوم في الملبس والجسد، بل وتطوف أجواء المكان أيضا، ومحببة عند الرجل والمرأة العربية، ومن أثمن العطور العربية العود، والذي يستخلص من أخشاب شجرة العود.

وقد ذكرها «ابن بطوطة» ووصفها قائلا «وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره رقيق، وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له، وشجرته لا تعظم كل العظم، وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة، وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها.

وشجرة العود شجرة خضراء، يصل طولها لحوالي عشرين مترا، ساقها أملس وخشبها أبيض خفيف ورقيق، تتواجد أنسجة اللحاء جنبا إلى جنب مع أنسجة الخشب، وأوراقها متبادلة معنقة، ونصل الورقة بيضاوي مستطيل، يتراوح طولها من (٥و٩) سم، وعرضها من (٢,٥-٤,٥) سم، أما الثمرة فهي عبارة عن علبة خضراء مصفرة يصل طولها إلى ٥,٢ سم فيها بذرتان فقط.

تنمو هذه الشجرة في الأماكن الاستوائية من قارة آسيا، وخاصة جنوب شرق آسيا في الأراضي الجبلية والرملية مثل الهند وماليزيا وبورما وإندونيسيا والصين.

ويقال إن العرب هم أول من اكتشفوا عطرية شجرة العود.

محمد جمال المغربي
كاتب وصحافي

سفانة تصف النبي ﷺ

إعداد / د. تركي محمد النصر ❖

لما أطلق النبي سفانة بنت حاتم الطائي من الأسر، رجعت إلى أخيها عدي، وقالت له: يا أخي إيت هذا الرجل -تعني النبي- قبل أن تعلقك حباله، فإني رأيت هديا ورأيا، سيغلب أهل الغلبة، ورأيت خصالا تعجبني.

رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن ملكا فلن تزال في عز ملكه.

فقدم عدي إلى الرسول فأسلم، وأسلمت أخته سفانة.

(انظر: أخبار العرب، ٥٣/١)

المشاورة

قال العلامة ابن قتيبة: قرأت في كتاب إبرويز إلى ابنه شيرويه وهو في حبسه: «عليك بالمشاورة؛ فإنك واجد في الرجال من ينضج لك الكي ويحسم عنك الداء، ويخرج لك المستكن، ولا يدع لك في عدوك فرصة إلا انتهزها، ولا لعدوك فيك فرصة إلا حصنها، ولا يمنعك شدة رأيك في ظنك ولا علو مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك، فإن أحمدت اجتنيت وإن أذممت نفيت، فإن في ذلك خصالا: منها أنه إن وافق رأيك ازداد رأيك شدة عندك، وإن خالف رأيك عرضته على نظرك، فإن رأيته معتليا لما رأيت قبلت، وإن رأيته متضعا عنه استغنيت، ومنها أنه يجدد لك النصيحة ممن شاورت وإن أخطأ لك مودته وإن قصر».

(انظر: عيون الأخبار، ٨٥/١)

السؤال عما ينفع

قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل يقول لرجل ألح عليه في تعقيد المسائل: «تسأل عن عبدين رجلين؟ سل عن الصلاة، والزكاة شيئا تنتفع به، ونحو هذا، ما تقول في صائم احتلم؟ فقال الرجل: لا أدري. فقال أبو عبدالله: تترك ما تنتفع به، وتسأل عن عبدين رجلين؟».

(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٧)

من حكايات العلماء مع العلم

قال عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «ما من شيء إلا وقد تعلمت فيه شيئا، إلا أشياء صغار كنت أستحي أن يرى مثلي يسأل عن مثلها؛ فبقيت جهالتها في حتى الساعة».

(انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر، ٣٢٨/٣٦)

❖ مشاركة: يعقوب الجناع

من أمثال العرب

❖ «إن الجواد قد يعثر»: يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل، ثم تكون منه الزلة.

❖ «إن الشفيق بسوء الظن مولع»: يضرب للمعني بشأن صاحبه، لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث، كنحو ظنون الوالدات بالأولاد.

❖ «إن وراء الأكمة ما وراءها»: أصله أن أمة واعدت صديقها أن تأتيه وراء الأكمة إذا فرغت من مهنة أهلها ليلا، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غلبها الشوق: «حبستموني وإن وراء الأكمة ما وراءها». ويضرب لمن يفشي على نفسه أمرا مستورا.

(انظر: مجمع الأمثال، ١/٢٦).

نصيحة محب

نصح الإمام العلامة مرعي الكرمي الحنبلي -رحمه الله- أحد أصدقائه، فقال:

❖ «يا أخي، عليك بتقوى الله في جميع أمورك، وتدبرها وتدثرها في عظيم مأمورك، واجعلها غاية مأمولك لمأمولك.

❖ وعليك بالخشوع والانكسار، والخضوع والافتقار، والمداراة من غير مماراة.

❖ وأشغل نفسك عن الأشغال بالاشتغال، وبالحال عن المحال.

❖ وإياك والملاهي، وعثرة الملاهي.

❖ وأنق نطقك عن محادثة الأحداث التي تجعل الحي كالساكن في الأجداث.

❖ وإياك والخلاعة والتمزيق والشناعة.

❖ ولا تصحب إلا من ينهضك حاله، أو يدلك على الله مقاله.

❖ والزم الأدب مع أهله، واسأل الله من فضله.

❖ وتأمل هذه العبارة، والحر تكفيه الإشارة».

(انظر: بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، ص:٣٥٧)

يحفظ ألف ألف حديث

❖ قال عبدالله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى: سمعت أبا زرعة يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟

قال: ذاكرته، فأخذت عليه الأبواب.

❖ وقيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟

فقال: أحمد بن حنبل، حررت كتبه في اليوم الذي مات فيه، فبلغت اثني عشر حملا، وعدلا ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان، وكل ذلك كان يحفظه أحمد عن ظهر قلب.

(انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص:٧٣)

كويت العز

كويت العز تيهي في افتخار
وطيبي بالهنا يا خير دار
أميرك بالتواضع قد تحلى
سليل المجد في ثوب الوقار
وشمسك قد أنارت كل درب
وبدرك قد أضاء لكل سار
ونجمك في سما الدنيا دليل
ليهدي التائهين عن المسار
ترابك من دم الشهدا كمسك
ورايات علت دون انكسار
وأهلك تحت ظلك في إخاء
وقد لبسوا المحبة كالسوار
سخاء رفعة أصل وطيب
وهذا الجود من شيم الكبار
يلبون النداء لمستغيث
يعينون الفتى قبل العثار
وإن مال الضعيف بهم تقوى
فهم أهل المروءة والفخار
بحفظ الله دام الأمن فيها
وألبسها السلامة في ازدهار

محمد قنبر
شاعر وكاتب

قرت أعيننا

الحمدلله على السلامة

قائد العمل الإنساني

مساجد الكويت

أوقات الإقامة في جميع مساجد الكويت بين يديك

- مرافق المسجد
- خدمات ذوي الاحتياجات الخاصة
- اسم خطيب الجمعة
- حلقات القرآن
- وقت صلاة القيام في رمضان
- الدروس العلمية
- وغيرها من الخدمات

Available on the App Store

GET IT ON Google Play

masajedq8app masajed_alkuwait 51193387

العدد ٦٥٥ - السنة ٥٧ - ربيع الأول ١٤٤١هـ - نوفمبر ٢٠١٩م